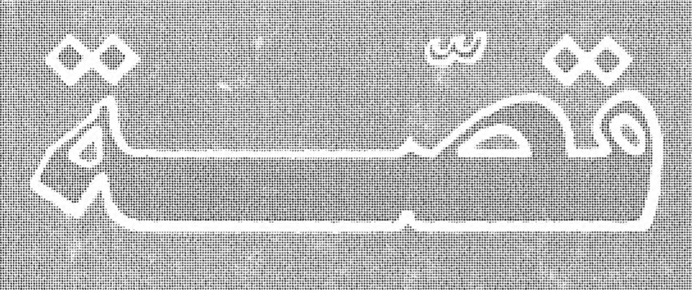
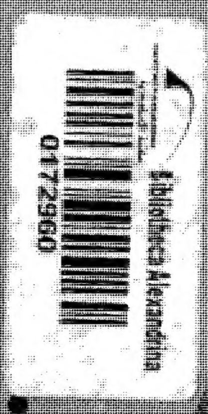
محمد حسنين هيكل



آخر المعارك في عصر العمالقة



- القصة التي عاد العالم إلى أسرارها بعد عشرين سنة : ١٩٥٦-١٩٧٦
- صراع بين عبد الناصر وأيدن وموليه وبن جوريون على مستقبل الشرق الأوسط
- تشرشل وأيزنهاور وديجول ونهرو وتيتو وخروشوف بين أبطال القصة
- الانتصار العربي "الكامل" في عصر الحرب المحدودة ونظرياتها الجديدة

قصّة السويس

آخر المعارك في عصر العمالقة

اهداءات ٢٠٠٠

ا.د. محمد وجيه بدوي
الأستاذ بهندسة الإسكندرية

محمد حسنين هيكل

قصة السويس

آخر المعارك في عصر العمالقة

- القصة التي عاد العالم الى اسرارهــا بعد عشرين سنة : ١٩٥٦ ـ ١٩٧٦ ٠
- صراع بين عبدالناصر وايدن وموليه وبن جوريون على مستقبل الشرق الاوسط
- تشرشل وايزنهاور وديجول ونهرو وتيتو وهمرشولد بين ابطال القصة ٠
- الانتصار العربي « الكامل » في عصر الحرب المحدودة ونظرياتها الجديدة ٠

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
ص.ب ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى - ١٩٧٧
الطبعة الثانية - ١٩٨٢

الحديث الأول :

بعد عشرين سنة
نظرة على حرب السويس

اعود الى حرب السويس في مناسبة من تلك المناسبات التي يحلو ـ عادة ـ للناس فيهـــا استرجاع الذكريات ، وتقليب صفحات الامس القريب ، وتأمل صوره ، وتمثل مشاهده ...

ففي مثل هذه الفترة من هذا العام : يوليو الى ديسمبر ١٩٧٦ ، تكون قـد مرت بالضبط عشرون سنة على الفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩٥٦ ، وتلك هي فترة معركة السويس بكل ما احتوته وعنته ورمزت اليه من ايامها وحتى هـذا اليوم .

وعشرون سنة ، دورة من دورات الزمان لها ايقاع خاص ومتميز ، يستطيع ان يكون هادئا ورصينا ، خاليا من اللهفة والعجلة ، بعيدا عن نطاق الضغط والالحاح طلبا للتاثير النفسي والدعائي ، وهو على هذا النحو يكون اقرب الى كلمة التاريخ منه الى صرخة السياسة .

وهذا طبيعي ...

بل ان هذا هو الفارق بين السياسة والتاريخ .

فاي حدث من الاحداث يظل « سياسة » طالما هو لا يزال تحت سيطرة صناع القرار والمؤثرين فيه على القمم او بقربها .

ولكنه حين يخرج من هذه السيطرة يصبح « تاريخا » ويتحول الى شيء تصعب السيطرة عليه ، لانه يدخل حصيلة مضافة الى خزائن التجارب الحية لشعوب وامم واوطان .

ولعلي انبه مبكرا ـ في هذا الحديث ـ الى انني لا احاول كتابة تاريخ كامل للسويس ، فموعدي مع ذلك ـ اذا ساعدتني الظروف وشاء الله ـ عندما احاول كتابة القصة الكاملة لجمال عبد الناصر وعصره ـ ولكن ما احاوله اليوم ـ ولا اتعداه ـ هو مجرد رسم خطوط عريضة لقصة عظيمة لم تعد الان

تحت سيطرة « السياسة » ، وانما خرجت ولو قليلا من دائرة هذه السيطرة وتحركت خطوة او خطوات في اتجاه دائرة التاريخ ··· هذا هو كل شيء الان ·

واعترف ان هناك عوامل متعددة تغريني بقصة السويس الان ، الى جانب الدورة الزمنية لعشرين سنة مرت وعبرت ، وبين هذه العوامل ما يلي :

١ ـ إن احدا لن يحتفل ـ كما ينبغي ـ بهذا العيد العشرين لقصة السويس ، والسبب ان التقويم السياسي الجديد في مصر يعتبر حربهـا هزيمـة ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع اسرائيل ، وذلك خلط بلا نهاية ، وهو نموذج من النماذج البائسة لمحاولات السياسة ان تتصدى للتاريخ بينما وقائعه لم تعد تحت سيطرتها ، وهي تستطيع « سياسيا » ان لا تحتفل ، ولكنها « تاريخيا » لم تعد تستطيع ان تمحو او تثبت في الالواح المحفوظة ، ومن ثم فهي تملك الصمت في المناسبة ، ولكن صمتها يؤثر فيهـا هي باكثر مما يؤثر فـي التاريخ ·

وليس يضايقني ان يكون صوتي وحيدا في الحفاوة بذكـرى السويـس ، وان كنت اعلم يقينا ان صوتي ليس هو الصوت الوحيد ·

٢ ـ ان انتصار السويس ـ وكان انتصارا ـ يستحق الدراسة والتأمل ، ولعـلي ازعم انه كان « اكمل » انتصار في تاريخ العرب الحديث ، بل انه كـان « اكمل » انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة منذ ظهرت هذه النظريات في اعقاب التعادل النووي بين القوتين الاعظم : الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتي ، مما سبب استحالة الحرب الشاملة بينهما مباشرة او في ظلال موازين القوى الحساسة بينهما على اتساع العالم كله ·

قبل ذلك كانت الحرب طبقا لآراء « كلاوزفيتز » ـ اكبر اساتذة علوم الحرب وفلاسفتها ـ هي التجاء مجتمع الى القوة المسلحة لكي يكسر ارادة مجتمع آخر ويفرض عليه مشيئته كاملة ·

واما الحرب المحدودة ، حتى طبقا لآراء هنري كيسنجر ، فهي « عمل سياسي شامل يلجأ الى القوة المسلحة في مرحلة من مراحله لتحقيق هدف معين لا يستدعي بالضرورة كسر ارادة الخصم او فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة » ·

وكانت حرب فيتنام ـ على سبيل المثال ـ حربا محدودة ، ولم يكن هدف الشعب الفيتنامي ان يكسر ارادة المجتمع الامريكي او ان يفرض عليه مشيئته

كاملة ، وانما كان هدفه ان يرغم الولايات المتحدة على فك قبضتها عن فيتنام الجنوبية ليسهل كنس نظام « فان ثيو » وتحقيق وحدة فيتنام شمالا وجنوبا ، وكان اسلوب الشعب الفيتنامي هو الكثير من المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية والقدر الكافي فقط من استعمال القوة المسلحة في حمى توازن القوة العالمية بين العملاقين حتى تصل الولايات المتحدة الى نقطة تجد فيها البقاء في فيتنام اكثر تكلفة من الجلاء عن فيتنام ٠

وهكذا كان ٠

وكانت حرب السويس من هذا النوع من الحرب المحدودة ٠

وكانت مصر فيها وحدها امام ثلاث دول غازية : بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، ولم يكن هدف مصر ان تكسر ارادة الثلاثة وتفرض عليهم مشيئتها كاملة ، وانما كان هدفها ان تفك قبضة الثلاثة عن الجوائز الكبرى التي كانت هدف القتال ٠

وفي الحرب المحدودة فان فك قبضة العدو عن اهداف الحرب هو معيار النصر والهزيمة ٠

اي أنه بعد انتهاء المعارك يكون السؤال المهم هو :

ـ اين جوائز الحرب ، وفي اي يد هي ؟

والذي تكون الجوائز في يده يكون النصر له ، والذي لا تكون الجوائز في يده تكون الهزيمة من نصيبه ، قبض الريح يبقى له والخيبة والفشل ٠

وكانت جوائز حرب السويس ثلاث:

قناة السويس وفي يد من هي ؟

وصحراء سيناء وفي يد من هي ؟

وقطاع غزة وفي يد من هو ؟

وبعد انتهاء المعارك كانت هذه الجوائز كلها في يد مصر : القناة سليمة تحت سيطرتها وارادتها ، وصحراء سيناء جزء من سيادتها ، وقطاع غزة امانة في عهدتها ٠

واذن ، كان انتصارها كاملا ٠

٣ ــ ان حرب السويس كانت تجربة هائلة من تجارب العمل القومي العربي وقدرته ، وإن من غير تنسيق مسبق بين الأطراف .

كانت مصر تحارب وحدها ضد ثلاثة في ميدان القتال ٠

ولكن بقية الامة العربية لم تلزم موقف المتفرج ، وانما راح كل طرف عربي يجد لنفسه الوسيلة التي يستطيع بها مساندة مصر ٠

وفي حين وجدت مجموعة من الضباط السوريين الشبان ان خير مساعدة يقدمونها لمصر هي نسف خطوط انابيب البترول التي تحمل نفط الموصل الى البحر الابيض المتوسط فنسفوها ، فان جماهير عريضة وواسعة راحت على كل بقعة من الارض العربية تتظاهر سلما وعنفا في تأييد مصر وشعبها وجيشها وقيادتها ٠

وكان الدليل الاكبر على عمق وحدق المعركة هو «الحالة» التي خرجت بها الامة العربية من المعركة ، فلقد خرجت هذه الامة من معركة السويس باندفاع اكبر وتصميم اشد ، وهكذا كانت الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة حتمية من نتائج حرب السويس ، كذلك كان تراجع الاستعمار من شبه الجزيرة العربية والخليج اثرا باقيا من آثار انتصار السويس ، ثم كان تنبه العرب الى اهمية مواردهم الطبيعية وعيا مضافا اكتشفوه على وهج اللهب من معارك السويس ٠

٤ ـ ان جو السويس كان هو الاختبار الذي نجح ونضج فيه جيل الخمسينات في العالم العربي ، وهو الجيل الذي تحمل على اكتافه مسؤولية الانتقال العظيم من عصر الاستعمار والسيطرة الاجنبية على الاقدار العربية الى عصر الاستقلال والارادة العربية الحرة والمتحررة ، ثم هو الجيل الذي رأى الاشارات والايماءات الاجتماعية في قضية الاستقلال الوطني فراح يتابعها، ونجح احيانا ولم ينجح في احيان اخرى ٠

كان هذا هو جيل جمال عبد الناصر واحمد بن بيللا وهواري بومدين وعبد السلام عارف وجماعات الضباط الوحدويين في سوريا والطلائع الملتزمة من حزب البعث العربي الاشتراكي في منطقة الهلال الخصيب ، وهو جيل كتب عليه ان يكون جسرا تمشي ـ وتدوس احيانا ـ عليه امة بأسرها من مرحلة الى مرحلة في النضال ٠

كان هذا هو الجيل الذي فتح الطريق تحت شعارات « الحرية والاشتراكية والوحدة » و « من المحيط الى الخليج » و « بترول العرب للعرب » و « نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا » و« نحن جزء من حركة الثورة الوطنية في العالم » ، الى آخره الى اخره ٠

وربما كان اقسى نقد يمكن توجيهه الى هذا الجيل أنه «كان يعرف ما لا يريد بوضوح ، ولكنه لم يكن يعرف ماذا يريد بنفس هذا الوضوح » ، وهذا صحيح الى حد ما ، ولكنه لا ينقص من اهمية نضال هذا الجيل ولا مـــن شرف تضحياته ٠

٥ ـ ان معركة قناة السويس كانت هي المناسبة التي استطاع فيها الاتحاد السوفيتي ان يحقق ويعلن تعادله مع الولايات المتحدة في حيازة اسلحة الدمار الشامل ، وكانت تلك ذروة عصر من العصور الدوليـــة ، هـــو عصر الحرب الباردة التي يستحيل بين العملاقين ان تتحول الى حرب ساخنة تستعمل فيها اسلحة الدمار الشامل ، وكانت تلك ايضا بداية عصر جديد ، وذلك ما يحدث في الحركة التاريخية دائما ، فان وصول عصر من العصور الى ذروته لا يعني ثباته حيث هو ، وانما يعني بداية متغيرات تلحق عليه وتدخل به الى طور جديـــد ٠

كان الانذار السوفيتي في السويس هو ذروة الحرب الباردة ، وفي نفس الوقت فقد كانت هذه الذروة نفسها هي الباب الذي فتح امام ضرورات الوفاق ٠

وكان تعاون الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية ـ تحت احكام التعادل بينهما في اسلحة الدمار الشامل ـ اعلانا بميلاد « ثنائية » دولية على القمة تحكم النظام الدولي وتفاعلاته ، ولكن ظهور هذه الثنائية كانت العامل الذي ادى الى عصر تعدد مراكز القوة في النظام الدولي ٠

فلقد ادركت فرنسا مثلا انه لم يعد في استطاعتها ان تعتمد على المظلة النووية الامريكية لحماية تصرفاتها ازاء ما تراه في مصلحتها الوطنية ، وهكذا راحت فرنسا تبني لنفسها قوة نووية مستقلة تستطيع ان تنام في امانها ٠

ونفس الشيء مع الصين ٠

٦ ـ ولقد ادت معركة السويس الى تغييرات عنيفة في مواقع القوة في النظام الدولي ٠

تحوّلت بريطانيا ـ كما كانت خشية ايدن اثناء المعركة ـ من دولة كبرى الى دولة متوسطة ٠

وسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعـــة ، وجـــاء ديجول بالجمهورية الخامسة ٠

وادركت اوروبا كلها ان عصر الكيانات الصغيرة والمبعثرة لم يعد يكفل الامن والرخاء ، وهكذا تطور مجتمع الفحم والصلب الى سوق اوروبيـــة

مشتركة ،ما لبثت ان وجدت لنفسها غطاء سياسيا بفكرة الوحدة الاوروبية ·

٧ ـ وكانت السويس هي النقطة الفاصلة والحاسمة في حركة تحرر المستعمرات في افريقيا وامريكا اللاتينية ·

هبت رياح التغييرات على افريقيا ، وظهرت الزعامات الوطنية للقارة السوداء من امثال قوامي نكروما ، واحمد سيكوتوري ، وموديبا كيتا ، وكينياتا ، ونيريري ، ولومومبا ، وغيرهم ·

وكانت القاهرة مركزا لكل حركات التحرير الافريقية ، حتى تلك التي لم تحقق انتصارها الا قريبا ، كثورة «نيتو» في أنجولا على سبيل المثال ·

وفي امريكا اللاتينية كانت اصداء السويس ترن على سفوح جبال « مايسترا » ، حيث كان فيدل كاسترو يقود جماعات من الثوار لا يشعر بهم احد في الدنيا ضد حكم باتيستا الذي اسلم نفسه للسيطرة الامريكية ·

ومع اصداء السويس ترن على الجبال ، كانت كلمة فيدل كاسترو ، وقد سمعتها منه بنفسي :

ـ اذا كان شعب مصر قد استطاع مواجهة بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، افلا نستطيع نحن مواجهة جيش باتيستا ؟

ويستطرد كاسترو :

ـ كانت السويس الهاما لنا في كوبا ·

٨ ـ واخيرا فان السويس كانت آخر صراع ضخم شارك فيه العمالقة على نحو آخر في ساحة المعركة مباشرة او من حول الساحة ·

في ميدان القتال كان هناك جمال عبد الناصر من ناحية ، وعلى الناحية الاخرى دافيد بن جوريون وانطوني ايدن وجي موليه ·

وبالقرب من ساحة المعركة كان هناك الكبار من اصدقاء عبد الناصر في تيار عدم الانحياز : نهرو وتيتو ، وعلى الناحية الاخرى كان تشرشل في الكواليس يسمع من ايدن ويشير عليه ، وكان ديجول يؤدي نفس الدور الى حد ما بالنسبة الى الحكومة الفرنسية .

وكانت خطط غزو مصر قد عرضت على كبار ماريشالات الحرب العالمية

الثانية . مونتجمري ، ومونتباتن ، وغيرهما ٠

وفي المجال الدولي كانت ساحة الازمة تضم اكبر اسماء العصر : ايزنهاور ، وخروشوف ، وبولجانين ، وزوكوف ، ودالاس ، وهمرشولد ، ومحمود فوزي ، وليستر بيرسون ، وكريشينا مينون ، وغيرهم وغيرهم ٠

كان صراعا للعمالقة ، في عصر العمالقة ٠

كانت آخر معركة للعمالقة ٠٠٠ وبعدها بدأت الساحة تخلو منهم واحدا بعد الاخر ، حتى كأن لم تعد في السماء نجوم على حد تعبير الصحفي العالمي الشهير سالزبيرجر مؤلف كتاب « آخر العمالقة » !

□

هذه مجموعة اسباب تتعلق كلها ــ على نحو آخر ــ بشكل الاحداث التي كانت ٠

ولكن التاريخ ليس علم الماضي ، وانما هو علم المستقبل ، وذلك هو الفرق بين التاريخ والاساطير ٠

الاساطير تتوقف عند ما كان ، واما التاريخ فان عطاءه مستمر كل يوم ٠ والعطاء التاريخي للسويس بغير حدود واستعادة الذكرى من هذه الزاوية تصبح لها من ثم فائدة كبرى :

● وتعلمنا تجربة السويس مثلا ان الثقة بالنفس هي الحد الفاصل بين النصر والهزيمة ٠

والثقة بالنفس ليست كبرياء رئيس او قائد او زعيم ، وانما الثقة بالنفس هي ايمان شعب بقدره واستعداده للذهاب حتى آخر المدى في سبيل تحقيق ذاته والدفاع ليس فقط عن مصلحته العاجلة وانما عن حلمه المستقبلي قبل المصلحة العاجلة ٠

وبالمقاييس العادية فانه كان مفهوما ان يقف الشعب المصري وحده في معركة مع اسرائيل وحدها ، ولكن شيئا آخر ــ غير عادي ــ هو الذي جعل الشعب المصري يقف ، ويقف بصلابة ، في معركة تخوضها ضده بريطانيا وفرنسا بعد اسرائيل ، بل قبل اسرائيل ٠

● وتعلمنا تجربة السويس كذلك ، انه في الصراعات الحديثة فان السؤال المهم والحيوي ليس هو :

ـ كم احتل العدو والمهاجم من اراضينا ؟

وانما السؤال المهم والحيوي هو :

ـ كم احتل العدو والمهاجم من ارادتنا ؟

لقد ثبت في الصراعات الحديثة ان كل مساحة من الارض احتلها العدو قابلة للاستعادة طالما بقيت الارادة ، ولكن احتلال اي جزء من الارادة هو الضياع الذي لا سبيل الى استرجاعه ·

● وتعلمنا تجربة السويس اسلوبا في ادارة الصراع ما زلنا بحاجة الى دراسته ، فلم تكن السويس مغامرة يائسة ، ولا كانت اسبابها قرارا اتخذه جمال عبد الناصر بتاميم قناة السويس ردا عصبيا وانفعاليا على قرار اتخذه جون فوستر دالاس بسحب المساهمة الامريكية في بناء السد العالي ·

كانت المسالة اكبر من ذلك واعمق ، كانت مواجهة هائلة سياسية وعسكرية واقتصادية ونفسية بين شعب صغير يطلب حقه ، وقوى دولية كبرى تنكر عليه حقه ·

● واخيرا تعلمنا تجربة السويس دروسا لها اهميتها في عوامل واسباب صنع القرار السياسي فيما يتعلق بمنطقتنا ، ويساعدنا على هذه الدروس

ان معظم الخبايا من قصة السويس قد ظهرت وبانت وثائقها ، وان كان بعضها لم يعلن رسميا حتى الان ·

تعلمنا كيف يحدث ويدبر التواطؤ ·

وتكشف لنا نقط الصدام المتفجرة في صراعنا المستمر ·

وتظهر لنا الكثير من النوايا والمقاصد ·

ولقد تظهر الامور امامنا في ضوء جديد اذا تذكرنا ان حرب السويس كانت مدخلا الى حرب سنة ١٩٦٧ ، فلقد تقدم في هذه السنة نفس اعداء سنة ١٩٥٦ ليصفوا الحسابات القديمة التي لم يستطيعوا تصفيتها في السويس سنة ١٩٥٦ ·

ثم اذا تذكرنا ان حرب سنة ١٩٧٣ كانت رد فعل لحرب سنة ١٩٦٧ ·

ثم اذا تذكرنا ان الصراع مستمر ·

هكذا فان السويس لا تصبح قصة تروى عن الماضي ··· وانما تصبح مجالا من مجالات صنع المستقبل ·

اوَليس هذا ـ كما اتفقنا ـ اهم الفوارق بين الاساطير والتاريخ ؟!

الحديث الثاني :

كل الطرق تؤدي الى السويس
وكانت اسرائيل أول من وصل الى الطريق

كانــت اسرائيل أول من وصل الى طريق السويس

كان شركاء الحرب ضد مصر سنة ١٩٥٦ أربعــة ، ولم يكونوا ثلاثة كمــا هو شائــع في تعبير « العــدوان الثلاثي »٠

كان هؤلاء الشركاء الاربعــة ، بالترتيب الزمني لاتخاذهم «طريق السويس» منفذا الى القاهرة ، عــلى النحــو التالــي :

● اسرائيل : وقد سبقت الكل على الطريق ٠

● فرنسا : وقد شدتها اسرائيل على الطريق في بعض المراحــل ، وفـــي بعضها الاخر كانت فرنسا هي التي تشد اسرائيل ٠

● بريطانيا : وقد سارت عــلى طريق السويس تجر أقدامهـــا ، وفرنسا تسحب وتدفــع ٠

● ثم الولايات المتحــدة : وقد سارت شوطا عــلى طريق السويس ، ثــم تخلت عــنه الى طرق اخــرى ظنتها أسرع نفاذا الى القاهرة ، وهكذا اختلفـــت مع بقية الشركاء في الوسائــل وليس في الاهداف النهائية ، وبلغ خلافها مـــع بقية الشركاء ذروته حين وجـــدت أن تصميــم الاخــرين عــلى اتخــاذ طريق السويس يشكل تهديدا لسيطرتها على المعسكر الغربي كله الــذي لا يحــق لـــه أن يتصرف بغــير اذنهــا لانه لا يستطيــع مواجهة العــواقب بغــير حمايتهــا ، ومن ناحية أخــرى لان طريق السويس بملابساته ومضاعفاته كاد أن يفاجــيء السائرين عــليه باحتمــالا تمواجهة مــع الاتحــاد السوفيتي في وقت حكمتــه استراتيجية « الردع النووي الشامل » ، ولم تكن نظريـــــات « الـــرد المـــرن بالاسلحــة غــير النووية قد ظهرت بعــد ، ولا كانت اسلحتهــا متوفرة ، ولعــل «السويس» كانت نقطة البداية فــي هذه النظريات عــن « الــرد المرن »، وذلــك رأى الجنرال «ماكسويل تايلور » رئيس هيئة أركان حرب الجيش الامريكـــي والداعية الاكبر لهذه النظريات عــن « الـرد المرن » ٠

□

وكانت اسرائيل امام الجميع على طريق السويس بحكم اهتمامها الذي لا يدانيه اهتمام بكل ما يجري في مصر ، عن يقين كامل لدى قيادات اسرائيل السياسية والعسكرية بأن الطرف العربي الوحيد القادر على شن الحرب ضد اسرائيل هو مصر ، سواء بمفردها أو بتحالف عربي تستطيع وحدها اقامته ، وكانت القيادات الاسرائيلية تعتقد أن هذا الوضع الخاص لمصر سوف يستمر معها الى ــ نهاية القرن الحالي على الاقل ، وبعده ربما ــ ربما ــ تغيرت الموازين ونشأت في منطقة الهلال الخصيب وحوله قوة تقدر على التحدي بدون دور رئيسي لمصر وحتى بدون مشاركتها ٠

وعلى هذا الاساس كانت مطالب الاستراتيجية الاسرائيلية الثابتة تجاه مصر ثلاثة :

١ ــ ابقاء مصر ضعيفة ، متخلفة ، غير قادرة على اقامة البناء الاقتصادي ــ الزراعي والصناعي المتطور ــ الذي لا يمكن بغيره ان يقوم بنيان اجتماعي متماسك ٠ وباختصار أن يظل الانسان المصري كيانا مقهورا، مطحونا ، عليلا ، غائبا عن الوجود الحضاري بكل قيمه ــ تماما كتلك الصورة التي رسمتها « جولدا مائير » في كتابها « حياتي » الذي وصفت فيه الناس داخل محطة سكة حديد القاهرة حين وصلت اليها في العشرينات في طريقها الى فلسطين : « أكوام من اللحم والعظم المغطى بالتراب والذباب بجوار جدران المحطة ومن حولهم تلال من القفف والاقفاص والاكياس وخرق القماش القذر تحمل كل ما لهم في الحياة ، بل تحمل أقدارهم البائسة اليائسة ! » ٠

٢ ــ ابقاء مصر معزولة عن بقية العالم العربي ، لا تشعر حتى مجرد شعور أولي أنها جزء من كل يستطيع يوما ان يعطي نفسه فاعلية تؤثر في موازين الصراع الذي تخوضه اسرائيل لتثبيت اقدامها في المنطقة وتوسيع دائرة سيطرتها المباشرة وغير المباشرة ٠

وفي هذا كانت اسرائيل تريد ان تظل اهتمامات القاهرة متجهة الى الخرطوم في الجنوب على أقصى تقدير تحت ضغوط وادي النيل أو أوهام وحدة التاج بين مصر والسودان ، وفي نفس الوقت تبقى صحراء سيناء عازلا يفصل ما بين المشرق العربي في آسيا والمغرب العربي في افريقيا ، وكان لا بد للصحراء العازلة أن تكون فراغا من أي قوة ، ومنذ ذلك الوقت المبكر اتخذت الاستراتيجية الاسرائيلية من صحراء سيناء مقياسا للامن والخطر : اذا كانت الصحراء فارغة من مظاهر القوة المصرية فهو الامن ، واذا امتلأت الصحراء فهو الخطر ٠

٣ ــ ابقاء مصر بعيدة عن حركة التفاعلات العالمية بحيث لا تستطيع

ان تفيد من هذه التفاعلات في صنع مركز خاص يعطيها مقدرة اكثــــر علــى الحركة والمناورة ٠

وكان التفضيل الأول بالنسبة الى الاستراتيجية الاسرائيلية ان تظل مصر تحت سيطرة الاحتلال البريطاني ٠

وكان التفضيل الثاني ـ نسبيا ـ أن تكون مصر في كل الاحوال داخــل دائرة النفوذ الغربي ، سواء كانت الغلبة فيه لاوروبا أو انتقل الزمام الــى الولايات المتحــدة الامريكية ٠

وكان المكروه ـ باستمــرار ـ أن تكون لمصر صداقات دولية خاصـــة ، وبالذات مع القوى العظمى البارزة ، وفي وقت من الاوقات خشيت اسرائيل مــن صداقة خاصة بين مصر والولايات المتحدة ، ولكنهــا لــم تلبــث أن اطمأنــت بفهمها أن مثــل ذلك ضد حركة التاريــخ فــي المستقبل المرئــي علــى الاقــل ، ثــم تحولت خشية اسرائيل الــى صداقة خاصة بين مصر والاتحــاد السوفيتي ، وكانت ترى المشاكل الكامنة في مثــل هــذه الصداقة ، وحاولت قدر ما تستطيــع استغــلال هذه المشاكل الكامنة واللعــب على تعقيداتها ٠

وحتى سنة ١٩٥٢، وحتى برغــم اشتراك مصر في حــرب فلسطين سنــة ١٩٤٨ ، فان الرياح في مصر كانت تسير على هوى اسرائيل ٠٠٠ وفجأة تغيرت اتجاهات الرياح !

□

لا أظن أن القيادة السياسية والعسكرية العــليا في اسرائيل ـ وكان دافيد بن جوريون عــلى رأسها في ذلك الوقت ـ قد أحست بنــذر خــطر شديد عندما قامت الثــورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، فلقد بدا أن ما حــدث فــي مصر هـــو « انقلاب عسكري « يقوده » جنرال تقليدي » ،وان هذا الانقلاب فــي الغالــب سوف يكون « بداية في سلسلة انقلابات » ، ثم أنه ليس هناك « بعــد عربــي » في اتجاهات هــذا الانقلاب ، ومعــنى ذلك انه سوف يركز عــلى « الوطنيــة المصرية » في شكل ساذج من اشكالهــا ، وأخيرا فان البيانات الصادرة عــن هذا الانقلاب لا تحــمل أية « اشــارات اجتماعــية محــددة » ، وبالتالي فــان القائمين بــه « سوف يتم استيعابهــم فــي اطار الطبقة الحاكمة في مصر » ، هــذا على فرض أن الانقلابات القادمة عــلى الطريق أبقت عــليهم ولم تطح بهم !

واتذكر مناقشات طويلة مع السياسي البريطاني اللامع « انيورين بيفــان» عنــدما جــاء الى مصر بعــد زيارة لإسرائيــل وراح يتقصى الحقيقــة علــى ضوء ما سمعه من القيادة الاسرائيلية هناك ، وكانت صلتــه بدافيــد بــن جوريون وثيقة ، فكلاهما من الاقطاب البارزين في حركة الدولية الاشتراكيـــة الثانية ـ وكان بن جوريون يرأس الحركة العــمالية في اسرائيل ، في حين ان

انيورين بيفان كان النجم الساطع في حزب العمال البرطاني ٠

واتذكر انني قضيت ليلة كاملة في سفارة الهند في القاهرة حيث كان « بيفان » يقيم ضيفا على سفير الهند وقتها « السردار بانيكار » وهو صديق قديم له ـ وراح « بيفان » أمام « بانيكار » يسالني باستفزاز :

ـ لماذا تريدهم هناك في اسرائيل ان يحسبوا حسابا لما جرى هنا ٠٠٠ لست ارى امامي هنا في مصر ثورة ٠٠٠ ما اراه هو واجهة ثورة وليس مضمون ثورة ٠٠٠ وهذه هي البيانات الصادرة عن النظام الجديد ، وهذه وثائقه امامنا فارني فيها اية اتجاهات ثورية تخيف عدوا او تثير ـ بجد ـ اهتمام صديق : » ٠

☐

في بداية سنة ١٩٥٣ بدات الامور في مصر تتضح اكثر امام الاطراف الاخرى المهتمة بالمنطقة وبما يجري فيها ، والمحتمل من تطوراتها والممكن ٠

وكانت القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل اكثر الاطراف اهتماما ، وبدأ دافيد بن جوريون يتولى بنفسه عملية متابعة التطورات في مصر:

جمال عبد الناصر يظهر ويتاكد انه القائد الحقيقي للثورة وعقلها وقلبها ٠

جمال عبدالناصر يستعمل الولايات المتحدة في الضغط على بريطانيا لاقناعها بالجلاء عن منطقة قناةالسويس في مصر ٠

جمال عبدالناصر يدخل في حوار مثير مع جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية الذي زار مصر في مايو ١٩٥٣ ، دالاس يدعو جمال عبدالناصر الى الدخول في حلف غربي للدفاع عن الشرق الاوسط ، وجمال عبدالناصر يتحدث عن ميثاق دفاع عربي مستقل عن الغرب ٠

جمال عبدالناصر يتفاوض لعقد صفقة سلاح مع الولايات المتحدة ، والصفقة تكاد توقع ـ او هكذا قالوا ـ لولا تليفون من تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وقتها للرئيس الامريكي الجديد دوايت ايزنهاور ، ويقول تشرشل على التليفون لايزنهاور : لا اتصور ان تعطي لعبدالناصر سلاحا يصوبه نحو صدور أبنائنا في قاعدة قناة السويس ، وهم الذين خدموا تحت قيادتك في الحرب العالمية الثانية الكبرى » ٠

. . . .

. . . .

وفي هذه الفترة راح بن جوريون يحاول ان يسمع كل ما يستطيع سماعه

عن جمال عبدالناصر ،وتقدم اليه اثنان في اسرائيل كلاهما قابل جمال عبدالناصر ، على نحو أو آخر ٠

اولهما ضابط مخابرات اسرائيلي اسمه «يوريهان كوهين » ، والثاني ضابط اسرائيلي كبير أصبح الان نائبا لرئيس وزراء اسرائيل ووزيرا للخارجية، وهو « ييجال اللون » ٠

كان أولهما « يوريهان كوهين » ضابط اتصال اسرائيلي في نطاق لجان الهدنة ، حضر اجتماعات متعددة لترتيبات وقف اطلاق النار وسحب جثث القتلى من الجانبين ـ شارك فيها جمال عبدالناصر الذي كان « اركان حرب » الكتيبة السادسة المشاة المتمركزة على الخط ما بين عراق المنشية والفالوجة في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ٠

ولفت عبد الناصر نظر ضابط المخابرات الاسرائيلي ، خصوصا عندما ساله في اثناء استراحة للجنة الاتصال عن « الاساليب التي استعملتها الجماعات الاسرائيلية المقاتلة ضد الانجليز في فلسطين ما بين نهاية سنة ١٩٤٦ ومنتصف سنة ١٩٤٨ » ٠

ثم التقى الاثنان بعد ذلك سنة ١٩٥٠ ، فقد كلف جمال عبدالناصر من قيادة الجيش المصري أن يدخل في الارض المحتلة في صحبة احد ضباط الهدنة وأحد ضباط الاتصال الاسرائيليين ليرشد عن موقع مقبرة كانت قواته في الحرب قد دفنت فيها اكثر من اربعمائة وخمسين جثة من جثث القتلى الاسرائيليين ، وكان ضابط الاتصال الاسرائيلي هو « يوريهان كوهين » ، وقضى جمال عبدالناصر معه ومع ضابط الهدنة الدولية الكندي اربعاً وعشرين ساعة في الارض المحتلة من النقب أرشد فيها الى موقع المقبرة ، وشهد بداية عملية الحفر فيها حتى بدأ ظهور الجثث ٠

وكان ثانيهما، وهو « ييجال اللون » هو قائد المعركة أمام جمال عبدالناصر وقد أحس من خلال تطورات القتال انه أمام خصم مقتدر وعنيد ، ثم التقى الاثنان وجها لوجه في اجتماع رتبته لجان الهدنة في مستعمرة «جات»، وكان رئيس الجانب العسكري المصري فيه هو الاميرالاي السيد طه قائد قوات الفالوجة ، وكان رئيس الجانب العسكري الاسرائيلي فيه هو البريجادير ييجال اللون قائد القوات الاسرائيلية على الجبهة الجنوبية ٠

كلاهما كان يعرف عبد الناصر والتقاه على نحو أو آخر، وربما بالغ احدهما أو كلاهما فيما يعرفه عن عبدالناصر ، ولكن دافيد بن جوريون كان يريد أن يسمع !

وكان دافيد بن جوريون على استعداد لأن يسمع كل من يستطيع أن يضيف الى معلوماته شيئا عن جمال عبد الناصر.

. . . .

. . . .

وفي ذلك الوقت كان حزب العمال البريطاني يبدي اهتماما كبيرا باحوال الشرق الاوسط ، وكان هناك عدد من أعضائه البارزين ، وبينهم جورج براون وريتشارد كروسمان وبربارة كاسل ، دائمي التجوال في المنطقة ، ولقد تمكنوا هم وغيرهم من مقابله جمال عبدالناصر ، وكان دافيد بن جوريون لا يسمع عن احد منهم قابلة الا ودعاه الى مقابلته ليسأله ، وأتذكر في تلك الفترة واقعة رواها لي « ريتشارد كروسمان » عن حديث له مع « دافيد بن جوريون الذي دعاه إليه بعد أن سمع أن كروسمان أجرى مقابلة طويلة مع جمال عبد الناصر .

قال لي ريتشارد كروسمان :

ــ ان « ب٠ج٠ » ــ اشارة الى بن جوريون من اول حرفين في اسمه ــ ليس سعيدا بما يسمعه عن مصر رغم انني حاولت أن اطمئنه ٠ »

واستطرد كروسمان يقول لي :

ــ انني قلت له : ب٠ج٠ ، ان جمال عبدالناصر قال لي إنه «لا يشغل نفسه باسرائيل ، وانما يركز على التنمية الداخلية في مصر وانه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية لاعتقاده ــ كما قال لي عبد الناصر بنفسه أن اسرائيل ليست خطرا على مصر الا لأن مصر ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا » .

واستطرد كروسمان يقول لي :

ــ هل تعرف ماذا كان رد فعل ب٠ج٠ ؟

هرش شعر رأسه المنكوش وتمتم بصوت خفيض وهو يهز رأسه :

ــ هذه انباء سيئة ٠٠٠ أنباء سيئة جدا ! » ٠

مع سنة ١٩٥٤ ، كان بن جوريون ووراءه القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل مشغولين بجمال عبدالناصر قبل أي ظاهرة أخرى في المنطقة ٠

. . . .

. . . .

وفي بداية هذه السنة كان بن جوريون قد اصدر امره شخصيا ــ ومن مستعمرة « سدبوكر » ــ بتنفيذ عملية تخريب ضد المصالح الامريكية والبريطانية في مصر ، وقامت المخابرات الاسرائيلية بتنفيذ العملية فعلا ــ ومن وراء ظهر وزير الدفاع لافون وبدون علمه ــ ولكن التدبير انكشف حين

اشتعلت قنبلة حارقة في جيب عميل اسرائيلي أمام احدى دور السينما في الاسكندرية ، واعترف العميل الاسرائيلي وسقطت شبكة التخريب الاسرائيلية كاملة في يد قوات الامن المصرية ، وبينهم عدد من اليهود المصريين ، وحوكموا وصدرت عليهم أحكام بينها الإعدام لثلاثة منهم ·

وقبل نهاية هذه السنة ـ ١٩٥٤ ـ توصل جمال عبدالناصر الى اتفاق مع الحكومة البريطانية يضمن جلاء قواتها خلال ثمانية عشرة شهرا عن منطقة قناة السويس ،وكان بن جوريون في مستعمرة سدبوكر ـ لا يزال ـ يمطر رئيس الوزراء موشي شاريت بالمذكرات المكتوبة يسأله :

« هل اتخذت الحكومة الاسرائيلية كل الاحتياطات الواجبة عليها ازاء مثل هذا التطور ؟

هل عرفنا ما هي الاشياء ـ أسلحة · معدات · مخزون عسكري ـ التي تركها البريطانيون في القاعدة ؟

هل اخذت بريطانيا تعهدات كافية وضمانات على مصر تكفل حرية الملاحة في قناة السويس لكل الدول بغير تمييز ··· وبالذات الملاحة الاسرائيلية » ؟

□

كانت سنة ١٩٥٥ سنة حافلة بالنذر ·

وكان « دافيد بن جوريون » ما يزال في مستعمرة « سدبوكر » في صحراء النقب ، ولكن المستعمرة تحولت الى « مركز قيادة عليا سياسية وعسكرية » بصرف النظر عما يفعله رئيس الوزراء الرسمي « موشي شاريت» ومجلس وزرائه في تل ابيب ·

كان بن جوريون ، ومعه اقرب معاونيه اليه « موشي ديان » رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي ، « وشيمون بيريز» مدير وزارة الدفاع الاسرائيلية ، يراقب ويتابع ما يجري على ساحة الشرق الاوسط ·

كانت القاهرة في يناير ١٩٥٥ مسرحا لاجتماع عربي كبير على مستوى رؤساء الوزارات ، شهد مواجهة نهائية حول قضية الاحلاف العسكرية بين جمال عبد الناصر ونوري السعيد ، وكانت المواجهة في حقيقتها محاولة للاجابة على سؤال حيوي :

العرب كجزء من نظام الدفاع الغربي وفي سلسلة الاحلاف التي تستهدف تطويق الاتحاد السوفيتي ؟

او العرب ولهم نظام دفاعهم المستقل القائم على قدراتهم الذاتية ، والموجه ضد كل خطر يتهددهم هم ويمس امنهم هم ؟

وانهار الاجتماع العربي الكبير في القاهرة ، وانفلت نوري السعيد وحده ليوقع اتفاقا منفردا مع تركيا قام به حلف بغداد الذي راح يدعو دول المشرق العربي للإنضمام اليه ، ويركز بالذات على سوريا والاردن ولبنان ٠

وكان معنى ذلك ــ اذا تم ــ عزل المشرق العربي عن مصر وعن بقية المغرب العربي وبمعنى ادق ترك مصر وحدها في الميدان امام اسرائيل ٠

. . . .

. . . .

وفي آخر يوم من شهر يناير نفذ حكم الاعدام في القاهرة في اثنين من عملاء قضية التخريب الاسرائيلية ، برغم حملة عالمية عنيفة قادها بن جوريون ليجعل جمال عبدالناصر يخفف الاحكام على هؤلاء العملاء ، وهي حملة استطاع ان يجند لها ايزنهاور وتشرشل ، فكتب كلاهما الى جمال عبدالناصر يرجوانه في تخفيف الاحكام واستعمال حقه في العفو ٠

وكان تنفيذ الاحكام صدمة لبن جوريون ، فقد كان هو الآمر بالعملية من وراء ظهر لافون وزير الدفاع الذي اضطر الى الاستقالة احتجاجا على الوضع الذي فرض عليه ، واساء الى سمعته دون ذنب له فيه ٠

وجرى في اسرائيل شبه انقلاب عسكري صامت فرضت به المؤسسة العسكرية عودة دافيد بن جوريون وزيرا للدفاع ، فعاد وكان أمره الاول هو الغارة الشهيرة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ٠

وكانت هذه الغارة هي الدافع المباشر الذي جعل جمال عبد الناصر يستدعي السفير الامريكي في القاهرة هنري بايرود ، ويقول له :

ــ اذا لم تبع لي الولايات المتحدة ما احتاج اليه من السلاح للدفاع عن الامن القومي لمصر فسوف أطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي » ٠

. . . .

. . . .

وكانت هناك معركة أخرى سياسيةتجري في نفس الوقت ٠

كانت هناك استعدادات تجري لعقد اول مؤتمر آسيوي ــ افريقي ، وكانت هناك مجموعة دول عرفت باسم « مجموعة كولومبو » ، أخذت على عاتقها مسؤلية الترتيب والدعوةإلىهذاالمؤتمر الذي تقرر عقده في « باندونج » في اندونيسيا ٠

وكانت هناك صداقة تربط بين « بن جوريون » وبين «اونو» رئيس وزراء بورما ، وهي احدى دول مجموعة كولومبو ، وكتب بن جوريون الى اونو في امر المؤتمر المقترح في باندونج واشتراك اسرائيل فيه ، وتصور اونو ان اشتراك اسرائيل في المؤتمر مسالة يمكن ترتيبها ، فهي بالموقع على أرض آسيوية ٠

ولكن جمال عبدالناصر رفض وشرح موقفه لكل اعضاء مجموعة كولومبو، وعلى راسهم « جواهر لال نهرو » الذي توطدت بينه وبين عبد الناصر صداقة وثيقة

وكتب « نهرو » الى « اونو » يقول له :

« علينا أن نوازن بين اشتراك كل الدول العربية في مؤتمر باندونج وغياب اسرائيل ، وبين اشتراك اسرائيل وغياب كل الدول العربية » ٠

وكتب « أونو » الى دافيد بن جوريون يقول له إنه لم يستطع أن يفعل شيئا في مسألة اشتراك اسرائيل في اعمال مؤتمر باندونج ، ثم كتبت السكرتارية المؤقتة ـ التي كانت تتولى التحضير للمؤتمر ـ الى حكومة اسرائيل رسميا تقول لها : « إنها تأسف لان الدعوة لن توجه إليها لان اشتراطات حضور المؤتمر لا تنطبق عليها » ٠

□

ولم يكن مؤتمر باندونج مجرد فرصة تمكن فيها جمال عبد الناصر من اعلان موقف مستقل لمصر وللامة العربية ، ولم يكن مجرد مناسبة استطاع فيها جمال عبدالناصر أن يربط النضال العربي بحركة التحرر الوطني عموما ـ خصوصا في آسيا وافريقيا ـ وانما كان فوق ذلك جسرا لاول اتصال بين مصر والصين ٠

وصل « جمال عبدالناصر » مع « جواهر لال نهرو » على نفس الطائرة الى « رانجون » عاصمة بورما ٠ وبينما كانت الطائرة تقف في ساحة المطار اذكر انني تطلعت من النافذة فاذا أونو في استقبال الرئيسين واذا بجانبه « شواين لاي » رئيس وزراء الصين الاسطوري ٠

واتذكر أنني التفت الى جمال عبدالناصر وقلت له :

ـ ان « شواين لاي » هنا ايضا » ٠

وكان جمال عبد الناصر قد هم من مقعده يتاهب للنزول مع نهرو ، ويتولى الزعيم الهندي تعريف الصيني بالمصري ٠

وذهبنا الى مقر الضيافة في « رانجون » ، فقد كان مقررا ان نقضي في

عاصمة بورما يوما واحدا نحضر فيه « أعياد الماء » البورمية التقليدية ·

واتذكر انني حضرت احتفالات اعياد الماء مع جمال عبدالناصر ، وقد حضرها في زي بورمي تقليدي قدمه اليه « اونو » ، وعدت مع جمال عبدالناصر الى قصر الضيافة ودخلت معه الى غرفته يستبدل ملابسه ، يخلع الزي البورمي التقليدي ويرتدي بذلته العسكرية ، وكانت ما تزال بعد زيه الرسمي، وقال لي جمال عبد الناصر انه ذاهب لموعد مع « شواين لاي » في نفس قصر الضيافة ، واتذكر انني سرت معه أبهاء القصر الى غرفة كان ينتظره فيها شواين لاي ، ثم عدت الى جناحه انتظره بعد انتهاء المقابلة ·

وعاد جمال عبد الناصر بعد ساعتين تقريبا ، واتذكر اننا جلسنا في شرفة غرفته المطلة على حدائق قصر الضيافة ، ووراءها رانجون بمعابدها البوذية الشهيرة ، وكنا ننتظر موعد العشاء الذي اقامه « اونو » لكل ضيوفه تلك الليلة ·

كانت الوان الغروب تنعكس على المعابد البوذية الملونة ، وكانت أصداء احتفالات أعياد الماء تصل الينا من المدينة التي اسلمت نفسها لموجة الفرح والمرح ·

وقال لي جمال عبدالناصر :

ــ لقد كسرت الثلوج كلها مرة واحدة ··· لم اشأ ان ابدأ مع شواين‌لاي بالطريقة التقليدية ·

قلت له اننا نريد علاقات وثيقة مع الصين ، ولكننا لن نعترف الان رسميا بالصين الشعبية ، لان ذلك في هذا الوقت سوف يواجهنا بمشاكل لا داعي لها الان مع الولايات المتحدة ·

وقد فهم وجهة نظري ·

وقال لي إن اجتماعنا الان هو اعتراف عملي ، وأما الاعتراف الرسمي فنحن أقدر على اختيار توقيته ·

وبعدها تحدثنا في المؤتمر القادم وسياساتنا فيه ، ثم تحدث هو طويلا عن الاوضاع في الشرق الاقصى ، وحدثته انا عن اوضاعنا في الشرق الاوسط » ·

واستطرد جمال عبدالناصر :

ــ لقد فتحت معه موضوعا اخر لا اعرف كيف تكون نتائجه ·

عندما تحدثنا عن الشرق الاوسط ، وعن تحدي اسرائيل لنا ، وعن

الغارة الاخيرة على غزّة، قلت له إننا نحتاج إلى سلاح ندافع به عن أنفسنا. وقد طلبناه من الأمريكيين .

وكان رده :

ـ ان الامريكيين لن يعطوكم سلاحا تدافعون به عن انفسكم ازاء اسرائيل ·

وقلت له :

ـ انني هددت السفير الامريكي بأن الجأ الى الاتحاد السوفيتي في طلب سلاح ، ولكني لا اعرف ما اذا كان الاتحاد السوفيتي مستعدا للاستجابة لهذا الطلب ، وانا اخشى مفاتحتهم في ذلك بالطريق الدبلوماسي العادي ، وفي كل الاحوال فانني اريد قبل أن افعل ذلك ان اتأكد من موقفهم ·

ان التغييرات الاخيرة التي وقعت في القيادة السوفيتية ـ في شهر فبراير ـ جاءت الى سكرتارية الحزب بزعيم جديد ـ خروشوف ـ والى رئاسة الوزارة برئيس وزراء جديد ـ بولجانين ـ ولست اعرف ما هي اتجاهات هذه القيادة الجديدة ، وعلى اي حال فانه لم يسبق لنا التعامل مع اية قيادة سوفيتية ، واريد ان اسألك : هل تعرف هؤلاء القادة الجدد ، وهل تعرف اتجاهاتهم المحتملة ، وبالذات في موضوع احتمال بيع السلاح لمصر » ·

ان شواين لاي لم يدر حول الموضوع ولم يناور ، وانما سألني سؤالا مباشرا « هل تريد أن اتصل بهم ، وأسالم عن مدى استعدادهم » ؟

وقلت له :

ـ نعم ··· هذا ما أرجوك فيه ·

وقال لي شواين لاي على الفور : سوف يصلك ردي او ردهم على القاهرة، وارجوك اعطائي شهرا من الان تسمع بعده مني أو منهم » ·

كان ذلك في منتصف ابريل ١٩٥٥ ·

وفي ١٨ مايو ١٩٥٥ ، وفي حفل استقبال حضره جمال عبدالناصر في السفارة السودانية في القاهرة ،اقترب منه السفير السوفيتي وقتها دانييل سولود ، وقال له :

ـ هل استطيع ان اتحدث معكم على انفراد ؟ »

وفي ركن من احدى القاعات ، قال سولود :

ـ لقد طلبت قبل قليل موعدا رسميا معكم ، لابلغكم رد موسكو على

سؤال وجهتموه سيادتكم الى رئيس وزراء الصين عند اجتماعكم به » ·

وفهم جمال عبدالناصر ، وحدد له موعدا في اليوم التالي ·

وكان رد موسكو ايجابيا ·

□

كان صيف ذلك العام حافلا ·

كانت هناك مفاوضات تجري في « براغ » ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا للاتفاق على تفاصيل صفقة الاسلحة ، وكان اختيار « براغ » مقصودا منه تجنب اتصالات تجري في موسكو وتلفت الانظار قبل الاوان ·

وكان هناك مؤتمر على مستوى القمة الدولية في جنيف في شهر يوليو حضره « ايزنهاور » و «ايدن » و «فور » و « خروشوف » واتذكر انني ذهبت الى متابعة هذا المؤتمر على مستوى القمة الدولية في جنيف ، واتذكر انني لقيت عبد الناصر قبل ان اتوجه الى للطار قاصداً جنيف ــ وكان قوله لي :

لقد ارسلت كما تعرف بعثة رسمية الى جنيف ترصد التطورات ، وفيها الدكتور مصطفى كامل ــ سفيرنا في الهند والولايات المتحدة فيما بعد ــ والدكتور عبدالله العريان ــ سفيرنا في باريس وجنيف فيما بعد ــ وسوف تقوم هذه البعثة بمتابعة عامة وشاملة لاعمال المؤتمر ونتائجه ، ولكن هناك نقطة بالذات تهمني اكثر من غيرها :

هل يمكن لمفاوضاتهم في جنيف ان تؤثر على مفاوضاتنا في براغ ؟

واتذكر انني لم اجد في جنيف ما يلفت نظري الى النقطة التي تهم جمال عبدالناصر اكثر من غيرها ، وتركت جنيف بعد انتهاء المؤتمر الى لندن ، ثم عدت الى القاهرة في اغسطس ·

وقال لي جمال عبدالناصر :

ــ ان مفاوضات براغ تمت بنجاح ، وبدون اثر لروح مؤتمر جنيف عليها» ·

ولم يطل جمال عبدالناصر في هذه النقطة طويلا ، فقد حول انظاره بسرعة من المسرح الاوروبي الىصحراء سيناء حيث كانت الغارات الاسرائيلية على مواقع الحدود المصرية مستمرة ، وقال لي :

ــ لقد قررنا الرد على هذه الغارات بالضرب في قلب اسرائيل بواسطة

جماعـات مسلحـة من الفدائيين » ٠

وكان التركيز ما زال على الصحراء حتى ١٢ سبتمبر حين صدر القـــرار بتشديد اجراءات الحصار المصري عـلى خليج العقبة ، واصبح من الضـروري عـلى كل السفن والطائرات العابرة في مياه الخليج أو فوق اجوائه الى البحـر الاحمر أن تحصل عـلى اذن مصري مسبق باثنين وسبعـين ساعـة ، وأن لا تبدأ العبور باي حـال من الاحوال قبل حصولهـا عـلى هذا الاذن ٠

كان الحصار عـلى الخليج من قبل بحريا ٠

واصبح الان جويا أيضا ٠

وسجل ديان في مذكراتـه قولـه :

ـ هذه هي القشة التي قصمت ظهـر البعير ! »

□

لكن التركيز عـلى الصحراء لم يـدم طويلا ، فان انباء صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفياتي بدأت تتسرب ، واحست اسرائيل بما جرى ، واحســت بـه واشنطن ، وفـي ١٧ سبتمبر وقف جمال عبدالناصر في حفل افتتاح معرض صور خاص بالقوات المسلحة واعلن بنفسه نبأ الصفقة قبل ان يسأله احد فيه .

وتفجر النبأ في اسرائيل كانه قنبلة ٠

ومع أن الصفقة الاولى مـع الاتحـاد السوفيتي لم تكن كبيرة ، الا انهـــا كانت تغييرا واضحـا في موازين القوى ٠

كانت الصفقة كما يلي :

٥٣٠ عربة مصفحـة

٢٣٠ دبابة

٢٠٠ ناقلة جنود مدرعـة

١٠٠ مدفع ذاتـي الحركة

٥٠٠ قطعـة مدفعية من أنواع مختلفـة

٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة

مجموعة بحرية تضم مدمرات وكاسحات الغـام وثلاث غواصات ٠

ومع أن اسرائيل كانت - قبل هذه الصفقة بعام واحد على الاقل - تحصل على أسلحة متنوعة من فرنسا ، فان الصفقة المصرية مع الاتحاد السوفيتي جاءت امرا لا يطاق بالنسبة الى دافيد بن جوريون، ثم اضيف إليها توقيع اتفاق عسكري بين مصر وسوريا في ٢٠ اكتوبر يجعل المواجهة مع اسرائيل شمالا وجنوبا جبهة واحـــدة ٠

وفي ٢٢ اكتوبر تلقى موشي ديان - وكان في زيارة لباريس - برقية عاجلـة من دافيد بن جوريون - الذي كان وزيرا للدفاع - يطلب اليه العودة الى تل ابيب فـــورا ٠

ويقول موشي ديان في مذكراته عن معركة سيناء - صفحة ١٢ - إنه قابـل بن جوريون في اليوم التالي لعودته من باريس ، وعقد معه اجتماعا طويلا ، ثـم يقول ديـــان :

« وفي نهاية الحديث اصدر الي الامر بأن اكون مستعدا للاستيلاء على تيران لتأكيد حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة والبحر الاحمر » ٠

وتشير وثائق بن جوريون ، التي اصدرها بارزوهار سنة ١٩٦٨ - ان دافيد بن جوريون طلب في نفس هذا الاجتماع مع ديان ان « تكون هناك خطط اضافيـــة لاحتلال قطاع غزة ، وللسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء ٠

وذهب دافيد بن جوريون بخطته الى مجلس الوزراء الاسرائيلي ، ولكن المجلس رفض قبولها ، ولم يقف مع بن جوريون في الحماسة لها غير ثلاثة مـــن الـــوزراء ٠

وخرج بن جوريون من اجتماع المجلس ليدعو موشى ديـــان الى مقابلته ، ويقـــول :

- لقد رفض هؤلاء الاغبياء ان يوافقوا على العمل من الان ، واخشى أنهـم لن يوافقوا الا عندما تكون الفرصة قد فاتت لضرب ناصر والقضاء عليه والحيلولة دون تثبيت زعامته في العالم العربي ، ولا تستطيع اسرائيل ان تنتظر ، ولا استطيع انتظار موافقة مجلس الوزراء ، ولذلك فاني اطلب منك بمقتضى كل مـا لي من سلطة أن تستمر في اعداد خططك وتطويرها ، دون ما مراعاة لقرار مجلس الـــوزراء ٠ »

وأصبح بن جوريون رئيسا للوزارة بعد الانتخابات العامة في اسرائيل ، وفي يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٥ عاد الى مجلس الوزراء بخطته القديمة لضربه في اتجـاه شرم الشيخ ، ومرة اخرى رفض مجلس الوزراء ، وبعـــد الجلسة اجتمـع بـن

جوريون مع ديان الذي قال له ـ طبقا لما رواه في مذكراته :

« في رايي انه لا بد لنا باسرع ما يمكن ـ وخلال شهر واحد على اكثر تقدير ـ ان نحتـل مضايق تيران » ٠

وكان بن جوريون يهز راسه موافقا ٠

وبدأ بن جوريون يعقد اجتماعات منظمة مع قيادة « تساهال » ـ الجيش الاسرائيلي ـ ويروي شيمون بيريز ، مدير وزارة الدفاع وقتها ووزير الدفـاع الان ، في صفحة ١١٤ و ١١٥ من مذكراته ، ان دافيد بن جوريون قال لاعضـاء هيئة القيادة الاسرائيلية في اجتماع له بهـم ما نصه :

« ان الدخول الى سيناء قد لا يكون كافيا ، ذلك انه بدون القضاء علـى « الطاغية » في القاهرة فان اي انتصار عسكري في سيناء لا قيمة له ، لان الصراع سوف يستمر ، والامن بالتالي لن يتحقق » ٠

هكذا سارت اسرائيل على طريـق السويس !

الحديث الثالث :

اسرائيل تشد فرنسا على طريق السويس ...
وفرنسا تستبق الكل عليه !

وصلت فرنسا الى طريق السويس بتخطيط مسبق من اسرائيل ، وكانت في البداية تمشي نحوه بتردد تحاول اثناءه ان توازن خطاها ، ثم توالت احداث كان من شانها ان جعلت فرنسا تحث الخطى وتندفع على الطريق اكثر فاكثر ، حتى جاء يوم اصبحت فيه فرنسا هي الطليعة عليه ، تجري باقصى سرعة ، وتجر غيرها جرا حتى تكاد خطاهم ان تتعثر وينكفئون على وجوههم فوق رمال الصحراء الساخنة ٠٠٠ وذلك ما حدث فعلا لبريطانيا ٠

وكان دافيد بن جوريون هو الذي سبق بالتخطيط لوصول فرنسا الى طريق السويس في اطار نظريته الشهيرة عن ضرورة وجود حليف قوي لاسرائيل ٠٠٠ دولة كبرى مساندة ٠٠٠ اذا قررت اسرائيل يوما ان تضرب وان تنقض

كانت نظرية بن جوريون ـ وهي ما زالت حتى الان خطا استراتيجيا ثابتا لاسرائيل ـ ان الحدود المفروضة بالطبيعة على الموارد وعلى العمق في اسرائيل تفرض عليها دائما ان تجد لنفسها صديقا خارجيا قويا وكبيرا يوفر لها المدد والمدى لكي تستطيع ان تتحرك في اطمئنان ٠

ولم تتحرك اسرائيل سنة ١٩٥٦ الا بعد ان اطمأن بن جوريون تماما الى ان هناك صديقا ـ بل اصدقاء ـ لديهم اسباب القدرة والتاثير ٠

وكان سؤال بن جوريون الاول حين ذهبوا اليه سنة ١٩٦٧ يطلبون تاييده لخوض الحرب هو :

ـ هل هناك قوة كبرى معنا ٠٠٠ اذا كانت هناك قوة كبرى فلنتحرك ، واذا لم تكن هناك قوة كبرى فلننتظر ونترك عاصفة اغلاق خليج العقبة تمر ، ونستعد لفرصة اخرى نكون فيها قد عثرنا على حليف عظيم » ٠

□

وفي بداية سنة ١٩٥٤ ، وبينما بن جوريون يدور ببصره على المنطقة يحاول استكشاف طريقه الى السويس ، كانت افكاره تحوم حول فرنسا ، وكان ظنه ـ وهو ظن اكدت صحته الايام والتجارب ـ ان فرنسا مهياة لكي تلعب دورا في مساعدة اسرائيل على اجتياز طريق السويس ٠

كانت القوى الكبرى المرشحة لتلعب هذا الدور في ظنه ـ ولو نظريا ـ ثلاثا:
الولايات المتحدة : ولكنها مشغولة بمحاولة غواية الثورة المصرية ، ولا زالت الامال تراودها في امكانية اقناع مصر بالاشتراك في حلف عسكري للدفاع عن الشرق

الاوسط ، ضمن سلسلة الاحلاف التي كانت تحاول بها خلال الحرب الباردة تطويق الاتحاد السوفيتي ·

وبريطانيا : ولكن بريطانيا لها صداقات تقليدية وعلاقات وثيقة ـ بترولية بالذات ـ مع عدد كبير من بلدان العالم العربي ، وذلك مانع يصدها عن اي تعاون مفتوح مع اسرائيل الا اذا جدت ظروف غير الظروف ، وهو امر لا يمكن رؤيته مقدما ولا اجراء حسابات على اساسه ·

ثم فرنسا : فرنسا ربما ؟ لم لا ؟ دعونا نحاول !

واختار « دافيد بن جوريون » واحدا من أقرب مساعديه ، وهو « شيمون بيريز » مدير عام وزارة الدفاع الاسرائيلية يومها ، ووزير الدفاع الاسرائيلي اليوم ·

ويقول « شيمون بيريز » في كتابه « نبلة داوود » ـ وهو الجزء الاول من مذكراته في الواقع ـ ان دافيد بن جوريون دعاه ذات يوم سنة ١٩٥٤ وكلّفه ان يحاول « فتح ابواب فرنسا » ، وكان ملخص ما قاله دافيد بن جوريون لشيمون بيريز في ذلك اليوم هو :

ـ اريدك ان تذهب الى باريس وتفعل كل ما تستطيع ، ولنرى ماذا يمكن ان نحصل عليه من فرنسا ··· نحن الان ومنذ قيام الدولة نشتري بعض احتياجاتنا العسكرية من هناك بطريقة هادئة وتقليدية ، لكن المسالة محدودة ، وما أريدك ان تحاوله هو فتح الباب ···فتح الابواب بشكل مختلف يجعلنا نحصل على ما لم نكن نستطيع الحصول عليه ···على ما لم نكن نحلم بالحصول عليه ·

وسافر شيمون بيريز الى باريس !

□

كانت فرنسا في حالة غريبة من القلق والتوتر العصبي ، وكان يسود مزاجها نوع من المرارة وخيبة الامل ·

كانت الجمهورية الفرنسية الرابعة قد ولدت بعد الحرب وسط محاولة لايهام النفس بان فرنسا كانت شريكا للمنتصرين ، وانها احد اطراف التحالف الغربي الكبير وعلى قدم المساواة مع غيرها فيه ، وكان ديجول هو المبشر بهذا الالهام رافعا صليب اللورين رمز حركة فرنسا الحرة ، ولكن فرنسا في اعماقها كانت تحس الحقيقة رغم انها حاولت تناسيها ، واندفعت فرنسا تحاول ان تؤكد قوتها لنفسها بتأكيد سيطرتها على المستعمرات، ولكنها كادت تغرق في مستنقعات الهند الصينية ، وكانت الهزيمة في « ديان بيان فو » على يد الجنرال جياب اكثر

مما تستطيع فرنسا ان تتحمله محتفظة بتوازنها وبهيبتها امام شعبها وامام العالم ٠

كانت فرنسا قد تلقت الضربة تلو الضربة قبل « ديان بيان فو » ٠

ضاعت منها سوريا ولبنان في المشرق العربي، وهي تحس ان بريطانيا وامريكا تآمرتا عليها لاخراجها من المشرق وحرمانها من ثرواته ، بل من مواقع نفوذها التقليدي ـ ولو عاطفيا ـ فيه ٠

وكانت فرنسا تنظر الى محاولات بريطانيا وامريكا لتعزيز سيطرتهما على المشرق العربي ، وتقول رسميا بلسان كل رئيس وزراء تولى الحكم فيها :

- إن الشرق الأوسط يجب ان لا يكون تحت سيطرة دولة واحدة، ولا تحت وصاية دولتين تتقاسمان النفوذ فيه ٠ »

وربما من هنا كانت معارضة فرنسا لحلف بغداد ، فقد كانت تحس انه مركز لتعزيز النفوذ البريطاني الامريكي في المنطقة دون اعتبار لفرنسا ، بل ان فرنسا كانت تشعر ان مكانتها في القارة الاوروبية نفسها موضع تجاهل من حلفائها الكبار ، فقد كانت الولايات المتحدة تعتمد على علاقة خاصة مع بريطانيا ، ثم انها كانت بسبيل بناء علاقة خاصة مع المانيا ، ولم يكن هناك سياسي فرنسي ـ باستثناء ديجول ـ يستطيع ان يتحدث الى ساسة بريطانيا وامريكا وعينه مفتوحة ، ولكن ديجول كان قد آثر الاعتزال الى قريته في « كولومب لي دوزاجليز » بعد أن اصابته مناورات الاحزاب السياسية باليأس من مستقبل الجمهورية الرابعة التي كان له الدور الاكبر في اقامتها من وسط اطلال الهزيمة ٠

كانت فرنسا اذن في حالة غريبة من القلق والتوتر العصبي والمرارة وخيبة الامل ٠

حالة يمكن ان تدفعها الى اي اتجاه !

□

ولعلي اقول ـ وهي حقيقة تقال لاول مرة فيما اظن ـ ان مصر وقتها أبدت اهتماما بحالة فرنسا، وحاولت ان تدرس كيف يمكن الاستفادة منها في تلك الظروف ٠

واتذكر حوارا طويلا بين جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو حول موقف فرنسا ٠

كان ذلك الحديث في قرية « سوتيسكا » التي خاض فيها تيتو اعظم معاركه ضد المانيا الهتلرية ، وكان تيتو يحتفل في هذه القرية بذكرى انتصاره ، وكان

جمال عبد الناصر ضيف الشرف معه في تلك الذكرى سنة ١٩٥٥ ·

و فيبيت صغير - بنجالو - من الخشب كان تيتو يقيم فيه اثناء الاحتفالات ، جلس جمال عبد الناصر معه لحديث طويل بدأ في الساعة الثامنة والنصف مساء واستمر الى ما بعد منتصف الليل ، وكان محور الحديث هو الموقف الدولي ·

وكنا عشرة على مائدة العشاء تلك الليلة : خمسة من اليوجوسلاف وخمسة من المصريين ·

واتذكر ان تيتو قام بعرض بارع للموقف الدولي كما يراه ، واتذكر اننا ليلتها - ولأول مرة بالنسبة لي - سمعنا منه القصة الكاملة ، وبالتفاصيل لخلافه الشهير مع ستالين · وتحدث تيتو عن الاوضاع في اوروبا الشرقية ، ثم عن الاوضاع في اوروبا الغربية · وحين وصل في حديثه الى فرنسا فوجئت انا شخصيا حينما قال تيتو :

- ان فرنسا بين كل دول اوروبا الغربية - وبسبب ظروفها واحوالها والمزاج السائد فيها - هي الدولة الاوروبية الوحيدة المرشحة لتبني سياسة عدم الانحياز، ولو عرفنا كيف نتعامل معها فا نفرنسا قد تستطيع القيام بدور مستقل يكون له تأثير ايجابي في الموازين السياسية في أوروبا والبحر الأبيض، وبالتالي في الشرق الاوسط · »

وراح تيتو يشرح رأيه الذي بدا لي في ذلك الوقت جريئا ومتفائلا باكثر مما تسمح به الحقائق الراهنة ·

ووجدت جمال عبد الناصر يقول لتيتو :

- انني ارى معك الاحتمالات الكبيرة في موقف فرنسا وامكانيات تطوره ، ولكني اخشى انه فيما يتعلق بنا فاننا لن نستطيع استغلال هذا الموقف كما ينبغي، والسبب هو ارتباطنا بحركة الثورة في شمال افريقيا العربي ، وهي ثورة موجهة ضد الاستعمار الفرنسي » ·

واستطرد جمال عبد الناصر :

- ان فرنسا بعد هزائمها في الهند الصينية لم يبق لها غير افريقيا · ودول الشمال الافريقي العربية - تونس والجزائر والمغرب - هي مدخلها الى القارة كلها ·

ولقد وقفنا مع الشعب التونسي حتى يحصل على استقلاله ، وخضنا اخيرا معركة مع فرنسا بسبب نفي السلطان محمد الخامس ، وظللنا في المعركة حتى سقط السلطان المزيف - بن عرفة - الذي فرضته فرنسا حتى سقط وعاد محمد الخامس الى عرشه ، ونحن الان نساعد

ثوار الجزائر ، وهي معركة صعبة وطويلة ـ وكل ذلك يؤثر على علاقاتنا بفرنسا»٠

وظل تيتو مصمما على انه مهما تكن الاحوال ، فان هناك فرصة متاحة في فرنسا بسبب ظروفها واوضاعهـــا ومزاجهـا ٠

□

هكذا كان موقف فرنسا فرصة لمن يريد ان يتحرك ٠

كانت مصر تراه ، ولكن حركة الثورة في شمال افريقيا كانت تعترض حركتها ازاء فرنسا ، بل تضعها في موقف معاد لفرنسا ٠

وكانت اسرائيل تراه ، ولم يكن يقيدهاشيء ٠

وكان هذا هو الجو الذي وصل فيه شيمون بيريز الى باريس لكي يفتح ابواب فرنسا ، معتمدا في البداية على عناصر من اليهود الفرنسيين شاركـــوا غيرهم في قيادة حركة المقاومة السرية اثناء الحرب ضد هتلر ٠

واحس شيمون بيريز بعد وصوله الى باريس بأسبوعين انه لن يستطيـــع فتح ابواب فرنسا عن طريق الاتصال بموظفي وزارة الخارجية الفرنسية ، وانما لا بد له ان يجد سبيلا للوصول الى القمة الفرنسية ، وتمكن اخيرا من مقابلـــة السياسي الفرنسي الشهير بول رينو الذي قال له :

ـ انني لا اعرف ماذا تريدون أن تفعلوا بهذه المدافع الكبيرة التي تطلبونهاـ هاوتزر عيار ١٥٥ ملليمتر ـ ولكنني سوف اساعدكم في الحصول عليها ! » ٠

ثم التقى شيمون بيريز برئيس الوزراء الفرنسي في ذلك الوقت ، وهـــو منديس فرانس ، وكان متزوجا من سيدة تنتمي الى اسرة يهودية عاشت في مصر طويلا ، وهي اسرة شيكوريل التي كانت تملك اكبر متاجر للازياء في مصر ٠

ثم التقى شيمون بيريز إدجار فور الذي تولى رئاسة الوزارة بعد منديس فرانس ٠

ويقول شيمون بيريز في مذكراته إن رؤساء الوزارات الفرنسية الثلاثـــة كانوا من هواة ركوب الدراجات ، فقد قال له بول رينـو :

ـ انني احتفظ بشبابي رغم اني في الثانية والسبعين مـــن عـمري بسبب مواظبتي على ركوب الدراجة ساعتين كل يوم !» ٠

وقال له متديس فرانس :

ـ ان صداقتي بادجار فور نمت من ايام كنا صبيين وقمنا معا برحلة الى الاتحاد السوفيتي على دراجاتنا ! »·

وعن طريق رؤساء الوزارات من هواة ركوب الدراجات اتصل شيمون بيريز بالجنرال « كاترو » وزير الدفاع الفرنسي وقتها ، وكان كاترو هو الجنرال الذي احترقت اصابعه بالنار في سوريا ولبنان ، وكان مستعدا لمساعدة اسرائيل بكل وسيلة وكأنه بذلك يريد ان ينتقم من العرب ·

وهكذا حصل على اذن بشراء ثلاثة اسراب من طائرات « الميستير » ، ولكن خبراء الطيران الاسرائيلي الذين ذهبوا الى فرنسا لتجربة الطائرة لم يجدوا حقيقتها مطابقة لمواصفاتها ، وهكذا تحولت اسرائيل الى طلب « الميستير مارك ٤»، وظهرت مشكلة ، فان هذه الطائرة التي وقع الاختيار الاسرائيلي عليها لم تكن ملكا خالصا لفرنسا ، وانما كان انتاجها كله لحساب حلف الاطلنطي بتمويل امريكي ، وهكذا فان الحصول عليها كان يقتضي اذنا من حلف الاطلنطي وتصديقا من الولايات المتحدة الامريكية ·

□

ولم يكن شيمون بيريز يريد ان يغامر في قلب حلف الاطلنطي لان بريطانيا فيه كانت كفيلة بتعقيد الامور امام اسرائيل ، ثم إن موقف الولايات المتحدة لا يزال غير محدد ، واذن فالسبيل ان تكون فرنسا هي الطرف الذي يتولى المسالة كلها : تتولى فرنسا مهمة اقناع الحلف لكي يوافق ، ومهمة اقناع امريكا لكي تصدق على هذه الموافقة ·

ويقول شيمون بيريز في مذكراته :

ـ في ذلك الوقت التقيت آبل توماس ، وهو مدير مكتب وزير الداخلية الفرنسي « بورجيس مانوري » ·

وكانت وزارة الداخلية هي المسؤلة عن شؤون الجزائر التي كانت تعتبر محافظة ادارية من محافظات فرنسا ·

وكان بورجيس مانوري على استعداد للتعاون معنا الى اقصى حد ، فقد

كان يرى بعينيه ويلمس بيديه تاثير مساعدات عبد الناصر للثورة الجزائرية ·
ولقد استبد بي فرح طاغ حين سمعت بورجيس مانوري يقول لنا :

ـ ان فرنسا واسرائيل تواجهان الان نفس التحديات ونفس الاعداء ، ولا بد ان نتعاون على المفتـوح ٠

ان المد العالي الذي يتدافع الان في البحر الابيض يهدد شواطىء اسرائيل وفرنسـا ٠

ولا بد ان نصد متاعبه ومشاكله عن سواحلنا ٠
لا بـد ان نتعاون معا ، ونحن نستطيع ذلك » ٠

□

كان ذلك كله مشجعا ، ولكن « شيمون بيريز » لم يكن يريد ان يترك شيئـا للمصادفات ، فقد كان يعرف ان هناك انتخابات فرنسية عامة على الابواب ، وان فرص الحزب الاشتراكي فيها كبيرة ، وهكذا سعى الى مقابلة « جي موليـه » سكرتير عام هذا الحزب ٠

واستطاع « الاصدقاء » ان يرتبوا له موعدا مع الزعيم الاشتراكي ، وذهب « شيمون بيريز » ليجد « جي موليه » في « الجو » تماما ٠

ويروي شيمون بيريز في كتابه « نبلة داوود » على صفحة ٥٩ ما يلي :
« لقد بدأ جي موليه حديثه معي بقوله :

« انهم يروجون عنى اشاعة تقول انني معاد للسامية ؟ »

وقلت له إنني لا اصدق هذه الاشاعة ، ولكنني كنت اعرف دوافع جي موليه لهذه البداية التي اختارها لحديثه معي ، فقد كان السبب ان منافسيه على زعامة الحزب ، وهما « دانيل ماير » و « جول موش » من اليهود ، وحين فاز هو عليهما معا فان بعض انصارهما روجوا المقولة انهما هزما امامه لكونهما من اليهود ٠

واستطرد جي موليه يقول :

« حسنا ايها السادة ، ان هذه الاشاعة محض اكذوبة ٠ وصحيح انني على خلاف مع دانيل ماير ، ولكن هذا الخلاف يمس نظريته الاشتراكية ، وليس لـه دخل بعقيدته اليهودية ٠

ان مجرد ان يقول عني احدهم انني معاد للسامية هو شيء فظيع باكثر مما تستطيع ان تصفه الكلمات ، وعلى العكس فانا اعرف كل ما عانيتموه من اضطهاد النازي ، وقد كنت انا نفسي من ضحايا هذا الاضطهاد ، ولقد كان اعظم الفرنسيين الذين عرفتهم في حياتي هو ليون بلوم ، وكان يهوديا ، وكان استاذي ٠ ثم ان لـي اصدقاء كثيرين في الحركة العمالية في بلادكم ٠ ان اسرائيل تتطور لتصبح مجتمعا اشتراكيا نموذجيا نصبو نحن الى اقامة مجتمع مثله في فرنسا » ٠

وقلت له بصراحة وقد شجعتني كلماته :

ــ ان تجربتنا مع الاشتراكيين مريرة ، فبعضهم ينسى تعاطفه معنا حينما يصل الى الحكم ، وقد كانت لنا تجربة قاسية مع ارنست بيفن في بريطانيا » ٠

وقال لي جي موليه :

ــ سوف ترى انني لن اكون مثل ارنست بيفن ، وسوف ترى الدليل العملي على صداقتي لكم كفرنسي وكاشتراكي » ٠

☐

وجاء « جي موليه » الى الحكم في فرنسا ، وبدأت الابواب تنفتح في باريس بابا بعد باب امام اسرائيل ٠

وبدأت الاسلحة تتدفق عبر البحر الابيض من مرسيليا الى حيفا ٠

كانت أول شحنة كما يلي :

٢٩ طائرة ميستير ٤

١٩ طائرة فوتــور (قاذفة مقاتلة)

٢٠٠ مدفـــــع

٩٠ دبابة « ايه ام اكس » ٠

وتوالت الشحنات رغم ان بعض العناصر في فرنسا كانت تحاول ان تلفت النظر الى خطورة هذا الجسر البحري المحمل بالسلاح بين مارسيليا وحيفا ، وبين هذه العناصر بعض المهتمين بالشرق الاوسط من خبراء وزارة الخارجية الفرنسية ، ولعل ضغط هذه العناصر هو الذي ادى الى قرار بايفاد « كريستيان بينو » وزير الخارجية الفرنسي ــ مع جي موليه ــ الى القاهرة لكي يبحث العلاقات المصرية الفرنسية مع جمال عبد الناصر ٠ ومن الانصاف ان يقال إن مصر بدورها كانت تحاول ان لا تترك فرنسا جائزة سهلة لاسرائيل برغم تعقيدات كثيرة صنعها تأييد مصر للثورة الجزائرية ٠

وجاء « كريستيان بينو » الى القاهرة واجتمع مع جمال عبد الناصر في ١٢ مــارس سنة ١٩٥٦ ٠

واثار كريستيان بينو في اجتماعه مع جمال عبد الناصر موضوع مساعدة مصر للثورة الجزائرية ، وقال له جمال عبد الناصر بوضوح ان مصر امـــام التزام مبدئي بمساعدة ثوار الجزائر ٠ ثم اضاف جمال عبد الناصر « انه ملتزم مبدئيا بمساعدة الثورة الجزائرية ، ولكنه في نفس الوقت على استعداد لبــــذل

مساعيه الحميدة لمساعدة فرنسا ، والسبيل الى ذلك فتــــح مفاوضات فرنسية جزائرية لاعادة السلام الى الجزائر على اساس اتفاق على الاستقلال ٠

ثم راح جمال عبد الناصر يروي لكريستيان بينو ما يعرفه من نوايا ثـوار الجزائر نحو فرنسا ، وانهم يطلبون استقلال وطنهم ولا يريدون معاداة فرنسا ،بل على العكس يطلبون صداقتها ٠

وساله كريستيان بينو « هل يستطيع الجزائريون ان يكونوا عقلاء في مطالبهم؟»
ورد عليه جمال عبد الناصر « لماذا لا تجلسون معهم لتروا بانفسكم » ٠

وتطورت المناقشة ، وابدى جمال عبد الناصر استعداده لاقناع قيـــــادة الثورة الجزائرية بارسال وفد الى القاهرة ليلتقي مندوبين فرنسيين ليبداوا معا اتصالات غير رسمية داخل نطاق من السرية الكاملة ٠

وكان تعليق بينو « ان السرية ضرورية ، فلو تسربت اية انباء عن هـــــذه الاتصالات لاصبح موقف الحكومة الفرنسية بالغ الصعوبة امام المعارضة » ٠

ثم تطرق كريستيان بينو الى موضوع اخر كان مفاجئا لجمال عبد الناصر ٠

قال كريستيان بينو « ان شركة قناة السويس تجد نفسها تحت الحاح شديد من شركات الملاحة في العالم لتوسيع قناة السويس، وقد ابدت بعض البنوك الامريكية استعدادها لتقديم القروض اللازمة لعملية التوسيع ، ولكن شركة قناة السويس تريد ان تطمئن إلى مستقبل امتيازها في مصر قبل الدخول في مشروعات طموحـة لتوسيع القناة » ٠

ثم اضاف كريستيان بينو :

ـ ان عقد الامتياز مازال ساريا بنص مواده لفترة اثنتي عشرة سنة اخرى، ومع ان الشركة لاتعتقد بمؤدى «روح» الامتياز ان عقدها ينتهي اوتوماتيكيا بعد اثنتي عشرة سنة، الا انها مع ذلك تفضل ان تكون الامور واضحة في المستقبل بما لا يدع مجالا لاي شك ، والتاكيد الوحيد المقبول من جانبها هو ان تقوم الحكومة المصرية بمـد الامتياز الرسمي لفترة اخرى منعا لاي لبس ولكي تستطيع شركة قناة السويس ان تقبل على نفسها التزامات جديدة ، وهي لا تعرف اذا كان الوقت سيتيح لها ان تسترد ما تصرفه ، وان تسدد ما تقترضه ، خصوصا وان المشروعات المقترحـــة كبيرة وتكاليفهـا باهظة ٠

وكان جمال عبد الناصر يصغي بهدوء ، وكان كريستيان بينو يتطلع اليـــه يحاول ان يستشف من تعبيرات وجهه حقيقة رد فعله ، وعلى اي حال فان جمال

عبد الناصر ابدى رد فعله بعبارة واضحة لا تحتمل اي تأويل ، فقد قال « إنه لا يتصور ان الشعب المصري يقبل بمد امتياز شركة قناة السويس يوما واحدا فوق مدة الالتزام ، وفي المفهوم المصري العام ان الالتزام سوف ينتهي تماما وفـــق نصوص العقد ، ويستحسن ان تنزع شركة قناة السويس من راسها فكرة ان هناك حكومة مصرية تقبل بمد الامتياز ، كما انه من المستحسن ان لا تثير الشركة اي نقاش لا لزوم له بشأن نهاية هذا الالتزام ٠»

وقال جمال عبد الناصر انه يقول هذا الكلام بهذا الوضوح لان بعض الجهات في الولايات المتحدة تحاول جس النبض في الموضوع بتوجيه من شركة قناة السويس٠

وسأل جمال عبد الناصر كريستيان بينو « هل تعرف مـــاذا حدث لرئيس الوزراء الذي تجرأ فمد امتياز شركة قناة السويس ؟»

ولم ينتظر حتى يسمع رد كريستيان بينو ،وانما قال :

ـ قتله الشعب المصري في الشارع ! »

ولم يسكت كريستيان بينو ، وانما قال :

ـ ولكن مسئولية الزعماء ان يقودوا شعوبهم الى ما فيه خيرهم ، بصـرف النظر عن مشاعر الشارع ٠ »

وقال جمال عبد الناصر انه «ينصح كريستيان بينو ان يقرأ تاريخ مصـر الحديث ، بما في ذلك دور قناة السويس فيه » ٠

واستطرد يقول :

ـ اريدك ان تعرف انني شخصيا متحمس لضرب اي مسئول مصري يتخذ مثل هذا القرار بالرصاص ٠٠٠ لانه قرار يصل الى حدود الخيانة من وجهة نظر مصريـة وطنية ٠»

وسكت كريستيان بينو ٠

وعاد جمال عبد الناصر يقول :

ـ دعنا من موضوع قناة السويس ٠٠٠ ولنعد الى ما كنا فيه عن الجزائر ٠٠٠ انني اكرر لكم استعدادي لترتيب اجتماع بينكم وبيـــن ممثلين للثـــورة الجزائريـة ٠

وقال بينـو :

ـ وهل تضمن ان يظل الامر سرا ؟»

وقال جمال عبد الناصر إنه يضمن السرية من ناحية مصر ومن ناحية الثورة الجزائرية ، ولكن الحفاظ على السر في فرنسا أمر تملكه فرنسا ، وهي التي تضمنه ٠

وتطرق الحديث الى التفاصيل ، ووعد « بينو » بان يكون هناك ممثلون لفرنسا في القاهرة في ظرف عشرة ايام لاتصالات مع ممثلين للثورة الجزائرية اذا وافق رئيس الحكومة الفرنسية جي موليه على ذلك ، وعلى اي حال فانه بعد أربع وعشرين ساعة سوف يتلقى الرئيس المصري رسالة من باريس في هذا الصدد واذا كان الرد ايجابا فموعد الايام العشرة سيكون قائما ٠

وكانت الالفة قد عادت الى جو المقابلة ، وتشجع بينو وتساءل :

ـ سيادة الرئيس ٠٠٠ والموضوع الاخر ٠٠٠ موضوع شركة قناة السويس؟

واراد جمال عبد الناصر أن يحسم ، فقال :

ـ لا اظنني استطيع مناقشته ! »

□

ونفذ كريستيان بينو ما تحدث به ٠

بعد أربع وعشرين ساعة جاءت رسالة بقبول مبدأ الاتصال في القاهرة مع ممثلين لثوار الجزائر ٠٠٠ وموعد الاجتماع خلال عشرة ايام ٠

وحدث الاجتماع فعلا في القاهرة ٠

جلسة واحدة ، ثم اختفى الوفد الفرنسي من القاهرة ، وقالت السفارة الفرنسية فيها إن الوفد عاد على عجل الى باريس ليتلقى تعليمات محددة ٠

ثم جاءت رسالة من كريستيان بينو مفادها : ان رئيس الوزارة الفرنسية يخشى ان يتسرب نبأ الاجتماعات الى المعارضة او الى الصحافة في فرنسا ، ولكن ممايشجعه على اعادة النظر في قراره بسحب الوفد ان توقف مصر مساعداتها للثورة الجزائرية »

واعتبرت القاهرة ان الموضوع منتهيا من وجهة نظرها ، ولكنه لم يكن منتهيا من وجهة نظر فرنسا ٠

زادت شحنات الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل ٠

وزاد تمساعدات مصر للثورة الجزائرية ٠

ويبدو بشكل ما ان فرنسا اتصلت بيوجوسلافيا ، وكتب تيتو الى عبد الناصر ، ورد عبد الناصر على تيتو يقول له :

« ان تدفق الاسلحة الفرنسية على اسرائيل مستمر بدون توقف ٠

وصحيح ان مصر تساعد الثورة الجزائرية من منطلق قومي ، ولكننا الان الى جانب المنطلق القومي نساعد الثورة الجزائرية دفاعا عن مصر ٠

اننا نريد ان نجعل فرنسا تحتاج الى كل قطعة سلاح ترسلها الى اسرائيل، وهم الذين يتحملون المسؤولية، خصوصا واننا عرضنا عليهم وساطتنا لاحلال السلام في الجزائر على اساس حق تقرير المصير » ٠

□

ويقول شيمون بيريز في مذكراته :

ـ في ربيع سنة ١٩٥٦ كانت المشاعر معبأة بشدة ضد جمال عبد الناصر في باريس ، وذات يوم اخرج لي جي موليه من درج مكتبه نسخة من كتاب عبد الناصر الذي صدر بعنوان فلسفة الثورة ، وقال لي : نحن وانتم امام هتلر جديد في العالم العربي والاسلامي ، ولا بد ان نضرب مخططاته ، والا فاتتنا الفرصة ، كما فاتتنا من قبل حين لم نفهم مقاصد هتلر في كتابه كفاحي » ٠

ويستطرد شيمون بيريز فيقول :

ـ وكان تعبير بورجيس مانوري ، الذي اصبح وزيرا للدفاع في فرنسا اكثر صراحة ، اذ بادرني وانا ادخل الى مكتبه صباح احد الايام قائلا :

ـ ماذا تنتظرون للزحف على مصر واسقاط عبد الناصر ؟

وقلت له :

ـ ننتظر حتى تكون لدينا اسلحة توازن ما حصل عليه عبد الناصر من صفقته مع الروس ٠

وقال بورجيس مانوري وهو يشد مجموعة اوراق بيضاء من على مكتبه :

ـ ما هي طلباتكم ٠٠٠ نحن على استعداد لتقديمها بغير حدود ٠٠٠ ليست هناك حدود ٠

ان القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر اصبحت مقتنعة بانه لا يوجد حل لتصفية الثورة الجزائرية ، الا بتصفية القيادة الثورية في القاهرة » ٠

ويضيف شيمون بيريز :

ـ لم اكن اصدق اذنيّ ٠٠٠ كأنني كنت في حلم ٠

لقد تفتحت ابواب فرنسا ٠٠٠ كل ابواب فرنسا ٠

☐

وبعد سنوات سمعت بنفسي من الجنرال بوفر ، وكانت الصداقة قد توطدت بيننا بعد ان زالت عداوات السويس :

«ـ كنت في ذلك الوقت قائدا للقوات الفرنسية البرّية في الجزائر.
ويوما بعد يوم كان الجنرال شال ، القائد العام الفرنسي في الجزائر ،وكانت قيادته كلها تحت اقتناع كامل بأن « ما نواجهه في الجزائر هو ذنب الافعى ، واما رأس الافعى فكانت في القاهرة » ، ثم اصبحت قناعتنا كاملة باستراتيجية جديـدة هي : « الجزائر عن طريق القاهرة » ٠

. . . .
. . . .

هكـــذا وصلت فرنسا الى طريق السويس !

الحديث الرابع :

إيدن يقود بريطانيا الى طريق السويس بتأثير كراهيته لعبد الناصر

كانت بريطانيا آخر من يجوز له الاقتراب من طريق السويس على النحو الذي اقتربت به سنة ١٩٥٦ ٠

كانت تلك خطيئة الخطايا ، و « الحرام » الذي يستوجب اللعنة الابدية في المآسي الاغريقية ٠

ولربما نستطيع القول ، دون تجاوز ، ان الازمات التي تعانيها بريطانيا حتى اليوم ، وابرزها ازمة العجز الدائم في ميزان مدفوعاتها ومحنة الجنيه الاسترليني نتيجة لذلك ، انما هـي مضاعفات ممتدة لخطيئة السويس سنة ١٩٥٦ ٠

ولو اننا سالنا انفسنا ببساطة :

ــ ما هي حقيقة الازمة الاقتصادية في بريطانيا اليوم ؟

٠٠٠ لكان الرد ببساطة ايضا :

ــ الازمة هي مشكلة بلد يستهلك اكثر مما ينتج ، وكان يعوض الفرق بين ما ينتجه من مواد اضافية تجيئه من الخارج ، واكثر هذه المواد الاضافية كانت تجيئه من الشرق الاوسط الذي كان جزءاً كبيرا مـــن بتروله تحت النفوذ البريطاني ، كما ان الاسترليني كان عملة الدفع في مقابل البترول في مناطق كانت كلها تقريبا ضمن كتلة الاسترليني ٠ ولقد ادت حرب السويس واشتراك بريطانيا فيها بالتواطؤ مع اسرائيل الى ضياع النفوذ البريطاني في المنطقة ، فانسحبت الحاميات المسلحة منها وانسحب وراءها الجنيه الاسترليني ٠

هكذا اصبحت بريطانيا بلدا يستهلك اكثر مما ينتج ، ولا يستطيع ان يعوض الفارق بين الاثنين : الاستهلاك والانتاج ــ بموارد اضافية تجيئه من الخارج ٠٠٠ وبدأت الازمة ، وتفاقمت ، واستعصت ــ ولا زالت ــ على الحل الا بجراحة مؤلمة تبتر وتستأصل لتجعل الاستهلاك البريطاني في مقاس الانتاج البريطاني ! » ٠

□

كانت هناك اسباب للصدام بين بريطانيا وبين مصر في الخمسينات ، وكان محتملا ان تؤدي اسباب الصدام الى صراع مباشر بالقوة اذا اقتضى الامر بين الاثنتين ، ولكن التواطؤ البريطاني مع اسرائيل في استخدام القوة لم يجعل

الصراع مصريا/بريطانيا فحسب ، وانما حوله الى صراع عربي/بريطاني

واذا اردنا ان نستعرض اسباب ـ ومراحل ـ الصدام بين مصر وبريطانيا، لوجدنا امامنا اربعة اسباب ـ ومراحل ـ بارزة نستطيع ترتيبها كما يلي :

اولا ـ الصدام بسبب الاحتلال البريطاني لمصر ، وكان هذا الاحتلال قد استمر اكثر من سبعين عاما ، وكانت الثورة المصرية مصممة على انهائه وتحقيق جلاء قوات الاحتلال مهما كان الثمن ·

وحين وضع « انتوني هيد » وزير الحرب البريطاني توقيعه الى جانب توقيع جمال عبد الناصر يوم ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ على اتفاقية تنظيم جلاء القوات البريطانية عن مصر في ظرف ثمانية عشر شهرا ، فقد بدا على السطح ان اية اسباب لاستمرار الصدام بين مصر وبريطانيا قد زالت وان العلاقات بين البلدين مقبلة على ربيع طويل ·

لكن ذلك كان على السطح ··· واما تحت السطح فقد كان شيئا آخر ·

كان « ونستون تشرشل » ـ رئيس وزراء بريطانيا وقتها ـ قد وافق على الجلاء عن مصر « من تحت الضرس » كما يقولون ، ولكنه اضطر الى ذلك بسبب المقاومة المسلحة المصرية في منطقة القناة ، وبسبب ما بدا من استعداد جمال عبد الناصر لتحويل هذه المقاومة المسلحة الى حرب شعبية كاملة ضد قوات الاحتلال ، ثم انصافا بسبب شيء من الضغط الامريكي كان منطقه ان الاحتلال المباشر مضى وقته ، وان الجلاء البريطاني عن مصر يفتح الباب امامها لكي تدخل في ترتيبات امن جماعي او دفاع مشترك عن الشرق الاوسط يجعلها ـ بغير احتلال مباشر ـ دولة ملحقة بالنظام الغربي وكوكبا تابعا يدور في فلكه ·

وحاول تشرشل ان يؤخر وان يسوف مرة وراء قوله «انني لم اتول رئاسة حكومة جلالة الملكة لكي اشرف على تصفية الامبراطورية » ، ومرة اخرى وراء معارضة قسم كبير من نواب المحافظين تزعمهم جوليان ايمري واطلقوا على نفسهم اسم « مجموعة السويس » ـ لكن تشرشل في النهاية تجرع كأس المر تحت شعار انه لا بد مما ليس منه بد ، وتم توقيع اتفاق الجلاء ·

وعلى اية حال فان هذه المرحلة من الصدام بين مصر وبريطانيا ظلت ـ مع كل صعوباتها ـ محصورة في نطاق محدود لان البعد العربي في سياسة مصر لم يكن قد ظهر بعد ، ثم ان مصر كانت في عزلة كاملة عن الاتحاد

السوفيتي · ومن هنا فان الصدام بين مصر وبريطانيا في هذه المرحلة كان صداما داخل مصر بعيدا عن الامة العربية وبعيدا عن الساحة الدولية في الوقت نفسه ···

. .. .

. .. .

ثانيا ـ الصدام بسبب حلف بغداد ، ذلك ان بريطانيا وقعت اتفاقية الجلاء مع مصر لاسباب ، من بينها ان ذلك يفتح الباب امام ترتيبات امن جماعي في المنطقة ، لكن جمال عبد الناصر رفض ان يفتح بابا او يدخل من باب مفتوح !

وكانت وجهة نظره كما يلي :

« ان الامة العربية لديها مصلحة واحدة ولديها امن واحد ، وهي تتولى الدفاع عن نفسها بنفسها ضد اي اعتداء عليها مهما كان مصدره » ·

وكانت اسئلته لكل من يحاوره في موضوع الاحلاف بغير نهاية :

« اي امن مشترك بيننا من ناحية وبين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية اخرى ؟ » ·

« اي دور لنا غير دور التابع في نظام دفاعي يضم القوى الكبرى ؟»

« التهديد الاساسي لامننا يجيء من اسرائيل ، والغرب هو السند الرئيسي لاسرائيل ـ فكيف اتحالف عسكريا مع اقرب الاصدقاء لعدونا ؟ »

« اي امن مشترك بيننا وبين دول الحزام الشمالي في الشرق الاوسط ، وهي باكستان وايران وتركيا ، وهذه قد ترى الانضمام الى احلاف الغرب لاسباب لديها ليست قائمة بالنسبة لنا ؟ » ·

« اي عداء مسبق بيننا وبين الاتحاد السوفيتي يجعلنا نسمح لاراضينا بان تكون قواعد لتطويقه بالاسلحة النووية ؟ » ·

« اي دخل لنا بحرب باردة بين العمالقة يمكن ان تتحول في اي لحظة الى حرب ساخنة بالاسلحة النووية التي لا نملكها ولا نستطيع السيطرة عليها على ارضنا اذا سمحنا بتواجدها فيها ؟ » ·

وجاء انتوني ايدن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في بريطانيا الى مصر ، والتقى بجمال عبد الناصر إلى مائدة عشاء في دار السفارة

البريطانية في يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٥ ، وقال ايدن في هذا اللقاء لجمال عبد الناصر بعد أن استمع الى كل اسئلته ما مضمونه :

« ليكن ... ان الحكومة البريطانية على استعداد لان تقبل هذه الحجج لرفضه الدخول في حلف عسكري غربي ، ولكنها ليست على استعداد لان تقبل حربه ضد حلف بغداد الذي انضمت اليه بريطانيا مع العراق وتركيا وايران وباكستان » .

واستطرد ايدن يقول :

ـ ان حكومة العراق ـ حكومة نوري السعيد ـ قررت بمحض ارادتها وممارسة لسيادتها ان تدخل في حلف عسكري دفاعي مع الغرب واصدقائه في المنطقة ضد الاتحاد السوفيتي ـ وهذا امر لا دخل له بمصر او باية حجج تراها من وجهة نظرها مانعة لاشتراكها في مثل هذا الحلف ؟ » .

وقال جمال عبد الناصر :

ـ هناك اولا اعتبارات مبدئية .

منها انني كما قلت اعتقد بوجود مصلحة عربية واحدة وامن عربي واحد .

ومن هنا فانني اتصور ان الدفاع عن العالم العربي لا بد ان يرتكز على ميثاق الضمان الجماعي العربي ، وخروج دولة عربية من هذا الاطار يقتطع منه ويخل بتوازنه .

ثم ان هناك ثانيا اعتبارات عملية .

ذلك ان حكومة العراق سوف تحاول ـ وهي تحاول فعلا ـ ايجاد عمق للحلف الذي انضمت اليه ، ومعنى ذلك انها سوف تدعو وسوف تضغط على دول عربية اخرى للانضمام اليها فيما ذهبت اليه ، ومعنى ذلك انها سوف تحاول ضم سوريا ولبنان والاردن الى حلف بغداد .

واذا حدث ذلك فمعناه ان المشرق العربي كله قد حول انظاره عن الخطر الماثل في وسط ارض الامة العربية وهو اسرائيل ، الى خطر موهوم في الشمال موجه الينا من الاتحاد السوفيتي ... وهذا سوف يؤدي الى عزلة مصر وحدها امام اسرائيل ، هذا مع العلم انني لا ارى خطرا بالغزو يهددنا من ناحية الاتحاد السوفياتي ، واذا كنت تريد ان نتحدث عن خطر الشيوعية فدعني اذكر لك ان هذا الخطر ، على فرض انه موجود ، لن يجيئنا بواسطة دبابات الجيش الاحمر وانما سوف يجيئنا عن طريق تفكك الجبهات الداخلية في كل وطن عربي ، وحماية

الجبهات الداخلية للاوطان العربية لا تتحقق عن طريق الاحلاف العسكرية مع الغرب او مع غيره ، وانما تتحقق عن طرق الاستقلال وتدعيم هذا الاستقلال بخطط طموحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية »٠

وتساءل ايدن بعد حوار طويل :

ـ هل توقف مصر حملتها على حلف بغداد والمشتركين فيه اذا اعطيتك تعهدا بوقف الدعوة الى اشتراك دول عربية اخرى غير العراق فيه ؟ »

وقال جمال عبد الناصر « انه يعتقد ان ذلك امرا ممكنا » ٠

وفي يوم ٥ ابريل سنة ١٩٥٥ ذهب السير رالف ستيفنسون السفير البريطاني في القاهرة الى مقابلة مع جمال عبد الناصر ليبلغه رسالة من السير انتوني ايدن نائب رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها تقول بالنص : « ان بريطانيا قررت فرض « موراتوريوم » ـ اي فرض تجميد ـ على الدعوة لانضمام دول عربية اخرى غير العراق الى حلف بغداد ، وهي تنتظر ـ في مقابل ذلك ـ ان توقف مصر حملتها ضد حلف بغداد » ٠

وفي يوم ٦ ابريل سنة ١٩٥٥ ـ اي في اليوم التالي مباشرة لهذه الرسالة التي حملها السير رالف ستيفنسون من السير انتوني ايدن ـ اصبح ايدن رئيسا لوزراء بريطانيا بعد ان تنازل له ونستون تشرشل عن المقعد الذي طال انتظار ايدن له ٠

واعتبر جمال عبد الناصر انه تلقى التاكيد من اعلى مستوى في « هوايتهول » ٠٠٠ مباشرة من البيت رقم ١٠ دواننج ستريت مقر رئيس الوزراء البريطاني ٠

لكن « ديناميكا » الصراع في الشرق الاوسط لم تكن تسمح لمثل ذلك ان يحدث ، حتى على فرض ان انتوني ايدن كان جادا فيما وعد به ، فلم تكد تمضي اسابيع على هذا التاكيد حتى كان الضغط قد اشتد على سوريا بالذات لكي تنضم الى حلف بغداد ٠

٠ ٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠ ٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ثالثا ـ الصدام على الشرق الاوسط ، فان الصراع بسبب حلف بغداد الذي لم يتجمد لم يلبث ان انفجر ليصبح صراعا على مستقبل الشرق الاوسط كله ، والعالم العربي بالذات ٠

وبدات بريطانيا تلعب لعبة مزدوجة ، تساعد اسرائيل ضد مصر وفي

نفس الوقت تحاول الاحتفاظ بعلاقاتها التقليدية مع بقية العالم العربي ، ويروي شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي في مذكراته قصة تمثل اكثر من غيرها ازدواجية السياسة البريطانية في تلك الظروف ·

يقول شيمون بيريز في صفحتي ٣٩ و٤٠ من الجزء الاول من مذكراته :

« من الغريب ان مبيعات السلاح البريطاني لنا بدأت تزيد مع تناقص حجم القوات البريطانية في قاعدة قناة السويس نتيجة لاتفاقية الجلاء مع مصر ·

في تلك الاوقات بدا لنا ان بريطانيا قد راحت لاول مرة تأخذ طلباتنا من السلاح جدا ، وكانت ردودها علينا مرضية ، وان كنت اعترف انه كانت هناك مفارقات في تصرفاتها ·

واتذكر اجتماعا مع سلوين لويد في سنة ١٩٥٥ ، وكانوقتها وزيرا للدفاع في الحكومة البريطانية ، وذهبت الى مقابلته اطلب موافقته على ان تبيع لنا بريطانيا صفقة من الدبابات سنتورين وعددا من المدمرات ·

وتصورت ان فرصتنا كبيرة في الحصول على الدبابات وانها ضئيلة في الحصول على المدمرات ، لان الدبابات يمكن اخفاؤها ، واما المدمرات فهي هناك امام الدنيا ــ وامام اعدائنا ــ لكي يروها بغير سبيل الى اخفائها والتستر على مصدرها ·

ولفاجاتي فقد قال لي سلوين لويد « انه ليس لديهم اعتراض على المدمرات ، ولكنهم لن يسمحوا لنا بالحصول على الدبابات ! » · وسألته مندهشا : لماذا ؟ ــ وكانت اجابته الصريحة :

ــ ان المملكة الاردنية ليست لديها شواطىء تستطيعون امامها استعمال المدمرات ، ولكن المملكة الاردنية لديها معكم اتصال بري تستطيعون فيه استخدام الدبابات · »

وكان على شيمون بيريز ان يفهم ان بريطانيا تصرح لاسرائيل بشراء المدمرات لانها لا يمكن ان تستعمل الا ضد مصر ، وذلك مسموح به ··· او هو مطلوب في الصراع على الشرق الاوسط ·

كان الصراع محتدما على اشده في تلك الفترة ، وكان هذا الصراع مفتوحا لتاثيرات واسعة على امتداد المنطقة كلها ··· وحتى المصادفات كان لها تاثيرها الكبير لان الظروف كانت بالغة الحساسية ، ولان الموازين كانت على استعداد لان تتارجح امام نسمة هواء ·

وقد لعبت المصادفات على سبيل المثال دورا خطرا في تسويء العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وكان ذلك ابان محاولة اخيرة بذلها الطرفان لانقاذ ما يمكن انقاذه ، اذا كان ذلك ممكنا ·

كان جمال عبد الناصر قد حدد موعدا لمقابلة سلوين لويد وزير الخارجية البريطاني في يوم اول مارس سنة ١٩٥٦ ، وكان سلوين لويد في طريقه الى كاراتشي لحضور اجتماع لمنظمة الدفاع عن جنوب شرق آسيا واقترحت لندن ان يمر سلوين لويد بالقاهرة في طريقه الى كاراتشي ، ووافق جمال عبد الناصر وحدد موعدا ··· بل موعدين ·

موعد على العشاء بعد وصول سلوين لويد الى القاهرة ·

وموعد اخر صباح اليوم التالي – ٢ مارس – قبل سفر سلوين لويد مباشرة الى البحرين ، ومنها الى كاراتشي ·

وجاء سلوين لويد الى العشاء في قصر الطاهرة ومعه السير هارولد كاسيا الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية والسير همفري تريفليان السفير البريطاني في القاهرة ·

ومع جمال عبد الناصر جاء الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصري وقتها ·

كانت هناك محادثات قبل العشاء جرى فيها استعراض لعلاقات البلدين ، ولاوضاع الشرق الاوسط ، ولمفاوضات تمويل السد العالي ، وللموقف الدولي ·

وكان جمال عبد الناصر يريد ان يشجع سلوين لويد على ان يوجه اليه اي سؤال يخطر في باله ، لانه كان حريصا على ان تنجح محاولة التفاهم التي تستهدفها الزيارة ، وتشجع سلوين لويد وسأل جمال عبد الناصر :

– انك تقول بعدم الانحياز ولكنك منحاز ضدنا ··· لو اذنت لي أن اقول ، فاننا نرى ان « عدم انحيازك » يختلف عن « عدم انحياز » تيتو مثلا ·

وقال جمال عبد الناصر :

– ان عدم الانحياز في مفهومي يعني استقلال الارادة ، والمسألة فيما يتعلق بنا وبكم انكم كنتم القوة المسيطرة في منطقتنا ، ومعنى ذلك اننا حين نؤكد استقلال ارادتنا ، فان هذا يبدو معاديا لكم ، وهذا منطقي لاننا نستخلص منكم ما كان واقعا تحت نفوذكم من ارادتنا ··· وهكذا يبدو عدم انحيازنا معاديا لكم في بعض الاحيان ·

والصورة عكس ذلك فيما يتعلق بتيتو ، فهو في منطقة من اوروبا الشرقية تقع تحت نفوذ السوفيت ، ولذلك فانه حين يؤكد استقلال ارادته يستخلص من السوفيت ، وليس منكم بطبيعة الحال . »

وبدا على سلوين لويد انه يفهم ما يسمع .

وانتقل الجميع الى غرفة الطعام ، والحديث ما زال مستمرا ، وان كان قد عاد الى اوضاع واحوال المنطقة العربية ، ثم توقف امام الاردن وامام الدور الذي يلعبه الجنرال جلوب القائد البريطاني للجيش العربي الاردني .

وقال جمال عبد الناصر :

ـ انني لا افهم لماذا تحتفظون برجال من امثال جلوب ... هؤلاء رموز عهد مضى ولا بد من تصفية آثاره ... ولو كنت مكانكم لبدأت عهدا جديدا من التفاهم مع العرب لا يقوم على نصائح من نوع ما يقدمه جلوب . »

وراح سلوين لويد يمتدح جلوب باشا ودوره في الاردن .

وفي هذه اللحظة حدث شيء لفت انظار الجالسين حول المائدة ، فقد طلب سكرتير السفير البريطاني بالحاح ان يسمح له بدخول قاعة الطعام لان لديه رسالة هامة يريد تسليمها فورا للسير همفري تريفليان ... ودخل فعلا وناول رسالته الى السفير الذي قرأها ثم وضعها في جيبه ، لكن الجالسين احسوا انه بعدها لم يعد كما كان قبلها ... فقد ظل ساهما طوال العشاء وكأن افكاره كلها شاردة الى بعيد .

وانتهى العشاء وخرج سلوين لويد مع السير همفري تريفليان والسير هارولد كاسيا ، وركبوا سيارة السفير في الطريق الى السفارة ، والتفت سلوين لويد الى السفير يسأله عما حدث ، وقال السير همفري تريفليان وهو يناوله الرسالة التي تلقاها على العشاء :

ـ شيء فظيع ... ان جلوب باشا قد طرد من الاردن وقد امره الملك حسين ان يغادر عمان في ظرف ساعات .

وقرأ سلوين لويد الرسالة بتفاصيلها واحتقن وجهه ، والحت عليه اسئلة كأنها لسعات جمر تحرق اعصابه :

« هل كان جمال عبد الناصر يعرف بطرد جلوب وهو يتحدث عنه على العشاء ؟ »

« لا بد انه كان يعرف ··· بل لا بد انه اشترك في تدبير الانقلاب ضد جلوب · فهل كان طول الوقت يسخر منه في سره ؟ »

« هل كان يعامله كالقط يداعب الفأر قبل ان ينقض عليه لافتراسه ؟»

ولم ينم سلوين لويد طول الليل ، وانما ظل ساهرا في السفارة البريطانية يتابع البرقيات المرسلة من وزارة الخارجية الى سفارتها في القاهرة عن تفاصيل سقوط جلوب باشا في الاردن ·

وفي الصباح كان سؤاله الاول الى السفير السير همفري تريفليان :

ـ هل ترى داعيا لان اذهب الان ، قبل سفري الى البحرين ، للقاء الرئيس ناصر ··· لست ارى فائدة من مقابلة ثانية مع رجل عاملني في المساء على هذه الصورة الجارحة ·»

وكانت نصيحة السير همفري تريفليان ، وقد ايده فيها السير هارولد كاسيا ، ان الموعد موعد ··· وانه لا بد من احترامه لكي لا تزيد الامور سوءا على سوء ·

والحقيقة ان جمال عبد الناصر لم يكن يعرف نبأ سقوط جلوب وهو يتحدث عنه كرمز لعهد انقضى اثناء العشاء في قصر الطاهرة · وان كان ذلك لا ينفي بالطبع ان سقوط جلوب كان شيئا محتملا في اطار الحركة العامة التي قادها جمال عبد الناصر والتي اثرت في الاردن كما اثرت في غيره ·

ولعلي اقول ان جمال عبد الناصر لم يعرف بالنبأ الا على نحو سريع ومبتسر، وكنت انا مصدر معلوماته عن ذلك قبل مقابلته لسلوين لويد بخمس دقائق ، بل انني كنت على التلفون معه حين دخلت سيارة سلوين لويد الى فناء بيته في الساعة التاسعة صباحا بالضبط ·

كان « توم ليتل » مدير وكالة الانباء العربية في ذلك الوقت هو مصدري، فقد اتصل بي في الصباح ليقول لي ان دور جلوب باشا في الاردن قد انتهى ، وانه سوف يغادر عمان خلال ساعات ، ويسالني عما اذا كنت ارغب في التعليق على القصة لوكالة الانباء العربية ·

وقلت لتوم ليتل انني ساتصل به بعد دقائق لاعطه تعليقا ، ثم وجدت مناسبا ان اسال جمال عبد الناصر اذا كان يعرف شيئا عن الموضوع ·

وادرت رقم تليفون جمال عبد الناصر اريد ان الحق به قبل موعده المحدد مع وزير الخارجية البريطانية ، واحسست على الفور ان جمال عبد الناصر ليست لديه فكرة عن الموضوع ، فقد سالني :

ـ ما هي التفاصيل ؟

وقلت :

ـ ليست هناك تفاصيل بعد على وكالات الانباء ، ولكني عرفت النبأ من « توم ليتل » ٠

وقال جمال عبد الناصر ، ولم يكن يخطر بباله ان ما حدث في عمان انقلاب قاده الملك حسين على اوضاع قديمة :

ـ غريبة ٠٠٠ لقد كنت اتحدث بالامس مع سلوين لويد في هذا الموضوع٠ ؟
واستطرد قائلاً :

ـ لو ان هذا التصرف كان من جانبهم فمعنى ذلك انهم بالفعل يريدون قلب صفحة الماضي في المنطقة العربية ٠٠٠ وفي كل الاحوال فهي خطوة هامة وذكية ٠

ثم قال جمال عبد الناصر :

ـ لقد دخلت سيارة سلوين لويد الان الى البيت ٠٠٠ وسوف اتصل بك بعد ان تنتهي المقابلة ٠٠٠

ومضت ساعة ونصف الساعة ، ودق التليفون ، وكان جمال عبد الناصر هو الذي يتكلم ، وكانت ضحكته المرحة تسبق كلامه وهو يقول :

ـ ان الرجل لا يصدق انني لم اخدعه ٠

هو يتصور انني كنت اعرف بخروج جلوب وانني كنت اسخر منه طوال العشاء ٠

لقد احسست عندما دخل ان وجهه محتقن ، وبادر فسألني :
ـ هل عرفت بما حدث في عمان ؟

وقلت له :

ـ انني عرفت ، وهي خطوة طيبة على اي حال ٠

واحسست ان الرجل فوجيء بكلامي ، لانه قال :

ـ اي خطوة طيبة هذه يا سيدي ٠٠٠ هذه خطوة مشؤومة ٠
وقلت له :

ـ لقد تصورت انكم انتم الذين اخذتم القرار بذلك في محاولة منكم لتحسين اوضاعكم في المنطقة العربية ٠

وفوجئت به يقول في عصبية :

ـ هل يمكن لنا ان نتخذ من جانبنا مثل هذا القرار ··· ان ما حدث انقلاب في الاردن ·

وبدأت ادرك ان الامر ليس كما تصورت ، فقلت لسلوين لويد :

ـ انني اعتقد انهاخطوة طيبة لان جلوب لم يكن ميزة لكم في الاردن وانما كان وجوده عبئا عليكم ·

وضحكت لان سوء التفاهم كان مثيرا ، ولكن سلوين لويد كان يزداد احتقانا ، ووجدت من الضروري على ان افسر له ، فقلت :

ـ انني على العشاء امس لم اكن اعرف ··· ولم اعرف الا الان قبل دخولك بخمس دقائق ··· وما عرفته كان مختصرا ومبتسرا ·

وقال لي سلوين :

ـ انني اصدقك يا سيدي ···

ولكنني اكاد اقطع بانه لم يصدقني ·

ان الرجل ينسب الي ما لا علم لي به ··· واسوأ من ذلك فهو يتصور انني قضيت ليلة باكملها اسلي نفسي بالسخرية منه ·»

وفي مساء نفس اليوم عاد جمال عبد الناصر الى الاتصال تليفونيا بي يقول :

ـ هل عرفت بما حدث لسلوين لويد في البحرين ؟

الرجل سيء الحظ بغير شك ·

قابلته في البحرين مظاهرات صاخبة ضد السياسة البريطانية وقذفته المظاهرات بالحجارة ، واضطر الى الهرب ليحتمي في بيت من البيوت حتى انقذته قوات الامن ·

والمصيبة انه سوف يضيف الى حسابي ما حدث له في البحرين ·

سوف يتصور انني دبرت له المظاهرات لكي اكمل في البحرين سخريتي منه في القاهرة عارفا بما حدث لهم في عمان ·»

وكان ما توقعه جمال عبد الناصر صحيحا الى ابعد حد ·

اعتبر سلوين لويد ان جمال عبد الناصر سخر منه في موضوع جلوب · وحشا الجرح بالملح في البحرين !

وكان انتوني ايدن يغلي في لندن ، فقد اعتبر ان ما حدث كله في عمان

والقاهرة والبحرين مؤامرة ضده في الشرق الاوسط رتبها ونفذها جمال عبد الناصر ٠

٠ ٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠ ٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

رابعا ـ الصدام الشخصي بين انتوني ايدن وجمال عبد الناصر ، فقد وصل ايدن الى رئاسة الوزارة البريطانية بعد انتظار طويل ، والموضوع الاساسي امامه هو الشرق الاوسط ٠

وكانت مقابلته لجمال عبد الناصر في شهر فبراير سنة ١٩٥٥ ، رغم بعض نتائج ايجابية اسفرت عنها ، مقابلة غير سعيدة ، فقد كان الرجلان نقيضين في كل شيء ٠

الديبلوماسي الشهير الذي يريد ان يثبت نفسه كرجل دولة ٠٠٠ والثائر القادم من تحت الارض يريد ان يغير الخريطة السياسية والاجتماعية للشرق الاوسط ٠

كان ايدن خبيرا في الشؤون الشرقية منذ تخصص في الدراسات الفارسية ودرس اللغة العربية وحفظ بعض عيون ادبها ، وتاثر اكثر ما تاثر في علاقاته بالعالم العربي بالنظرة الرومانسية التي اشاعها لورانس وغيره عن « بدو الصحراء الذين يعتمد عليهم في العالم العربي ، خلافا لسكان المدن الذين لا يعتمد عليهم » ٠

وكان جمال عبد الناصر رجلا مشغولا بالانسان العربي المعاصر ، لم يعش حياة الخيمة وانما كان تعبيرا صلبا عن الحركة الثورية للقوى الشعبية الجديدة في العالم العربي ٠

وكان ايدن يحضر ذلك العشاء في السفارة البريطانية ببذلته السموكنج ٠
وكان جمال عبد الناصر بزي بكباشي في القوات المسلحة المصرية ٠
وكان ايدن يتحدث بالاشارات والايماءات ٠

وكان جمال عبد الناصر يقول كلمته بادب ولكن بحسم ٠

وكان ايدن يحاول على العشاء ان يبهر زوجته باميلا تشرشل ، وكان قد تزوجها قبل قليل وفارق السن بينهما خمس وثلاثون سنة ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر يريد ان يبهر احدا ، وانما كان يتحدث برأيه ولا يدخل في مباراة للتاثير على الجالسين حول مائدة العشاء ٠

ولقد قالت ليدي باميلا فيما بعد انها وجدت جمال عبد الناصر رجلا فظا لا يفهم حضارة الغرب ولا اساليبها ٠

وحين سقط جلوب وثارت ثائرة ايدن ، كانت ليدي باميلا عنصر تحريض عنيف يسكب النار فوق الزيت المشتعل ، تريد من زوجها ان يثبت لكل الذين يتهمونه في حزب المحافظين بانه نمر من ورق ، انه على العكس من ذلك قادر على قبول التحدي ٠

ويروي انتوني ناتنج ، وكان وزيرا للدولة في وزارة الخارجية ، في مذكراته ما يلي :

« كواحد قضى مع ايدن طول ليلة عملية طرد جلوب ـ فاني استطيع ان اشهد بانه وضع اللوم كله على ناصر ، وفي ذلك اليوم الحاسم قرر ايدن ان العالم لا يمكن ان يتسع له ولناصر » ٠

ويستطرد انتوني ناتنج ، فيروي ان بعض خبراء وزارة الخارجية اعدوا تقريرا رفعوه الى ايدن عن اكثر الوسائل فاعلية لعزل جمال عبد الناصر وحصر نفوذه ، وقرأ ايدن التقرير واتصل بانتوني ناتنج ، وكان ليلتها يقيم مادبة تكريم للسياسي الامريكي هارولد ستاسن في فندق سافوي ، ويقول ناتنج ان ايدن صرخ فيه على التليفون قائلا له بالحرف :

ـ ما هذا الهراء عن عزل ناصر او حصر نفوذه كما تسمونه ، انني اريد تدميره ٠

وحاول ناتنج ، على حد قوله ، ان يهدىء من ثائرة ايدن فقال له انه قبل تدمير عبد الناصر فلا بد من العثور على رجل اكثر اعتدالا منه ، والا سادت الفوضى في مصر ٠ واذا بايدن يصرخ فيه على التليفون :

ـ لا يهمني العثور على رجل اخر ٠٠٠ ولا يهمني على الاطلاق ان تسود الفوضى في مصر ٠

ويروي ناتنج ايضا انه من يومها لم يعد ايدن يتصل بالخارجية وانما تحوّلت اتصالاته كلها إلى وزارة الحربية وهيئة اركان الحرب والمخابرات البريطانية ، وكان تفكيره يتأرجح بين الغزو ، والتآمر لاحداث انقلاب في مصر ،او الاكتفاء بعملية اغتيال لجمال عبد الناصر الذي كان ظله قد راح يغطي الشرق الاوسط كله ٠

٠٠٠٠٠٠

٠٠٠٠٠٠

هكذا سارت بريطانيا على طريق السويس ٠٠٠

واندفع ايدن الى خطيئة الخطايا ٠٠٠ الى الذنب الحرام الذي يستوجب اللعنة الابدية ـ كبطل مأساة اغريقية !

الحديث الخامس :

الفارس الرابع على طريق السويس
وحكايته الطويلة المعقّدة !

كانت الولايات المتحدة الامريكية شريكا رابعا في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، ولكنها اختلفت مع فرسانه الثلاثة في اسلوب تنفيذه ، وفي التوقيت ، وفي الاعداد السياسي له ، وكان ذلك الخلاف ومضاعفاته هو ما قادها في النهاية ـ راضية او كارهة ـ الى دور غريب في حرب السويس ساعد على انتصار مصر وعلى هزيمة الفرسان الثلاثة ، وهم اقرب الحلفاء اليها واعز الاصدقاء !

ونستطيع القول ان الولايات المتحدة كان لها هدف ثابت لم تحد عنه ، ولا اظنها حادت عنه حتى الان ، وهذا الهدف هو : تحقيق صلح بين مصر واسرائيل وترتيب اوضاع المنطقة على هذا الاساس تحت مظلة النفوذ الامريكي بالطبع ٠

وتحقيق الصلح بين مصر واسرائيل يشمل ضمنا مطالب متعددة تمهد له وتفتح الطريق اليه ، كمطلب عزل مصر عن العالم العربي ، وبديهي ان مصر المعزولة عن العالم العربي هي مصر المستعدة للصلح مع اسرائيل ، وكمطلب سلب العرب خيار الحرب ، وبديهي ان العالم العربي بغير مصر لا يستطيع ان يحارب ، وكمطلب تامين تدفق البترول العربي باسعار مناسبة وبغير انقطاع ، وبديهي ان هذا يتحقق اذا توقفت المقاومة الفعالة في العالم العربي وهي تتوقف اذا غابت مصر ، وكمطلب تصفية القضية الفلسطينية ، وبديهي ان هذه القضية يسهل تصفيتها اذا كانت مصر خارج الصراع ٠

وكان هدف تحقيق صلح بين مصر واسرائيل وراء محاولة الولايات المتحدة ان تقترب من الثورة المصرية منذ اول يوم ، وان تحاول غوايتها واحتواءها ٠

□

وربما تكون هذه فرصة مناسبة لكي اتعرض لخرافة تقول بان الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها ، وانها كانت في سرها قبل اذاعته ، وبعض الذين يروجون لهذه الخرافة يعتمدون ، لسوء الحظ ، على رواية اوردها المستر مايلز كوبلاند في كتابه « لعبة الامم » دون ان يسالوا انفسهم سؤالا بسيطا ، هو :

ـ من هو مايلز كوبلاند ؟

ومايلز كوبلاند ـ وهو يعترف بذلك في كتابه ـ احد موظفي ادارة

المخابرات المركزية الامريكية الذين عملوا في مصر فترة من الزمن ، وشأنه شأن غيره من موظفي هذه الوكالة لا يستطيع ان يكتب وان ينشر بغير اذن ، ومعنى ذلك ان ما كتبه ونشره كان محل موافقة من وكالة المخابرات المركزية التي كان يهمها تلطيخ سمعة الثورة المصرية والاساءة الى قائدها جمال عبد الناصر ·

اي ان الكتاب من اوله الى اخره جزء من حملة في « الدعاية السوداء »، كما يسمونها ، ضد الثورة وقائدها ·

وتضم ملفات الحكومة المصرية ، في رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء وادارة المخابرات العامة ، مجموعة وثائق تكفي لادانة مايلز كوبلاند ، ولست اعرف لماذا لا تنشر كلها او ينشر بعضها في مواجهة ما يكتبه وينشره مايلز كوبلاند ؟

في هذه الملفات خطابات بامضاء مايلز كوبلاند يطلب اموالا من الحكومة المصرية لينشيء لحسابها ادارة مخابرات مقرها لندن او جنيف تقوم على خدمتها، وتأشيرات على هذه الخطابات برفض العرض لاننا لا نستطيع ان نعهد لعميل للمخابرات الامريكية بانشاء مخابرات مصرية ·

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدي فيها استعداده لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه « لعبة الامم » ـ وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه ، لان مجرد الرد عليه يعطيه قيمة ليست له ·

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من ان جميع المصريين المسؤولين لا يقابلونه ولا يردون عليه ، بينما هو يريد ان يخدم ، ولا يطلب من مصر الا ما يستطيع ان يعيش به ويحافظ على مستواه ـ وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله الى مصر وبعدم حاجتها الى خدماته ، وبانها ليست مسؤولة لا عن معيشته ولا عن مستوى معيشته ، وانه مغامر على استعداد لان يبيع نفسه، ومصر ليست مستعدة لان تشتري !

□

لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ليلة ٢٣ يوليو ، وبعد نجاح الثورة ، وحين كلف قائد الجناح ـ وقتها ـ علي صبري بان يتوجه الى السفارتين البريطانية والامريكية ، وان يبلغ اثنين من الملحقين سبقت له معرفتهما اجتماعيا « بان الثورة التي قامت ونجحت واستولت على السلطة في مصر هي عمل داخلي بحت ، وانه من الخير ان تعرف الدولتان مبكرا ـ وان يعرف العالم كله ـ ان النظام الجديد يحترم التزامات مصر الدولية ، وانه لا

يريد ان يبادر احدا بعداء ليس هناك ما يستوجبه الا الدفاع الشرعي عن النفس ».

وكانت الفكرة وراء هذا التبليغ المبكر للسفارتين ان يسبق اية محاولة استعداء يقوم بها القصر ضد الثورة ، ومخافة ان يكرر الملك فاروق ما فعله عمه الخديوي توفيق تجاه ثورة عرابي .

كان ذلك هو الاتصال الاولي ، وكان ذلك هدفه .

ثم كان بعد ذلك ان حاولت السفارة الامريكية في القاهرة ان تفتح بابا للاتصال مع النظام الجديد ، واتخذت قيادة الثورة قرارا بقبول فتح الباب على اساس ان الولايات المتحدة الامريكية لها وضع يختلف عن بقية القوى الكبرى وقتها .

كانت صورة الولايات المتحدة في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٢ ما زالت صورة مقبولة ، خصوصا اذا قورنت بغيرها .

لم يكن لها دور استعماري في المنطقة ، بينما كانت بريطانيا وفرنسا غارقتين في تاريخ استعماري طويل وقديم .

وكان الاتحاد السوفيتي بعيدا وراء الستار الحديدي لعصر ستالين .

وفوق ذلك فان الولايات المتحدة كانت خارجة من الحرب العالمية ضد هتلر والعالم كله يلتفت بالاعجاب لطاقاتها الهائلة التي كسبت الحرب ضد النازية ، ولاسلوب حياتها الذي كانت السينما الامريكية ترسم صورة جذابة له .

وكلف احد اعضاء مجلس الثورة – ولم تدم عضويته فيه اكثر من ثلاثة شهور او ربعة – وهو السيد عبد المنعم امين ان يتولى عملية فتح الباب ، وفي بيته اجتمع جمال عبد الناصر لاول مرة مع السفير الامريكي جيفرسون كافري.

وفي هذا الاجتماع الاول تشجع جيفرسون كافري مما سمع :

قال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه الاول ان يصل الى اتفاق مع بريطانيا يضمن جلاء قوات الاحتلال عن مصر – وهو يريد مساعدة الولايات المتحدة في اقناع بريطانيا بالجلاء » .

وقال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه التالي لذلك هو اجراء تغييرات اساسية في حياة الشعب المصري اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا – وهو يرحب

بأية معونة تستطيع الولايات المتحدة ان تقدمها في عملية تطوير اقتصاد مصر » ٠

وقال له جمال عبد الناصر : « ان هدفه الثالث هو تقوية الجيش المصري، فقد كانت الاسلحة الفاسدة من اسباب قيام الثورة ـ وهو يسأل : هل تستطيع الولايات المتحدة ان تبيع مصر سلاحا حديثا يحمله جيشها للدفاع عن حدودها؟»

وتساءل جيفرسون كافري في هذا الاجتماع الاول :

ـ واسرائيل ٠٠٠ كيف ترون اموركم معها ؟

ورد جمال عبد الناصر بان اسرائيل ليست شاغله الان ، ونظرته اليها ـ على اي حال ـ انها ليست خطرا يهدد مصر ، لان الخطر ليس قوة اسرائيل ، وانما هو ضعف مصر اقتصاديا واجتماعيا ٠

وعندما قرأت واشنطن تقارير كافري الاولى من القاهرة بعد قيام الثورة ، قررت ارسال عدد من المندوبين يتحققون بأنفسهم من الوضع الجديد واتجاهاته ، وكان بين هؤلاء المندوبين كيرميت روزفلت المسؤول الاول في ادارة المخابرات المركزية الامريكية عن الشرق الاوسط ، وقد وصل الى القاهرة تحت ستار انه مستشار خاص للبيت الابيض ، وقد عرف جمال عبد الناصر شخصيته الحقيقية قبل ان يقابله ، وتحدث اليه بمثل ما تحدث الى كافري ، وكان جمال عبد الناصر مستعدا لان يتحدث لكل من يريد ان يستمع اليه وينقل عنه ، فقد كان حتى تلك اللحظة ـ ولوقت طويل بعدها ـ ما زال على اعتقاده بان الولايات المتحدة الامريكية تختلف عن غيرها من القوى الكبرى !

□

كان اول لقاء بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر ١٩٥٢ ، وبعده بأيام وصل الى القاهرة المستر ويليام فوستر وكيل وزارة الدفاع الامريكية ، واجتمع جمال عبد الناصر به مرتين اثناء وجوده في القاهرة ، وموضوع شراء السلاح من امريكا هو الموضوع الاساسي في الحديث٠

في الجلسة الاولى مع ويليام فوستر ، قال فوستر لجمال عبد الناصر ان الولايات المتحدة على استعداد لان تبيع له كميات « معقولة » من الاسلحة ، وتساءل فوستر عما اذا كانت لدى مصر قائمة بما تريد ، ووعده جمال عبد الناصر بأن يقدم له القائمة عندما يلقاه على العشاء في اليوم التالي في بيت كافري ٠ ووصل جمال عبد الناصر في اليوم التالي على العشاء في بيت السفير الامريكي وفي جيبه قائمة بمطالبه من السلاح ، وكانت القائمة متواضعة : تسليح فرقة مدرعة من

الدبابات ، وخمسة اسراب من الطائرات المقاتلة ، وعدد من بطاريات المدفعية (مائة مدفع تقريبا) واخيرا بعض القطع البحرية بينها مدمرتان اثنتان ٠

وقرأ ويليام فوستر القائمة وهز رأسه بالموافقة قائلا : انها قائمة معقولة ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك الى تفاصيل كثيرة عن الصفقة : الانواع ـ الاسعار ـ طريقة السداد ـ ومواعيد التسليم ، ثم قال ويليام فوستر انه يقترح سفر بعثة مصرية الى امريكا لزيارة بعض القواعد العسكرية ومشاهدة انواع الاسلحة المطلوبة على الطبيعة ، ورؤية تجارب عملية لادائها على الطبيعة ٠

وسافر ويليام فوستر تاركا وراءه جوا من التفاؤل ٠

وتأكد جو التفاؤل حين اتصل كافري بعد عدة ايام بجمال عبد الناصر ليسأله عن موعد سفر البعثة العسكرية المصرية الى واشنطن ، وابلغت السفارة الامريكية بان بعثة برئاسة علي صبري سوف تكون على استعداد للسفر الى واشنطن في اي وقت ابتداء من الان !

□

كانت تلك هي الظروف التي دخلت فيها انا شخصيا للقيام بدور في مجال العلاقات المصرية الامريكية ، فقد كنت في الطريق الى الولايات المتحدة لتغطية انتخابات الرئاسة الامريكية في شهر نوفمبر ١٩٥٢ بين الجنرال دوايت ايزنهاور مرشحا عن الحزب الجمهوري ، والمستر ادلاي ستيفنسون مرشحا عن الحزب الديمقراطي ٠

واتذكر انني قابلت جمال عبد الناصر قبل سفري ، وكان قوله لي :

« وانت في واشنطن اريدك ان تتابع من الناحية السياسية عملية صفقة لاسلحة الموعودة لمصر ٠٠٠ ان علي صبري سوف يتولى الناحية العسكرية واريدك ان تتابع الناحية السياسية في المسألة ٠

انك سوف تقابل كثيرين بحكم عملك الصحفي ، كما ان كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا ، ثم انك تعرف هناك كثيرين من الصحفيين والساسة ٠ »

ثم شرح لي جمال عبد الناصركل التفاصيل مما جرى حتى وقتها ، وسافرت، وكان علي صبري قد سبقني الى الولايات المتحدة بيوم واحد او يومين ، وحينما عدت من مهمتي هناك قابلت جمال عبد الناصر ، واتذكر انني قلت له ما ملخصه:

١ ـ انني لا اعتقد اننا سنحصل على اسلحة امريكية في وقت قريب ٠

٢ ـ انهم يريدوننا ان ننضم الـى حلف من احلافهم الدفاعية قبل ان يطمئنوا ويعطونا اي سلاح ٠

٣ ـ اننا في كل الاحوال لننستطيع الحصول على ما نريد من السلاح قبل ان يتاكدوا من اننا لن نستعمل اي سلاح نحصل عـليه ضد اسرائيل ٠

واهتم جمال عبدالناصر ـ كما اذكر ـ بمقابلة بيني وبين الجنرال اولمستيد رئيس برامج المساعـدة الامريكية العسكرية في البنتاجون ، وكانت مقابلـــة مثيرة كشف الجنرال فيها عن خريطة كبيرة للعالم مغطاة بالدبابيس الملونة وبالاعـلام التي تشير الى مواقـع القواعـد الامريكية في العـالم ، ثـم قال لي:

ـ ان منطقة الشرق الاوسط ـ كما ترى عـلى هذه الخريطة ـ خاليـــة من الدبابيس الملونة والاعـلام ٠٠٠ ونحن نريد أن نملاها ٠

ثم استطـــرد :

ـ ما رايك في حـلف اسلامي يرتكز عـلى الباكستان ـ اكثـر الــدول الاسلامية تعـدادا ـ وعـلى تركيا ـ اقوى الدول الاسلامية عسكريا ـ وفي القلب عـلى مصر ـ اقوى الدول الاسلامية تاثيرا » ٠

وعـندما قلت للجنرال اولمستيد :

ـ ان مثل ذلك ابعد ما يكون عن تفكير مصر الان »
كان رده :

ـ لماذا تريدون أسلحـة اذن ؟ هـل تريدون استعمالها ضد اسرائيل » ؟
وقلـت لـه :

ـ اننا نريد ان نكون قادرين على الدفاع عن انفسنا ضد اي عـدوان مهمـا كان مصدره » ٠

وكـان رده :

ـ ليس هناك مصدر محتمـل للعـدوان عـليكم الا الشيوعـية ، وليـس هناك نظام تستطيـعون مقاومتهـا به الا نظام حلف اسلامي ٠٠ ثم ان هـذا الحلف اذا قـام سوف يكون قـوة جذب لمسلمي الاتحـاد السوفيتي ومسلمـي الصين !! » ٠

ثم قلت لجمال عبدالناصر :

ـ باختصار فاني لست متفائلا ٠

وكـان رده بسرعـة :

ـ ولا أنـا ، ! ٠

□

وفي ١١ مايو ١٩٥٣ جاء جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايـات المتحـدة الجديد ، مع الجنرال ايزنهـاور الذي كان قد نجح في انتخابـات الرئاسة ، الى القاهرة ، وكانت أهداف جون فوستر دالاس من رحلته ، كما كتب بنفسه في اوراقه الخاصة الموجـودة الان فـي جامعـة برنستون ، ثلاثة :

١ ـ ان الشرق الاوسط منطقة فراغ لان بريطانيا ليس أمامها الا الرحيل ، والمنطقة مكشوفة وهي مفتوحة لمن يريد أن يعـمل ويعـيد ترتيب أوضاعـها ، ولا بد للولايات المتحـدة أن تسبق غـيرها اليها ٠

٢ ـ انه يريـد اقناع المنطقة ـ وجمال عبدالناصر في وسطها ـ باقامـة حلف دفاعـي يستكمل طوق القواعـد الامريكية المحيطة بالاتحاد السوفيتـي ٠

٣ ـ ان تحقيق صلح بين مصر واسرائيل يعـني اعـادة السلام للاراضـي المقدسة ، وهـو حـلم كل سياسي مسيحي ٠

ومن الحق ان يقال انصافا لكل الاطراف ان جون فوستر دالاس غادر القاهرة حائـرا ٠

كانت لديه قناعـات ثابتة جاء بهـا معـه ، ولكنـه في القاهرة سمع مـن جمال عبدالناصر كلاما مقنعـا لم يجد لديه ردا كافيا عـليه ٠

قال له جمال عبد الناصر : ان الفراغ في المنطقة لا يملاه الا اهلها ، وأن الوطنية والقومية العربية هي أهـم القوى المحركة فيها والفاعـلة ٠

وقال له جمال عبد الناصر : ان شعوب المنطقة لا يمكن ان تخرج من عهد الاحتلال السافر الى عـهد قواعـد عسكريةتشترك فيها نفس الدول المحتلـة السابقة ، والا بـدا الامر لشعوبها وكأنه مهـزلة ليس بعـدها مهزلة ٠

وقال له جمال عبدالناصر :ان السلام في الارض المقدسة لن يجيءالا باحترام حقوق مشروعـة للشعـب الفلسطيني ٠

ولقد كتبت من قبل تفاصيل ذلك اللقاء بين عبدالناصر ودالاس ، ولست اريد أن اكرر نفس الكلام ، ولهـذا اكتفي بالقول بأن دالاس خـرج حائرا من القاهرة بين قناعاتـه السابقة وبين كلام مقنـع قيل لـه ٠

والمهم ان هذه الحيرة لم تصل باصحابها الى قرار في موضوع السلاح ·

□

وكانت الحوادث في الشرق الاوسط تتحرك بسرعة ، ولا تنتظر الحائرين حتى يستقر رايهم ويصلوا الى قرار محدد ·

قام حلف بغداد ··· وان كانت الولايات المتحدة قد آثرت أن لا تنضم رسميا اليه ···

ثم وقعت الغارة على غزة ، ووجد جمال عبدالناصر انه لا يستطيع البقاء اعزل أمام اسرائيل ·

ثم سافر عبد الناصر الى باندونج ، وبرزت سياسة عدم الانحياز ،

واعتبرها جون فوستر دالاس ظاهرة خطيرة في الشرق الاوسط تقضي على آماله في اعادة ترتيب أوضاع المنطقة ، والى جانب ذلك فلقد نذكر أنه في رانجون – في الطريق الى باندونج – طرح جمال عبد الناصر على شواين لاي – رئيس وزراء الصين – امكانية حصول مصر على سلاح من الاتحاد السوفيتي·

وجاء الرد بالايجاب من الاتحاد السوفيتي بواسطة دانييل سولود السفير السوفيتي في القاهرة ·

ولم يدر جمال عبدالناصر أو يلف ، وانما قال بعدها للسفير الامريكي في القاهرة هنري بايرود :

«إنه اذا لم يحصل من امريكا على ما طلب من السلاح فسوف يحصل على ما يريد من الاتحاد السوفيتي · »

ورفض جون فوستر دالاس ان يصدق تقرير بايرود ، واعتبر ان جمال عبدالناصر يحاول التشهير والابتزاز ، وأن الاتحاد السوفيتي لن يبيع سلاحا لعبد الناصر لان الاتحاد السوفيتي مقيد بروح مؤتمر الاقطاب الاربعة في جنيف ·

والغريب أن دالاس كان يرفض أن يصدق في الوقت الذي كانت المفاوضات فيه بين مصر والاتحاد السوفيتي قد بدأت بالفعل في القاهرة وفي براغ ، وكان الاتحاد السوفيتي هو الذي اقترح عقد الصفقة عن طريق تشيكوسلوفاكيا حرصا منه على انجاح مؤتمر جنيف ، ثم على روح مؤتمر جنيف ، وفي هذه النقطة كان مع دالاس بعض الحق ··· بعض الحق وليس كل الحق !

□

ومع شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ كانت الحوادث تجري بسرعة مخيفة دون سيطرة لاحد على سياقها ٠

وطرأت حادثة صغيرة أدت الى قطع العلاقات تماما بين جمال عبدالناصر وبين هنري بايرود السفير الامريكي في القاهرة رغم صداقة وثيقة واعجاب متبادل كان يربط ما بين الاثنين ٠

فقد اقام الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن ـ وكان وقتها يقضي اجازة بالقاهرة ـ مأدبة عشاء في بيت صهره الدكتور سيد شكري بالجيزة دعا اليها جمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادي والسفير الامريكي في القاهرة هنري بايرود ٠

ووصل بايرود قبل جمال عبد الناصر الى بيت الدكتور سيد شكري وراح يحتسي الويسكي يغرق بها عصبية شديدة كانت بادية عليه ٠

ووصل جمال عبد الناصر الى بيت الدكتور سيد شكري متاخرا اكثر من ساعتين عن موعد العشاء لشواغل عطلته ، والتفت وهو يجلس الى هنري بايرود وسأله :

ـ كيف أحوالك ؟

وقال بايرود بعصبية :

ـ سيئة جدا يا سيادة الرئيس ! »

ودهش جمال عبدالناصر وقد لاحظ عصبية السفير الامريكي ، واستطرد بايرود :

ـ سيادة الرئيس ، ان أحد رجالي قد ضرب بوحشية اليوم في السويس ٠٠٠ ضرب الى درجة انه الان بين الموت والحياة » ٠

وقال جمال عبدالناصر بهدوء :

ـ اظنك تقصد رجلا اسمه « فينش » ، ولا اظنه من رجالك ، وانما هو من رجال وكالة المخابرات الامريكية ٠٠٠ وقد ذهب الى السويس في وسط عمال البترول ٠٠٠ وقد حاول وسطهم ان يتكلم بلهجة معادية للنظام في مصر ٠٠٠ ولقد رفضوا سماعه وضربوه ، ولست أعرف لماذا يذهب رجال مخابراتكم الى وسط عمالنا ؟» ٠

وقال بايرود : ـ

ـ ان المستر فينش ملحق عمالي بسفارتي وليس من رجال المخابرات ،

وأنا أسأل لماذا يضرب ··· وأطلب ترضية كافية عن ذلك لان هذه مسؤوليتي ··· أنا مسئول عن رجالي » ·

وقال جمال عبد الناصر بهدوء ، وان كان الجالسون من حوله ليلتها قد أحسوا أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة :

ـ أنت مسؤول عن رجالك ، وأنا مسؤول عن مصر ، ولا أستطيع أن اسمح لرجالك أو لرجال غيرك بالعبث بين أهلها » ·

ولم يسكت بايرود وانما استطرد :

ـ ان فينش ضرب بوحشية ··· وأنا لا استطيع أن أقبل ذلك » ·

واطفأ جمال عبد الناصر سيجارة كانت في يده على مطفأة سجاير كانت بجانبه وقال :

ـ تستطيع أن لا تقبل كما تشاء » ·

ثم نهض واقفا واتجه الى الباب ووراءه عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادي والدكتور أحمد حسين يجري وراءهم محاولا تدارك الموقف ومعتذرا بأن « بايرود » شرب أكثر مما يستطيع تحمله قبل مجيء الرئيس ، وانه على كل الاحوال في محنة ، فهو يشعر أنه مطحون بين واشنطن والقاهرة ·

وكان ذلك صحيحا ، فان بايرود كان اختيارا لمنصب السفير في القاهرة روعيت فيه مواصفات كثيرة معينة وضعت كلها لكي تناسب امكانيات تفاهمه مع جمال عبد الناصر ، فقد كان مساعدا لوزير الخارجية لشئون الشرق الاوسط ومعنى ذلك انه اكثر من سفير عادي ، ثم أن له خلفية عسكرية فقد كان جنرالا سابقا في الجيش ، ولعبد الناصر مثل هذه الخلفية ، ثم انه كان في مقتبل العمر والفارق بين سنه وسن جمال عبد الناصر عشر سنوات فقط ، وهو في هذا يختلف عن سلفه العجوز جيفرسون كافري الذي كان سنه ضعف سن جمال عبد الناصر ، ومن ثم كانوا يتصورون في البيت الابيض أن بينهما فجوة أجيال تعوق تفاهمهما ، وفضلا عن ذلك فلقد كانت لبايرود سمعة أنه قريب من وجهة النظر العربية ، وتلك اضافة الى رصيده ، وبالفعل فقد كان كثيرون يتوقعون لبايرود أن ينجح نجاحا لم يسبق له مثيل ، ولكن حركة التاريخ كانت تسير في اتجاه آخر ، فقد كانت تلك هي الفترة التي بدأ فيها الاحتكاك بين مصر الثورة والولايات المتحدة الامريكية بسبب الاحلاف العسكرية، وبسبب الاوضاع في الشرق الاوسط عامة ، وبالتحديد بسبب السلاح الذي كان بايرود يحاول جاهدا اقناع واشنطن بأن تبدأ في شحن شيء منه الى مصر ، ولو لمجرد الرمز ولتهدئة الخواطر ولرد الشكوك ، وكان بايرود واثقا

من أن جمال عبد الناصر سوف يلجأ الى مصدر اخـر للحصول على السلاح الذي يريده ، وكان بايـرود يعـرف في نفس الوقت أن دالاس لا يصدق تقاريره ،وحتى اذا صدقها فانهـا سوف تعتبر لـا فيهـا فشلا لقدرة « بايـرود » عـلى اقنـاع جمال عبد الناصر !! » ٠

كانت تلك هي حقيقة محنة « بايـرود » التي دفعتـه الى التصرف عـلـى النحو الذي تصرف بـه تلـك الليلة عـلى العشاء ، وكان جمال عبد الناصـر يعـرف ، وربما من هنـا اقتصر رد فعـلـه عـلى ما كان منـه ، ولو أراد لطلب من الخـارجية اعتباره شخصا غـير مرغـوب فيه ، ولجرى سحبه مـن القاهرة ، ولكن جمال عبد الناصر كان يقدر ويعـذر ، مع اصراره عـلى وضـع الحدود حيث ينبغـي لها أن تكون ٠

ولقد كانت هذه الواقعـة ـ على العشاء ـ مهمة حينما انفجرت أزمـة صفقة الاسلحـة السوفيتية ، لانهـا كما قلت ادت الى قـطع العلاقات بيـن « هنري بايـرود » وجمال عبدالناصر ٠

كانت أزمة صفقة الاسلحة السوفيتية عـلى وشك أن تنفجر ، وقد انفجـرت فعـلا بعـد أيام قليلة ، وبالتحديد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ ٠

الحديث السادس :

يوميّات أزمة

في سلسلة أزمات مع الولايات المتحدة

كان يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ والايام القليلة التي تلته فترة غريبة ومثيرة في القصة المعقدة للعلاقات المصرية الامريكية ٠

في ذلك اليوم ٢٦ سبتمبر كانت عناصر الصورة كما يلي :

● « جون فوستر دالاس » في حالة هياج في واشنطن ، فقد تاكد لديه ما رفض لزمن طويل تصديقه من ان جمال عبد الناصر سوف يلجأ الى السوفيت ليحصل منهم على ما عز الحصول عليه من الولايات المتحدة : سلاح يدافع به عن مصر وعن الامة العربية ضد غارات اسرائيل المستمرة على مواقع الحدود المصرية ، وعلى مواقع على خطوط الجبهة الارذنية ٠

في ذلك اليوم جاءه شقيقه الان دالاس ، مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، يقدم له تقريرا موثوقا حصلت عليه ادارته من براغ ـ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ـ يفيد ان صفقة سلاح قد عقدت بالفعل بين مصر والاتحاد السوفيتي ٠

● « جون فوستر دالاس » يقرر بدون تشاور مع الرئيس دوايت ايزنهاور ـ الذي كان راقدا في المستشفى مصابا بنوبة قلبية فاجأته قبل ثلاثة ايام ، يوم ٢٤ سبتمبر ـ أن يوجه الى جمال عبد الناصر انذارا لوقف صفقة السلاح و«الا» ٠

ويرى « دالاس » ان يطير الى القاهرة مبعوث سري خاص باسم رئيس الولايات المتحدة يوجه هذا الانذار ، ويقع اختياره على « كيرميـــت روزفلت » الذي سبق للقاهرة ان عرفته بوصفه مستشارا للبيت الابيض ، وهو في الحقيقة مسئول المخابرات المركزية الامريكية عن الشرق الاوسط ٠

● « جون فوستر دالاس » يخطر السفارة الامريكيّة في القاهرة بأن مبعوثا يمثل الرئيس الامريكي هو الان في طريقه الى القاهرة ، ويصلها مساء يوم ٢٧ سبتمبر ، وعلى السفارة ان تطلب موعدا مع الرئيس جمال عبدالناصر، وان يتولى هنري بايرود بنفسه عملية ترتيب هذا الموعد ٠

ولم يكن « دالاس » يعرف بطبيعة الحال ان العلاقات بين « هنري بايرود وجمال عبد الناصر مقطوعة منذ ايام بسبب حادثة المستر فينش الملحق العمالي في السفارة ، والطريقة التي عرض بها بايرود هذه الحادثة في العشاء الذي

اقامه الدكتور احمد حسين قبل ذلك بأيام ٠

وهكذا وجدت نفسي في خضم الحوادث الغريبة والمثيرة لهذه الفترة ولهذا فاني اوثر ان انقلها من دفتر مذكراتي عن تلك الايام ٠

صباح الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

في الساعة الواحدة والثلث صباحا رن التليفون بجوار فراشي ، ومددت يدي نصف نائم ارد عليه ٠

كان المتكلم هو « ايكلبرجر » الوزير المفوض في السفارة الامريكية ، وكان صوته غريبا ، فلم يكن فقط في حالة انفعال ، وانما اظنه ايضا كان في حالة زاد معها العيار ثلاثة كؤوس او اربعة ٠

قلت له :

ـ « ايك » ـ كما نسميه اختصارا لاسم ايكلبرجر ـ ماذا حدث لتوقظنـــي في هذه الساعة ؟

وقال :

ـ شيء خطير جدا ٠٠٠ هل عقدتم صفقة اسلحة مع الاتحاد السوفيتي ؟

قلت :

ـ ماذا تقول ؟ وما الذي يدخلني في مثل هذا الموضوع ، وهو امر يخص العسكريين بالدرجة الاولى ؟ ثم اما كان بمقدورك الانتظار حتى الصباح ؟

وقال ايكلبرجر :

ـ محمد ٠٠٠ الموضوع جد ٠٠٠ الموضوع خطير ٠٠٠ هو بالغ الخطورة، وهو لا يتصل بالعسكريين كما تقول ، ولكنه قرار سياسي ، وقد وقع فعلا ، وقد تلقت واشنطن معلومات عنه من براغ ، ثم اننا هنا حصلنا على تأكيد له من صحفي يراسل مجلة امريكية ، وكان في هذا المساء مع مصدر مصري كبير ، وتحقق له مما سمع ان الصفقة عقدت فعلا ٠

وقلت :

ـ ذلك امر لا علم لي به ٠

وقال وانفعاله يشتد ، والكلمات يزداد اعوجاجها على لسانه :

ـ ارجوك ٠٠٠ ارجوك ان تتصل بالرئيس الان فورا ٠٠٠ ارجوك ان تنصحه بالانتظار لان هناك رسولا موفدا اليه من الرئيس الامريكي ٠

من الاهمية بمكان ان تنتظروا ٠٠٠ ارجوك ان تلح على الرئيس ناصر ان لا يحرق جسوره ٠

وقلت :

ـ « ايك » ، انني لا اعرف ما تتحدث عنه ، ولكني على اي حال سوف اتصل بالرئيس في الصباح واروي له ما سمعت منك ٠

وقال ايكلبرجر :

ـ بل الان تتصل به ارجوك ٠٠٠ لا تنتظر الى الصباح ٠٠٠ كل دقيقة لها قيمتها ٠

وقلت :

ـ سوف ارى ما استطيع عمله ٠

وضعت سماعة التليفون مكانها ورحت افكر ٠

بعد عشر دقائق اتصلت بالضابط النوبتجي في بيت جمال عبد الناصر وسالته عما اذا كان الرئيس نائما ، او هو بعد ساهر مع بعض عمله او بعض زواره ٠

قال لي الضابط النوبتجي بعد ان غاب عن التليفون دقيقة او اقل انه نظر من نافذة غرفته الى نافذة غرفة نوم الرئيس ووجد انوارها مطفاة ولا بد اذن ان الرئيس نائم ٠

وترددت ثم قلت :

ـ هناك مسالة هامة ولكنهـــا تستطيع ـ فيما اظن ـ ان تنتظر حتى الصباح ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

صباح الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

في الساعة الثامنة والثلث صباحا اتصلت مرة اخرى بالضابط النوبتجي في بيت جمال عبد الناصر اسال اذا كان الرئيس قد استيقظ من نومه ٠

قال لي الضابط النوبتجي ان الرئيس قد استيقظ مبكرا ، وانه طلب صحف الصباح في غرفة نومه في الساعة السابعة والربع ، وسالني الضابط النوبتجي عما اذا كنت اريد ان يحول مكالمتي على غرفة نوم الرئيس ، وقلت له انني سوف اطلبه على التليفون المباشر في غرفة النوم ٠

وفعلت ٠

سألت جمال عبد الناصر عما اذا كنت استطيع مقابلته ، وقال : تعال الان ٠

ذهبت اليه ٠ وجدته بانتظاري في غرفة المكتب يرتدي بنطلونا رماديا وقميصا ابيض ٠ رويت له حديث « ايكلبرجر » ٠ كان ينصت باهتمام ٠ كان اول تعليق له هو قوله :

ـ لا يدهشني انهم عرفوا الان ٠٠٠ وانما يدهشني انهم لم يعرفوا قبل الان !

واستطرد وكأنه يتحدث مع نفسه ، وفي الحقيقة فانه ـ فيما بـــدا لـــي ـ كان يفكر بصوت عـــال :

ـ نحن امام مشكلة ٠

ليست المشكلة اننا عقدنا صفقة سلاح مـــع الاتحاد السوفيتي ، فذلك امر يخصنا ولا نسمح لهم او لغيرهم بالتدخل فيه ، وعلى اي حال فحين اتخذنا قرارنا كنا نعرف ان القرار سيضعنا في موقف صدام مع امريكا ٠

المشكلة التي نحن امامها الان هي هذا الرسول الموفد من ايزنهاور ٠

اذا جاء وسألني ، فسوف اقول له : نعم ، لقد عقدنا صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي ، وهذا قرار يخصنا وحدنا ولا يخص غيرنا ٠

ولكن المسألة هي : لماذا اعطيهم هم حق سؤالي « بلا » او « بنعم » ولماذا يكونون هم اول من اقول لهم ما حدث ، في حين ان الشعب في مصر لا يعرف ، وكذلك لا تعرف بقية الشعوب العربية ، وهم جميعا سندنا في الصدام القادم بسبب صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي » ٠

واستطرد جمال عبد الناصر :

ـ الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان نعلن اليوم نبأ الصفقة وان يجيء الاعلان بطريقة تبدو وكأنها طبيعية ، فلا يظهر لهم اننا قفزنا الى اصدار بيان رسمي ـ مثلاً ـ فور سماعنا منهم بأنهم عرفوا بنبأ الصفقة » ٠

توقف جمال عبد الناصر عن الكلام ٠ مد يده الى سماعة التليفون على المكتب فرفعها يتصل بمكتبه ٠ الرئيس يسأل سكرتيره عما اذا كانت هنـــاك مناسبات عامة دعي الرئيس لحضورها ٠ سكرتيره يقول له انه ليس امامه شيء

يشير الى مناسبة عامة دعي الرئيس لحضورها · الرئيس يقول له : «ابحث» ، ويضع سماعة التليفون ، ويستطرد في حديثه معي :

ــ سوف اجد مناسبة اعلن فيها نبأ صفقة السلاح اليوم ، لأني لا اريد لمبعوث ايزنهاور ان يجيء ليسالني : «حدث ام لم يحدث ؟ » وانما اريده حين يجيء ان يجد نفسه امام أمر واقع ، ويكون سؤاله لي : « ثم ماذا بعد الان ؟ » ·

تحدثنا في احتمالات « ماذا بعد الان ؟ » ، وما هي فحوى الرسالة التي يحملها مبعوث ايزنهاور ؟ ا يتاثير للاعلان قبل وصوله وقبل تسليم الرسالة ؟ تركت جمال عبد الناصر لبرنامج عمله اليومي وعدت الى مكتبي ·

اتصل بي جمال عبد الناصر في الساعة الثانية عشرة واربعين دقيقة بعد الظهر · جاءني صوته على التليفون يقول بمرح :

ــ الا تريد ان تحضر حفلة افتتاح معرض صور تقيمه ادارة الشئون العامة بالقوات المسلحة في مبنى المعرض في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ؟

واستطرد :

ــ لم أجد مناسبة عامة يمكن ان اعلن فيها اليوم ما اريد اعلانه غير هذه المناسبة ·

لقد وجدت الخبر في احدى الصحف ، واتصلت بمدير الشؤون العامة بالقوات المسلحة اساله : الا تريد أن احضر لافتتاح المعرض مساء اليوم ؟

وذهل الرجل ، واظنه ما زال حتى هذه اللحظة مذهولا يضرب اخماسا في اسداس » !

وكان جمال عبد الناصر يضحك من قلبه ·

مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

ذهبت الى معرض الصور الذي اقامته ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة في سراي الجزيرة · جاء جمال عبد الناصر بعد الخامسة بدقائق · طاف بلوحات الصور المعروضة ، ثم توجه الى قاعة صغيرة يلتقي فيها المدعوين لحضور حفل افتتاح المعرض ، وبينهم عدد كبير من المصورين الذين اشتركوا فيه · سالت وجيه اباظة مدير الشئون العامة في القوات المسلحة :

ــ كم تقدر عدد المدعوين الى هذا الحفل ؟ »

قال :

ـ حوالـي مائة ٠٠٠ لقد فاجأنا الرئيس بحضوره . ولو كان أحـد يعـرف أنـه قادم لجاء الاف » ٠

دخـل جمال عبد الناصر الى القاعـة ٠ بدأ يتكلم ٠ فجر قنبلته السياسية الكبرى ٠٠٠ اكبر قنبلة أمام اصغـر جمهور وقف خطيبا امامـه ، ومع ذلـك فهـم لا يعـرفون أنهـم بالنسبة اليه كانوا فرصة نزلت عـليه من السماء ٠ علينا الان أن نستعـد للسؤال الكبير « ثـم مـاذا بعـد الان ؟» ٠

عـدت الى مكتبي وبقيت فيه حتى العاشرة والنصف ٠

اتصل بي ايكلبرجر قبل أن اغـادره ٠ كان صوته هادئـا ، وان كنت قـد أحسست أن هناك شحنات مكبوتة مضغوطة فيه ٠ قال لي ايكلبرجر أنـه سوف يذهب الى المطار ليستقبل مبعـوث أيزنهـاور ، وهو كيرميت روزفلت ٠ قـال لي ان كيرميت سوف ينزل عـنده في شقته بعـمارة البدراوي بالزمالك حرصـا عـلى سرية اتصالاته ٠ سالني اذا كنت استطيـع أن اتناول طعـام الافطـار غـدا في بيته مع كيرميت روزفلت ، لان الامور بعـد اعـلان جمال عبد الناصر عـن صفقة السلاح مع الاتحـاد السوفيتي تقتضي اتصالات غـير رسميـة لاستكشاف المواقف وتحديدها قبل أن يجتمع كيرميت روزفلت مع الرئيس ٠

اتصلت بجمال عبد الناصر واتفقنا أن اذهب اليه فـي الغـد بعـد ان افـرغ من لقاء كيرميت روزفلت ٠ قال لـي أنه سوف يكون في مكتبه برئاسة مجـلس الوزراء في شارع القصر العيني ، لانه مرتبط هنالك بسلسلة من المواعـيد ٠

صباح الاربعـاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥

مشيت من بيتي الى بيت ايكلبرجر في السـاعـة الثامنة صباحـا ٠ قبلهـا ومنذ الفجر كنت افكر فيما عسى أن اسمعـه من « كيرميت روزفلت » ، وفيمـا يمكن أن تتطـور اليه الحـوادث خـلال الساعـات القادمة ٠ فتح لي « ايكلبرجر» باب شقته بنفسه ، وقال لـي عـلى الفـور :

ـ انني الوم نفسي لاني حـذرتك امس ٠ ربما لو أنني لم احـذرك لكنـا الان في موقف افضل ، ولمـا كان نبأ الصفقة قد اعـلن ، ولكان الرجوع عـنهـا امرا ممكنا ، اما الان فان الموقف في غـاية الدقة ٠

قلـت لـ «أيك»:

ـ لا تلم نفسك كثيرا ، ولا تتصور ان تليفونك بعـد منتصف الليـل هـو الذي أدى الى اعـلان الصفقة » ٠

واقبل كيرميت روزفلت علينا من الصالون الكبير للبيت ، ودخلنا معـا اليه ، وكانت بداية اللقاء عبارات مجاملة عادية ثم ملاحظات من كيرميت روزفلت عن مشاق الطيران مرة واحدة من واشنطن الى القاهرة وفقدان التوازن بسبب فارق التوقيت ٠

لم يكن هناك وقت كثير ليضيع في المجاملات ومشاق الطيران وفوارق التوقيت ، وهكذا فاني قلت لكيرميت :

ـ لندخل في الموضوع ٠٠٠ أين نحن ؟ »

وراح كيرميت يتنحنح ، وهي عادة تلازمه دواما قبل أن يشرع في الحديث ، ثم قال :

ـ نحن في موقف بالغ الخطورة ، ان الوزير ـ يقصد دالاس ـ جن جنونه مما فعلتموه ، وهو لا يستطيع قبوله ولا ينوي السكوت عليه ، ومع ذلك دعني اسالك لماذا عقدتم مثل هذه الصفقة مع السوفيت ؟ »

ورحت أشرح له أسبابنا ٠٠٠

ثم تلاحقت اسئلته :

● الم نكن نعرف أن طلباتنا من السلاح كانت موضوع نظر جدي في واشنطن ؟ » ٠

قلت : سمعنا ذلك كثيرا ، ومقتضيات الدفاع العربي لم تكن تستطيع أن تنتظر ٠

● الم نكن نقدر ان مثل هذا العمل من جانبنا سوف يؤثر على علاقاتنا مع الولايات المتحدة ؟ »

قلت : لا ينبغي له أن يؤثر ، فما قمنا به يدخل في دائرة سيادتنا ويتصل بحقنا المشروع في الدفاع عن النفس ، وليس لهم أن يلوموا ـ اذا كان هناك موجب للوم ـ غير أنفسهم ، فقد تقدمنا اليهم قبل ان نتقدم للاتحاد السوفيتي ٠

● هل بحثنا رد فعل الولايات المتحدة المحتمل تجاه هذه الصفقة ؟ » ٠

قلت : على حد علمي ، تم بحث الموضوع من كل جوانبه ، وعلى اي حال فلست اعرف لماذا يكون من واجبنا أن نتحسب لرد الفعل الامريكي ازاء صفقة عقدناها مع الاتحاد السوفيتي ، ولا يكون من حقنا ان نتاكد من قدرتنا على رد الفعل ازاء اعتداءات اسرائيلية متكررة علينا ٠

ثم وصل الى السؤال الذي كنت أتوقعه :

ـ كيف السبيل الان الى الغاء هذه الصفقة ، قبل ان تتداعى العواقب الوخيمة بعدها ؟ » ·

قلت :

ـ لا أظن هناك سبيلا الى الغاء الصفقة ، ولست أرى هناك داعيا لعبارات يلوح وراءها شبح التهديد ، لانه فيما أتصور لن يجدي » ·

وتنحنح كيرميت مرة اخرى وبدا عليه كأنه يحسب الفاظه حرفا حرفا :
ـ أرجوكم ان تأخذوا الموقف جدا ··· لقد قلت لك أن الوزير جن جنونه من الصفقة ، والان فليس أمامنا غير الغاء الصفقة ، أو فان المستقبل امامنا مظلم ··· ان الوزير مستعد بسلسلة من الاجراءات ضدكم ·

هو على استعداد لوقف كل معونة نقدمها لمصر ·

ثم هو على استعداد لوقف كل تعامل اقتصادي وثقافي بيننا وبينكم ·

وهو ـ ثالثا ـ على استعداد لقطع العلاقات الدبلوماسية ·

وهو ـ رابعا ـ لن يتورع عن فرض حصار بحري على الشواطىء المصرية يمنع به البواخر الحاملة للسلاح من الوصول الى موانيكم ، مهما كان العلم الذي ترفعه هذه البواخر » ·

واستطرد كيرميت يقول :

ـ لا تستهينوا بما يمكن أن يفعله دالاس » ·

وقلت لكيرميت :

ـ أرجوكم ـ من ناحية اخرى ـ أن لا تستهينوا بما يمكن ان يفعله جمال عبد الناصر ·

لقد بحث ـ فيما أعرف ـ الاجراءات الثلاثة الاولى التي تحدثت عنها الان ··· توقعها وانتظرها ، وهو على استعداد لها ، ومضارها تلحق بكم اكثر مما تلحق بنا ·

واما الاجراء الرابع الخاص بفرض حصار على شواطئنا ومنع البواخر الحاملة للسلاح ـ مهما كانت اعلامها ـ من الوصول الى موانينا فهذا أمر يخرج من حدودنا ويدخل في حدودكم أنتم مع الاتحاد السوفيتي الذي سيتولى

نقل الاسلحة على بواخره وتحت أعلامه » ٠

طال الجدل ، وسألت كيرميت :

ـ هل تظن حقيقة أنك تستطيع أن تقابل جمال عبد الناصر وتقول له مثل ما قلت لي ؟ » ٠

وأجاب كيرميت :

ـ هذه هي التعليمات التي تلقيتها ٠ ٠

قلت

ـ خذها نصيحة مني ولا تفعل ، والا وصلتم في دقيقة واحدة الى طريق مسدود » ٠

ثم سألته :

ـ هل ابلغتك السفارة هنا برد الفعل الشعبي في العالم العربي كله لما أعلنه جمال عبد الناصر أمس ؟ اطلب تقارير وكالات الانباء العالمية واقرأها لكي تكون في الصورة ٠٠٠ ان العالم العربي كله واقف على أطراف اصابعه في انتظار كلمة من جمال عبد الناصر يقولها ويتحول الشرق الاوسط كله الى حريق ضدكم وضد مصالحكم فيه ٠ ان العالم العربي اعتبر الصفقة قرارا بتحرير الارادة العربية » ٠

وطال الجدل مرة أخرى ٠ وكان كيرميت روزفلت قد بدأ يرى الخطر على مهمته ، خصوصا بعد أن قرأ تقارير وكالات الانباء عن صدى اعلان جمال عبد الناصر عن عقد صفقة الاسلحة الجديدة ٠

وقال لي : انني سوف أبعث بصورة الموقف كما أراها الان الى واشنطن ولكن يجب أن اقابل الرئيس ناصر » ٠

قلت : لنفرض أن واشنطن ردت عليك بتعديل في موقفها ، فهل تذهب اليه لكي تبلغه بموقف يحتمل أن يتغير ؟»

وقال : هل يمكن أن أجيء مبعوثا من الرئيس أيزنهاور ولا يقابلني ؟ »

قلت ، وكان تفكيري يجري بسرعة : لدى حل ٠

ابعث أنت الان الى واشنطن برؤيتك للموقف على الطبيعة ، وسوف اقترح على الرئيس أن تتناولا طعام العشاء الليلة في بيتي للقاء غير رسمي،

وغدا علي ضوء التعليمات الجديدة من واشنطن تقابله رسميا وتنقل اليه اخر مواقفكم » ٠

وقال كيرميت ان هذا الاقتراح حل معقول ، وهو ينقذ الموقف مؤقتا ، وبهيات للخروج ، وسار معي الى المصعد ،وفجأة قال لي :

ـ لقد سمعت امس فقط من«رأيك » بما فعله « بايرود » ٠٠٠ لقد فقد صوابه حتى يتصرف على النحو الذي تصرف به ٠٠٠ ومن سوء الحظ ان تكون علاقته بالرئاسة متوترة في هذا الظرف » ٠

لم اعلق بشيء ٠

ظهر يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر

ذهبت الى رئاسة مجلس الوزراء ٠ قابلت الرئيس في غرفة الصالون الملحقة بمكتبه ٠ دخل علي يقول في مرح ظاهر :

ـ لعلك أنت الاخر لم يركبك عفريت اسمه جواتيمالا ؟ »٠

واستطرد :

ـ كان عندي قبلك أحمد حسين (سفيرنا في واشنطن) ، اقلقه اعلاني امس عن صفقة الاسلحة ، وقفزت الى ذهنه تجربة « جواتيمالا » التي عقدت صفقة سلاح خفيف مع الاتحاد السوفيتي فقامت الولايات المتحدة بغزوها ٠

دخل علي هذا الصباح منفعلا يكرر عبارة « جواتيمالا يا سيادة الرئيس »٠٠ كررها ثلاث مرات » ٠

ثم بدأ الرئيس يسمع ما عندي ٠ وافق على اقتراح العشاء في بيتي هذه الليلة ٠

مساء يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر

وصل كيرميت في الساعة الثامنة مساء ٠ جلسنا نتحدث بعض الوقت ٠ قال لي انه بعث بتقريره الاول من القاهرة الى واشنطن ٠ لم يتلق حتى الان ردا ، ولا يتوقع ردا قبل ظهر الغد ٠ أبديت رأيي بأن نجعل اللقاء اجتماعيا قدر ما نستطيع ، واذا اقترب من الموضوع فعليه أن يقترب بحذر ، وفي كل الاحوال عليه ان يتجنب أي ذكر للاجراءات الاربعة المقترحة التي جاء بها من واشنطن ٠

وصل الرئيس في الساعة الثامنة والنصف ، ومعه عبد الحكيم عامر ٠

لم يكن هناك سبيل خلال الحديث الى تجنب مسالة صفقة الاسلحة · تحدث جمال عبد الناصر عن محاولاته للحصول على سلاح من امريكا دون جدوى · ركز على أن امريكا على استعداد لبيعنا سلاحا للامن الداخلي وليس سلاحا لرد اسرائيل · كيرميت روزفلت لم يقترب من الاجراءات الاربعة التي جاء بها · ركز كيرميت حديثه كله على مخاطر التعاون مع السوفييت ، واستغرق طويلا في الحديث عن تجربة « جان مازاريك » في تشيكوسلوفاكيا، الذي تعاون مع السوفيت وانتهى امره معهم بان قتلوه في حادث غامض ، وحاولوا تصوير الامر على انه انتحار (هكذا يقول كيرميت) · ابدى جمال عبد الناصر اهتماما بمرض ايزنهاور وهل هو خطير الى درجة تمنعه من دخول انتخابات الرئاسة في الفترة القادمة · حديث طويل عن الجو السياسي في الولايات المتحدة وعن شخصياتها · كانت اخر موضوعات الحديث هي مؤتمر الاقطاب الاربعة الذي عقد في جنيف ، والقيادة السياسية السوفيتية الجديدة التي ظهرت فيه : بولجانين وخروشوف ·

بقي كيرميت روزفلت معي لعدة دقائق بعد ذهاب جمال عبد الناصر · رايه ان اللقاء كان ممتعا ومفيدا · اتفقنا على موعد في الصباح اذهب اليه في بيت ايكلبرجر ·

صباح الخميس ٢٩ سبتمبر

دخلت الى بيت ايكلبرجر فوجدت كيرميت روزفلت جالسا مع اريك جونستون (صاحب مشروع جونستون لتقسيم مياه نهر الاردن) · قال لي الاثنان انهما فرغا الان من كتابة برقية باسمهما معا الى جون فوستر دالاس · قرأ لي كيرميت روزفلت بداية البرقية · نصها : في رأينا المشترك انه لم يبق مجال لترك هنري بايرود في منصب سفيرنا في القاهرة لانه لم يعد في مقدوره ان يقابل جمال عبد الناصر ...» ·

لم اعلق بشيء ··

دار حديثنا حول لقاء الامس ، وقال اريكجونستون انهكان يتمنى لو حضره· قلت له ان ذلك لم يخطر على بالي ، وان همي كان محصورا في تجنب الازمة التي كان يمكن ان تنفجر لو ان كيرميت نقل الى الرئيس رسميا ما حمله من واشنطن ·

لم يكن هناك رد بعد من دالاس على التقرير الاول لكيرميت بعد وصوله للقاهرة ·

عدت الى مكتبي ·

اتصل بي كيرمت روزفلت تليفونيا في الساعة الواحدة وعشر دقائق

بعد الظهر ، يقول لـي باسى على التليفون :

ـ يظهر انني لم اعـد موضع ثقة في واشنطن ، لقد تلقيت الان من الوزيـر انه قرر ارسال مبعـوث اخـر الى القاهرة ··· يظنونني ـ فيما أتصور ـ ضعفت واصبحت لينا Soft بعد ان جئت الى هنا ··· ان البرقية تقول أن جـورج الان مساعد وزير الخارجية طار فعلا الى القاهرة عن طريق باريس وسوف يصل غـدا ، وسيتولى هو نقل رسالة من دالاس الى الرئيس ناصر ·

اتصلت بجمال عبد الناصر · ذهبت لمقابلته بعد الظهر · رويت له مـا عندي · توقف عبد الناصر عـند برقية كيرميت روزفلت واريك جونستـون المشتركة بطلب نقل بايرود من القاهرة · قال لي جمال عبد الناصر إنه لا يريـد أن « يكسر » بايرود بسبب خـطأ وقـع فيه ، وكان وقوعـه فيه بسبب حيرتـه بين وجهات نظر يسمعـها في القاهرة وتعليمات يتلقاها من واشنطن ·

طلب إليّ أن اذهب لمقابلة بايرود، واقول له ان يتولى هو بنفسه طلـب الموعـد مع الرئيس لجورج الان ، فما دام الرئيس سيقابـل مساعد وزيـر الخارجية ، فانه من المنطقي أن يقابله ومعـه السفير ·

مساء الخميس ٢٩ سبتمبر

ذهبت للقاء « هنري بايرود » · حينما طلبته في التليفون واقترحـت ان أمر عـليه بدا وكانه غـريق لمـح وسط الامواج قشة · من المؤكد أنه كان في وضـع لا يحسد عـليه · الحـوادث تجري من حوله وهو معـزول عـنها تمـاما · حينما دخـلت عـليه بادرني قائلا :

ـ يا صديقي ··· لقد وقعت في خطأ فادح لم يكن لي ان اقع فيه ، وأنـت تعـرف محبتي واحترامي للرئيس ، ولكني لا اعـرف ماذا جـرى لي هذه الايام ··· انني متعـب ومرهق ، وأرى أن كل ما حاولت أن أصنعـه في مصر يضيـع من بين يدي ·

وقلـت لـه :

ـ لا عـليك ··· ان الرئيس طلب الى أن اقـول لك أنه يعتبر الموضـوع منتهيا ، ولقد قبل اعتذارك فيه وانتهى الامر لا تتحـدث فيه ، وعـلى اي حال فسوف يقابلك مع « جورج الان » اذا انت طلبت الموعـد رسميا من المسئولين في الرئاسة » ·

وفوجئت بالدموع تلمع في عيني بايرود ، ولكني احسست أن ما نقلتـه اليه قد رفع معنوياته كلها من جديد ·

صباح الجمعة ٣٠ سبتمبر

ايقظني جمال عبد الناصر بالتليفون في الساعة السادسة وخمس دقائق ٠ قال لي بغير مقدمات انه كان يستمع الان الى نشرة اخبار الساعة السادسة من هيئة الاذاعة البريطانية ،وكان بين انبائها رسالة نقلتها وكالة «الاسوشياتدبرس» تقول « ان جورج آلان ذاهب الى القاهرة ليوجه الى جمال عبد الناصر انذارا بشأن صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفيتي » ٠

ومضى جمال عبد الناصر يقول :

ـ اذهب الان الى كيرميت روزفلت والى بايرود وقل للاثنين إنني لست مستعدا لتلقي انذارات ٠ انني سوف اقابل جورج آلان غدا ٠ ولكنني في اللحظة التي يقدم لي فيها انذارا فسوف يكون امامي تصرف واحد هو ان ادق الجرس واستدعي صلاح الشاهد (تشريفاتي الرئاسة وقتها) واطلب اليه ان يصحب جورج آلان الى باب مكتبي ٠

هذه قضية مبدأ ، وأنا لا اساوم فيها » ٠

ابلغت رسالة جمال عبد الناصر الى الاثنين ٠

كان كيرميت روزفلت قلقا ، واظنه في اعماقه لم يكن تعيسا وهو يجد ان انذار « جورج آلان » يواجه بنفس الحزم الذي ووجهت به اجراءاته ٠

وكان هنري بايرود هو الاخر قلقا ، واظنه في اعماق قلبه لم يكن تعيسا، فقد وجد نفسه مرة أخرى وسط الحوادث وليس معزولا عنها ٠

□

واترك دفتر مذكراتي الى رواية الوقائع كما حدثت بعد ذلك بسرعة ٠

هبطت طائرة جورج آلان في مطار القاهرة ضحى يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر، وصعد اليها هنري بايرود يرجو جورج آلان أن يكون حذرا لان الموقف خطير ، ثم صعد احد مندوبي شركة الطيران الى الطائرة يحمل مظروفا مغلقا معنونا باسم جورج آلان ، وفيه كتب روزفلت بالحرف : ارجوك أن تلزم منتهى الحيطة في كل تصريح تدلي به » ٠

ونزل جورج آلان من الطائرة ، ولم يقل شيئا ٠

ذهب الى دار السفارة الامريكية بالقاهرة يعقد اجتماعا مطولا مع هنري بايرود وكيرميت روزفلت ، وكتب الثلاثة معا برقية الى دالاس يرسمون له صورة الجو في القاهرة ، وجاءهم الرد في المساء يفوض جورج آلان أن يتصرف

على أي نحو يراه ملائما ٠

لم يكن هناك انذار ٠

ولا كانت هناك اجراءات ٠

وراجع دالاس نفسه، ثم خرج بقرارين لخصهما فيما بعد في مذكراته بقولـه :

ـ لقد أردت ان اقول لجمال عبد الناصر ان موسكو تستطيع ان تعطيه اسلحة الحرب ، اما نحن فنستطيع أن نعطيه السلام» ٠

ولكن دالاس كان يفكر في السلام على شروطه ٠

وكان ما توصل اليه هو :

● ان يعرض على جمال عبد الناصر مساهمة امريكا في بناء السد العالي، وهو يعلم ان ذلك حلمه الكبير ٠

● ان يوفد الى القاهرة بعثة على مستوى عال لبحث احتمالات عقد صلح بين مصر واسرائيل ٠

كان هدفه ــ وهدف السياسة الامريكية منذ البداية ــ هو عقد صلح بين مصر واسرائيل بما يمكن أن يعنيه مثل هذا الصلح مع العالم العربي ٠

وكان السد العالي والعرض بالمساهمة في تمويله هو الطعم الجديد الذي وضعه دالاس في سنارة مبادرته بالسلام ٠

السد العالي في مقابل الصلح مع اسرائيل ٠

هذه هي الصفقة الجديدة واذا تمت ، اذن فان صفقة الاسلحة التي قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر تصبح ــ كما يقولون ــ غير ذات موضوع ٠

هكذا كان تفكيره ٠

وهكذا اقترب ٠٠٠ اقترب جدا دون أن يدري من طريق السويس ٠

الحديث السابع :

«الأسد يقول لجمال عبد الناصر : "كش ملك" !

مع ربيع سنة ١٩٥٦ كانوا كلهم ، الفرسان الثلاثة ، أو الاربعة في الحقيقة ، قد وصلوا الى قرب طريق السويس ... خطوة واحدة ويجدون انفسهم وتجدهم الدنيا على بدايته ٠

خطوة واحدة ، ولكن من يخطوها ، أو من يدفع اليها ، أو من يعطي الاشارة ويضيء النور الاخضر ؟ من ؟

● كانت اسرائيل ـ كما رأينا ـ قد قررت وحسمت ، واستدعى دافيد بن جوريون تلميذه وصفيه موشي ديان من اجازة في باريس وطلب اليه أن تتولى رئاسة أركان حرب الجيش الاسرائيلي وضع خطة للهجوم على سيناء بقصد احتلال شرم الشيخ وفتح خليج العقبة ٠

● وكانت فرنسا ـ كما رأينا ـ قد اقامت جسورها فسيحة وعريضة بين باريس وتل أبيب ، ونشأت العلاقة الخاصة بين الاثنتين ، وكانت الاجتماعات السياسية والعسكرية متصلة طول الوقت وبدون اعلان ، وتبنت فرنسا تماما سياسة أن الطريق الى الجزائر يبدأ من القاهرة ٠

● وكانت بريطانيا ـ كما رأينا ـ قد قررت أن جمال عبد الناصر هو الرمز الحي لتحديات تواجهها في منطقة الشرق الاوسط التي كانت دائما منطقة نفوذ تابعة وخاضعة ، ووصل ايدن الى حد أن طلب من المخابرات البريطانية أن نبحث عن وسيلة لانقلاب في مصر يطيح بجمال عبد الناصر ويجيء بغيره ، أو يطيح بجمال عبد الناصر حتى وان لم يكن هناك غيره ٠

وزادت من عجلة الثلاثة ولهفتهم على العمل عدة اعتبارات :

١ ـ استمرار تدفق الاسلحة السوفيتية على مصر ، مما يعني أن كل يوم يمر يرفع من تكاليف أي عملية تدبر ضدها ٠

٢ ـ اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس وفقا لاحكام اتفاقية الجلاء ، وفي الواقع فان معظم القوات كانت قد جلت عن القاعدة ولم يبق من جنودها في ربيع سنة ١٩٥٦ سوى لواء واحد ٠

٣ ـ ازدياد تاثير جمال عبد الناصر عبر كل الحدود العربية ، الامر

الذي كان يهدد بقيام قيادة عربية لها سلطة ادبية ومعنوية واسعة على أرض الامة العربية كلها وعلى شعوبها .

وكان الثلاثة يعرفون ما يفكر فيه كل منهم ، فقد كانت العلاقات بينهم كسركة الاواني المستطرقة : فرنسا تنسق مع اسرائيل ، وبريطانيا تعرف دائما ما تفكر فيه فرنسا ، وعلى أي حال فان فرنسا لم يكن لديها ما تخفيه عن حليفتها في القارة الاوروبية ·

ولم يكن الفارس الرابع ـ الولايات المتحدة ـ بعيدا عن هذا كله ، فقد كان يعرف ما يدور في فكر اسرائيل وفي فكر فرنسا وفي فكر بريطانيا ·

وربما كانت المشكلة في تلك الفترة ان الثلاثة لم يكونوا على بينة كاملة بما كان في فكر فارسهم الرابع الولايات المتحدة ، فقد كانوا يرون اتجاهاتها ، ولكن تحركاتها كانت تفاجئهم من حيث عدم اتساقها مع الاتجاهات ، او هكذا بدا لهم·

كانت بريطانيا عاجزة في بعض الاحيان ـ من وجهة نظرها ـ عن فهم السياسة الامريكية : الاحلاف كانت سياسة أمريكية ومع ذلك ترددت أمريكا في الانضمام لحلف بغداد ·

وكانت فرنسا نفس الشيء ، خصوصا فيما يتعلق بالتردد الامريكي ازاء رغبة فرنسا في اعتبار معركتها في الجزائر معركة لحلف الاطلنطي كله ، مع ان أمريكا وقتها هي التي خرجت تتصدى لحركة الثورة الوطنية وتعتبرها امتدادا للثورة الشيوعية !

وكانت اسرائيل لا تكاد تصدق نفسها وهي ترى الازمة التي نشأت عن صفقة الاسلحة السوفيتية تنتهي بهدوء ، رغم ان امريكا ابرقت وارعدت في بدايتها واعتبرتها استفزازا لها وتحديا ، وموقع قدم في الشرق الاوسط يكسبه الاتحاد السوفيتي ·

ثم ما لبث الجميع ان عرفوا بخطة دالاس · ورغم انهم جميعا تشككوا فيها منذ البداية ، الا انه لم يكن في مقدورهم الا انتظار نتائجها ·

□

كانت خطة دالاس ـ كما رأينا ـ شراء صلح بين مصر واسرائيل في مقابل بناء السد العالي في اسوان ·

كان يوجين بلاك رئيس مجلس ادارة البنك الدولي اول من تحمس لمشروع السد العالي منذ ان بدأت مصر تفكر فيه وطرحته على البنك الدولي ليشارك في تمويله ، وكان ذلك مبكرا جدا في سنة ١٩٥٣ ·

والتقط الفكرة منه فيما بعد هربرت هوفر الابن ، الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية الامريكية ، وكان هوفر قد سمع بهذا المشروع من يوجين بلاك ·

وقال لي يوجين بلاك في واشنطن اخيرا ، وكنا جالسين نستعيد حوادث السويس :

ـ لقد تحمست لمشروع السد العالي كمشروع في حد ذاته ، ولم اجده تجسيدا لآمال مصر في التنمية وحسب ، ولكني رأيت فيه ايضا تجسيدا لمقدرة البنك الدولي امام دول العالم النامي ·

وحينما تكلمت عن المشروع مرة مع هوفر كان مبهورا بما سمع مني ··· ان هوفر ـ كما تعرف ـ مهندس ، والمشروعات الكبرى تستثير خيال المهندسين دائما · لكن هوفر احترف الدبلوماسية بعد ان ترك الهندسة ، وتفكيره السياسي في السد العالي كان بعيدا عني ولم يكن لي دخل فيه · »

والحقيقة ان هوفر كان اول من فكر في ربط السد العالي باتفاقية صلح بين مصر واسرائيل ، وحين عرضها على دالاس في اواخر سنة ١٩٥٥ كان تعبيره بالحرف لدالاس :

ـ اني اريد هذا السد العملاق كطعم في السنارة من اجل معاهدة صلح بين مصر واسرائيل · »

ويقول دالاس في مجموعة اوراقه الخاصة انه عرض فكرة هوفر على ايزنهاور عندما اجتمع به يوم ٨ ديسمبر في استراحته في كامب دافيد ، ويروي دالاس انه عرض الفكرة اثناء جولة على الاقدام استمرت نصف ساعة ، صاحب ايزنهاور خلالها في جولة وسط حدائق كامب دافيد · ويقول دالاس انه قال لايزنهاور :

ـ ان مساعدتنا لمصر في بناء السد العالي سوف تشتري السلام في فلسطين·

وافق ايزنهاور على الفكرة ، واتفق الاثنان على ان محاولة « شراء السلام» يجب ان تسير جنبا الى جنب مع مفاوضات تمويل السد العالي ، ويجب ان تتم صفقة السلام اولا قبل ان تدفع الولايات المتحدة ثمنها ·

ثم بحث الاثنان ترشيحاتهم لمن يشرف على عقد الصفقة ويقوم بالاتصالات السرية بين مصر واسرائيل ، واتفقا على ان يقوم روبرت آندرسون بها ، وكان ايزنهاور هو الذي اقترح اسمه ، فقد كان صديقا قديما له ، وقد عينه فيما بعد وزيرا للمالية في الولايات المتحدة ·

ويلفت النظر ان جريدة « نيويورك تيمس » نشرت بعد ذلك بيومين ، اي يوم ١٠ ديسمبر ، تقريرا قالت فيه بالحرف :

« ان حكومة الولايات المتحدة تربط مساعدتها لمصر في بناء السد العالــي في اسوان بالتوصل الى تسوية سلمية بين مصر واسرائيل ٠٠٠» ٠

□

كان روبرت اندرسون في القاهرة في عيد الميلاد ــ آخر ديسمبر ــ سنة ١٩٥٥، وكانت مهمته قد أبلغت الى جمال عبد الناصر على اساس انها « محاولة امريكية للبحث عن اساس للسلام في الشرق الاوسط » يقوم بها مبعوث خاص يمثل الرئيس ايزنهاور ، وكان قد اخطر ايضا بالرغبة في ابقاء هذه المهمة سرية ، حرصا على توفير فرص النجاح لها ٠

وكان اللقاء الاول بين الاثنين في بيت جمال عبد الناصر الذي لم يكن يعرف بأن « مهمة اندرسون » مرتبطة « بمفاوضات السد العالي » ٠

وتحدث جمال عبد الناصر بصراحة كاملة في اجتماعه الاول مع اندرسون ٠ قال ان له مطلبين اثنين :

● وطن للشعب الفلسطيني على ارضه ، ولكي يسهل الموضوع فانه يرى ان تكون حدود هذا الوطن هي نفسها خطوط التقسيم سنة ١٩٤٧ ٠

● انه لا بد من فتح الطريق بين مصر وبين بقية العالم العربي في المشرق ، لان الامة العربية لا يمكن ان تعيش بجدار فاصل يقطع امتداد ارضها بين المشرق والمغرب ، ولهذا فان المشروع الانسب هو مشروع برنادوت الذي يعطــي النقـب للدولة العربية في فلسطين ٠

وطار اندرسون بعدها الى تل ابيب ، والتقى بـــن جوريون ٠

ثم عاد الى القاهرة ليقول ان بن جوريون بدا كمن لسعه عقرب بعد ان سمع اقتراحات جمال عبد الناصر ، وقال لآندرسون ان معنى ما يطلبه جمـــال عبـــد الناصر هو خنق اسرائيل تمهيدا لقتلها ٠

ورجع آندرسون الى تل ابيب ٠

وتكررت رحلاته ، ثم عاد يوما بمشروع للاتصال البري بين المشرق والمغرب في العالم العربي يقضي باعطاء طريق علوي قرب ايلات للعرب يمرون فوقــه من سيناء الى جنوب الاردن ٠

ونظر جمال عبد الناصر الى خريطة قدمها آندرسون وفيها رسم للطريـــق

العلوي الذي يستعمله العرب ، وتحته الطريق العادي الذي تستعمله اسرائيل الى ايلات ، وهز رأسه وقال لاندرسون ان المشروع « لا ينفع » ٠

وراح جمال عبد الناصر يفند عمليا عدم جدوى ذلك الاقتراح ، ثم اضاف ضاحكا :

ـ لنفرض ان احد رجالنا احس بنداء الطبيعة وهو يمشي فوق الطريق العلوي ، ومن ثم فتح ازرار بنطلونه على حافة الطريق العلوي وترك الطبيعة تأخذ مجراها ، ثم نزل الرذاذ على سيارة عسكرية اسرائيلية تصادف مرورها على الطريق السفلي ، فماذا يحدث ؟٠٠ هل تقوم الحرب ؟٠

وذهب آندرسون للمرة الاخيرة الى اسرائيل ، وعاد منها ليقول لجمال عبد الناصر :

ـ ان دافيد بن جوريون قال لي ان المسائل على هذا النحو لن تصل الى نتيجة ، وانني استطيع الانتقال بين القاهرة وتل ابيب الى آخر العمر دون نهاية، والحل الوحيد في رأيه اجتماع مباشر بينكما هنا في القاهرة او هناك في تل ابيب ، او في اي مكان محايد تختاره انت ٠

ورفض جمال عبد الناصر قطعيا فكرة الاجتماع المباشر ، وتوقفت مهمة آندرسون ، وانهارت صفقة شراء السلام في الارض المقدسة ٠

وفي شهر مارس ، ومع انهيار صفقة شراء السلام في الارض المقدسة استقر راي دالاس على سحب العرض الامريكي بالمساهمة في بناء السد العالي ٠

□

ويقول السناتور ويليام فولبرايت ، الذي كان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي :

« لقد درست كل اوراق وزارة الخارجية الامريكية بعد اعلان قرار سحب المساهمة في تمويل السد العالي بحثا عن السبب الذي دعا دالاس الى هذا القرار٠

كانت الاوراق امامي تقول إن وزارة الخارجية فتر حماسها مرة واحدة للمشروع دون سبب ظاهر ٠

لم يكن السبب كما قال دالاس هو تكاليف صفقة الاسلحة التي ترهق مصر بما يمنعها من اداء نصيبها في تمويل السد ، فقد كانت الارقام قاطعة تشير الى ان اعباء مصر نتيجة لصفقة الاسلحة لا تزيد سنويا عن عشرين مليون دولار ، وهذا مبلغ ليس كبيرا بالقياس الى موارد بلد مثل مصر ٠

ولم يكن السبب ان المشروع ـ فنيا ـ غير قابل للتنفيذ ، فقد كانت تقارير مهندسي البنك الدولي قاطعة في صلاحية المشروع واهميته ٠

ولم يكن السبب تردد البنك في التمويل ، فقد كان يوجين بلاك متحمسا له ، وكانت اسباب التمويل كلها في متناول يد البنك وفي حدود وسائله ٠

كنت في حيرة شديدة حول السبب الذي دعا « الادارة » الى اتخاذ هذا القرار ، ولم تكن امامي وثائق اتصالات آندرسون في القاهرة وتل ابيب ولم اكن اعلم بالربط بين مهمة آندرسون فيهما وبين عرضنا بتمويل السد العالي ٠ »

كان ذلك هو العامل المجهول الذي لم اكن اعرفه وقتها ، ولكنه كان العامل الحاسم في اتخاذ القرار ٠

وبعد فشل مهمة آندرسون كان سحب العرض الامريكي مسالة توقيت لا اكثر ولا اقل ، وكان دالاس قد ترك مفاوضات السد مستمرة لمجرد الحفاظ على الشكل ، وحتى تواتيه الفرصة لتوقيت يختاره لاعلان قراره » ٠

□

ولقد تأزمت الامور اكثر في تلك الظروف ، حينما اعلن جمال عبد الناصر في ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ اعترافه بالصين الشعبية ٠

ولم يجيء ذلك الاعتراف من فراغ ٠

قبلها ـ في نهاية ابريل سنة ١٩٥٦ ـ كان خروشوف في زيارة رسمية للندن لمحادثات يجريها مع ايدن ، وكان موضوع الشرق الاوسط على رأس القائمة من موضوعات البحث ، وتلقت القاهرة معلومات مؤكدة تفيد انهم بحثوا اقتراحا يقضي بفرض حظر على توريد السلاح الى الشرق الاوسط تشرف عليه الامم المتحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر يعرف من تجربة سنة ١٩٤٨ ان اي حظر على توريد الاسلحة الى المنطقة تحت اشراف الامم المتحدة لن يطبق على غير العرب ، واما اسرائيل فسوف تجد دائما وسيلة ما للحصول على ما تريد من سلاح ٠

وهكذا قرر الاعتراف بالصين الشعبية لانها ـ وهي خارج الامم المتحدة ، وقتها ـ تستطيع ان ترفض قرار الحظر ٠

وفقد دالاس صوابه ، ورد على قرار مصر بأن صرح لفرنسا بأن تعطي لاسرائيل ثلاثة اسراب من احدث طائرات « الميستير » التي كان انتاجها يتم في فرنسا لحساب حلف الاطلنطي ، وعلى نفقة الولايات المتحدة ٠

واكثر من هذا ، ادلى المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية بتصريح قال فيه : « ان الولايات المتحدة تعيد النظر في علاقاتها مع مصر » ٠

□

وفي تلك الظروف كان جمال عبد الناصر في القاهرة يشعر ان الولايات المتحدة ليست جادة في عرض تمويل السد العالي ، وعلى فرض انها كانت جادة وقتا من الاوقات فانها الان غيرت رأيها ٠

بدأ يحس ان المفاوضات التي تجري في واشنطن مجرد مضيعة للوقت ، وانه كلما قبل شرطا فوجيء بشرط جديد ، ولهذا فانه لا بد ان يتوقف عن قبول الشروط ليختبر النوايا الحقيقية ويرغم اصحابها على الاعتراف بها علانية وبغير مداراة ٠

وكان الشرط الاخير هو رغبة البنك الدولي ـ تحت طلب من الولايات المتحدة ـ ان يكون له حق مراجعة حدود المديونية الخارجية لمصر ، وكانت الحجة ان بناء السد يضع على مصر التزامات كبيرة ، ولو ذهبت مصر تستدين من الخارج بغير حد ولا قيد فانها ستكون عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها بمقتضى السد العالي ٠

وكان السفير المصري في واشنطن الدكتور احمد حسين في القاهرة وقتها يلح في قبول هذا الشرط الاخير للبنك الدولي ، حرصا على اتمام المشروع ٠

واتذكر انني قابلت الدكتور احمد حسين في الاسكندرية في بداية شهر يوليو ، واستمعت اليه طويلا وهو يتحدث عن الظروف في واشنطن ٠

كان احمد حسين قد اتم اجازته في مصر وراح يتاهب للعودة الى واشنطن ، وكان يريد ان يأخذ معه تعليمات قاطعة بشأن الشرط الاخير الباقي من شروط البنك الدولي ٠

وكان جمال عبد الناصر وقتها في اجازة في استراحة برج العرب على بعد خمسين كيلو مترا الى الغرب من الاسكندرية ، واتصلت به تليفونيا لامر من الامور ، وخلال الحديث اشرت الى اجتماعي باحمد حسين ورغبته في لقاء الرئيس قبل سفره الى واشنطن ، واقترح جمال عبد الناصر ان نجيء ـ الدكتور احمد حسين وانا ـ لتناول الغداء معه في استراحة برج العرب في اليوم التالي ٠

وركبنا سيارتي وذهبنا الى برج العرب ٠

واستمع جمال عبد الناصر الى احمد حسين ، ثم قال :

ـ انني واثق ان هذا كله كسبا للوقت ٠ انهم لن يساعدونا في تمويل السد

العالي ، وهذا قرار سياسي اتخذوه فيما اشعر ، ومهما قبلنا من شروطهم فـــان ذلك لن يغير قرارهم ·

والح الدكتور احمد حسين ، وكان مشروع السد العالي ملء خياله ، ولعله كان يخشى ــ الى جانب ذلك ــ مزيدا من التدهور في العلاقات المصرية الامريكية اذا انهارت مساهمة الولايات المتحدة في المشروع ·

وقال جمال عبد الناصر موجها كلامه لاحمد حسين :
ــ هل انت واثق ان هذا شرطهم الاخير ؟

وقال احمد حسين انه واثق ، وهو في هذا يستند على تاكيدات اعلى المصادر في البنك الدولي وفي وزارة الخارجية الامريكية ·

وقال جمال عبد الناصر :

ــ اذن اذهب وقل لهم انني موافق على هذا الشرط ، وسوف ترى ان ذلـك لن يؤثر في موقفهم .

وانتهت مقابلتنا ، وبدأنا نستعد ــ الدكتور احمد حسين وانا ــ للعودة الى الاسكندرية ، وبدأنا نمشي نحو باب الاستراحة ، ولكن سؤالا كان يلح علي :

ــ لقد كنت اعرف تفكير جمال عبد الناصر في رفض اية شروط اخرى لتمويل السد العالي ، وكان رأيه انه برفضه يرغمهم على الافصاح عن نواياهم الحقيقية فكيف غير رأيه ؟ وما الذي دعاه الى ذلك ؟

وانتحيت به جانبا قرب الباب ووجهت السؤال اليه ، وكان رده :

ــ انني لم اغير رأيي ولكني غيرت اسلوبي··· كنت مصرا على الرفض لكي اجعلهم يكشفون نواياهم ··· وانا الان على استعداد لقبول شرطهم الاخير لكي ارى رد فعلهم ازاءه ،واظنهم سوف يضطرون لكشف نواياهم ·

وركبت السيارة وركب الى جانبي الدكتور احمد حسين ، وجمال عبدالناصر واقف في وداعنا ، ثم فوجئت به يقول للدكتور احمد حسين بالحرف :

ــ ماذا تقرأ هذه الايـــام ؟

واستطرد يقـــول :

ــ الا تستطيع ان تجد في مكتبات القاهرة قبل ان تغادرها كتابا عن قنـــاة السويس ؟

ولوح جمال عبد الناصر بيده مودعا ، وانطلقت بالسيارة خارجـــا مـن الاستراحة الى طريق الاسكندرية ٠

□

وفي يوم ١٢ يوليو كنت مع جمال عبد الناصر على طائرة متوجهة الى بلجراد لزيارة رسمية للرئيس جوزيف بروز تيتو تمتد اسبوعا كاملا وتنتهي باجتمـــاع ثلاثي بين عبد الناصر وتيتو ونهرو ، الذي ينضم اليهما قادما من لندن ـ ويعقـد الثلاثة في جزيرة بريوني مؤتمر قمة للقادة الكبار المؤسسين لفكرة عدم الانحياز ٠

وفي ١٩ يوليو ذهب احمد حسين الى مقابلة دالاس ومعه قبول عبد الناصـر للشرط الاخير الذي تبقى لاتمام الاتفاق حول تمويل السد العالي ، ودخـــــل احمد حسين الى الاجتماع مليئا بالثقة ٠٠٠ ولكن صدمة كبرى كانت في انتظاره٠

كان جون فوستر دالاس على مكتبه وامامه ثلاثة مقاعد ، اثنان منها جلس فيهما مساعداه هربرت هوفر وجورج آلان ، وكان المقعد الثالث فـي انتظـار احمد حسين ٠

ويقول احمد حسين في تقريره الى القاهرة عن هذه المقابلة :

« بعد ان تبادلنا حديثا عاديا ، دخلت في الموضوع وابلغت المستــر دالاس تحيات الرئيس جمال عبد الناصر ٠

ثم شرحت اهتمامنا بموضوع السد العالي ، وكون المشروع حيويا بالنسبة إلينا ، واهمية اشتراك الولايات المتحدة في تمويله ٠

وقلت انني لا اريد ان ارى الاتحاد السوفيتي يمول هذا المشروع ، وانمـا اريد ان اراه يتحقق بتمويل امريكي ، وانني لهذا سعيت بكل جهدي لكي توافق مصر على الشرط الاخير الذي اعترض المفاوضات ، وهو حق البنك الدولي في مراجعـــة المديونية الخارجية لمصر ، وقد جئت بهذه الموافقة معي ٠

وهنا بدأ المستر دالاس يتكلم ، وقال لي انهم فكروا بجديـــة في المشروع ، واعادوا التفكير ، وهم يرون المشروع هاما وحيويا ، ولكنهم بصراحة يعتبـرون الموقف الاقتصادي كله يجعله غير قابل للتنفيذ ، ولهذا فان الولايات المتحدة لـن تشترك فيه ، وقد سحبت عرضها بالمساهمة في تمويله ٠

حاولت ان اشرح له واثنيه عن قراره ، ولكنه قال ان هذا قرار نهائـــي توصلت اليه الحكومة بتوجيه الرئيس ، ولم يعد قابلا للمناقشة ٠ »

وخرج احمد حسين من مكتب دالاس ليجد ان قسم الصحافـــة في وزارة الخارجية الامريكية قد وزع بيانا رسميا للنشر بسحـــب العرض الامريكـــي بالمساهمة في تمويل السد العالي بسبب سوء موقف مصر الاقتصادي الذي لـــم يعد يمكنها من بناء هذا المشروع الضخم بتكاليفه الهائلة !

□

كان الفرسان الثلاثة ـ اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ـ في حالة ابتهاج شديد ٠
لقد انتظروا الولايات المتحدة طويلا ، واساؤوا الظن بها كثيرا ، ولكنها في النهاية جاءت اليهم ووضعت نفسها بينهم قرب طريق السويس ٠

وبعث دالاس الى دافيد بن جوريون يقول له :

ـ لقد رأيت صورة لجمال عبد الناصر يلعب الشطرنج ، وقررت مجاراته في اللعبة ، وقلت له اخيرا : كش ملك » ٠

وطارت الرسالة الى باريس ، ومنها الى لندن ٠

وكان الفرسان الثلاثة، الذين اصبحوا اربعة ، قرب طريق السويس لا يجدون امام جمال عبد الناصر خطوة او حركة ٠

عليه الان ان « يكش الملك » ويتراجع ٠٠٠ ويسقط !

لقد جاءت النهاية ، واوشك الستار ان ينزل على قصة عصر جمال عبد الناصر وصعوده في الشرق الاوسط ٠

الحديث الثامن :

كيف وصل جمال عبد الناصر الى قراره بتأميم قناة السويس ؟!

اكاد اقطع بان جمال عبد الناصر لم يفاجأ بقرار الولايات المتحدة انتسحب عرضها بالمساهمة في بناء السد العالي على النيل عند اسوان ٠

واكاد اقول ان جمال عبد الناصر كان قد أعد رده على القرار عندما يجيء ـ وان كان من الحق ان اقول ان الظروف والملابسات تدخلت في تحديد درجة الرد وتكييف اسلوبه !

□

ولقد اشرت من قبل في سياق هذه الاحاديث الى الحوار الذي حضرته بين جمال عبد الناصر والدكتور احمد حسين السفير المصري في واشنطن وقتها ، وقد جرى هذا الحوار في استراحة برج العرب ، وكان رأي جمال عبد الناصر على خلاف قاطع مع تفاؤل الدكتور احمد حسين الذي كان يعتقد بان استجابة مصر لآخر الشروط الامريكية في عملية التمويل سوف تفتح الباب نهائيا لعقد اتفاق السد العالي مع البنك الدولي ومع مجموعة الحكومات التي ابدت استعدادها للمساهمة ، وبينها الحكومة الامريكية ، والحكومة البريطانية التي كان عرضها بالمساهمة رمزيا ، في حدود خمسة ملايين جنيه استرليني ٠

وكان رأي جمال عبد الناصر ان قبولنا لآخر الشروط الامريكية سوف يغلق الباب تماما امام عقد الاتفاق ، لان القرار سياسي بالدرجة الاولى ، وهو يعتقد انه اتخذ فعلا ، وان تأخير اعلانه يعود الى الرغبة في اختيار لحظة مناسبة يكون اعلانه فيها كفيلا بتحقيق اكبر قدر ممكن من اهداف اصحاب القرار ٠ ومن ثم فان قبول مصر لآخر الشروط الامريكية سوف يرغم كل الاطراف على الافصاح عن نواياها الحقيقية ، حتى لا تجد نفسها امام امر واقع فرضه عليها الاخرون !

واتذكر ان الموضوع جرى بحثه من جديد بين جمال عبد الناصر وبيني في جو غريب ٠

كان ذلك في رحلته التي بدأت يوم ١٢ يوليو الى يوجوسلافيا ، وكان مقررا ان تبدأ بمحادثات بينه وبين تيتو في بلجراد ، ثم جولة في انحاء يوجوسلافيا ، ثم الوصول في نهاية الجولة الى جزيرة بريوني لاجتماع ثلاثي لقمة الطلائع من الدول غير المنحازة ، يوجوسلافيا ، ومصر والهند ٠

وليلة ١٥ـ١٦ يوليو كنا جميعا ـ الوفد المصري كله وبعثة الشرف اليوجوسلافية المرافقة له وعشرات من الصحفيين والمصورين ـ على القطار

الخاص للرئيس تيتو في الطريق الى « لوبليانا » آخر محطة قبل « بولا » و « بريوني » ·

وكانت عربة القطار المخصصة للرئيس عبد الناصر تضم مقصورة نـــوم ومقصورة طعام ، وبينهما مقصورة صالون بها مكتب ·

ورغم ان جمال عبد الناصر كان متعبا ليلتها من برنامج يوم طويل ، فانه دعا الى العشاء في مقصورته ثلاثة من اعضاء بعثة الشرف اليوجوسلافية وهـم « كارديل » نائب رئيس الجمهورية ، و « فوكمانوفيتش » وزيـــــر التخطيط ، و « جيرجيا » وكيل وزارة الخارجية اليوجوسلافية وقتها ، ودعا معهم ثلاثة من المصريين كان حظي ان اكون.واحدا منهـم ·

كان القطار يجري بسرعة على الطريق الى « لوبليانا » ، وكان موعدنـــا على العشاء في الساعة الثامنة مساء ، وكان جمال عبد الناصر مهتما بالمناقشـة التي دارت حول المائدة ، والتي طرح هو موضوعها مع « كارديل » ، وكـــــان الموضوع هو « مشاكل فترة الانتقال » من مجتمع متخلف الى مجتمع متطـور ، وتشعبت المناقشة من « التخطيط » الى « اولويات التخطيط » الى « الموازنة بين الصناعات الثقيلة والصناعات الاستهلاكية » الى « قضايا الادارة » وغيرها ·

وبعد العاشرة بقليل انفض الاجتماع ، وقال جمال عبد الناصر انه سيذهب لينام مبكرا ، وليكون جاهزا من الفجر لبرنامج يوم جديد · وتركناه جميعا ، وذهب كل منا الى المقصورة المخصصة لنومه ياخذ قسطا من الراحة استعدادا للغـد · وذهبت بدوري الى مقصورتي وجلست ـ كالعادة ـ اسجل بعض الملاحظات، وكنت اشعر على اي حال انها بالنسبة لي ستكون ليلة بيضاء ، اي بغير نوم، لاني واحد من الذين لا يقدرون عليه في شيء متحرك ، فلا نوم بالنسبة لي في سيارة او طيارة او قطار او باخرة ، حتى اذا كان السفر اياما بعد ايام ·

وفرغت من تدوين ما اريد تدوينه من ملاحظات ، ثم خرجت من مقصورتي اتسكع في القطار بحثا عن الساهرين المسهدين في مقصورات اخرى ، وبالـــذات مقصورة خصصت لوكالات الانباء العالمية التي تغطي احداث زيارة عبد الناصـر ليوجوسلافيا ومؤتمر بريوني القادم في ختامها ·

واحسست ان القطار توقف عن السير ، وكنت اعرف انه سيتوقف لساعتين امام قرية صغيرة على الطريق لاستبدال قاطرة بقاطرة ـ فيما أظن ـ ثم سمعت اصوات جماهير تهتف لعبد الناصر ، وذهبت الى احد ابواب عربة القطار التـي تصادف وجودي فيها ، واذا مئات من الناس جاءوا عند منتصف الليل لتحية عبد الناصر زعيما وضيفا على تيتو ·

واستأذنت ضابط الحراسة اليوجوسلافي على باب عربة القطار في النزول الى رصيف المحطة التي وقفنا عندها اتمشى عليه لبعض الوقت واشاهد الجماهير التي جاءت عند منتصف الليل في قرية يوجوسلافية لتحية زائر جاء من مصر ٠

وتساءلت في خواطري : « هل هو نائم ؟ هل ايقظته الضجة ؟ هل تتاح لهؤلاء فرصة رؤيته ام انهم سوف يعودون الى بيوتهم عند الفجر دون ان يروا شيئا غير القطار الحديدي وضباط الحرس اليوجوسلاف على ابواب عرباته ؟»

ولم تطل تساؤلاتي ، ظهر الضوء من وراء ستائر صالون عربة القطار الرئيسية ، ثم انزاحت الستائر ، ثم نزلت النافذة الزجاجية الكبيرة ، وظهر جمال عبد الناصر يلوح بيده للجماهير التي اشتدت حماستها لظهوره امامها مرتديا قميصا فتح ياقته مستغنيا عن ربطة العنق ٠ وبعد قرابة ربع ساعة بدأ البوليس اليوجوسلافي يرجو الجماهير في الانصراف حتى لا يقلقوا راحة كل ركاب القطار ، وحتى يتركوا الزائر الكبير لنومه ٠ ولمحني وسط الناس اهم بالعودة الى القطار وهو يلوح للمحتفين به بكلتا يديه مرة اخيرة ، وابتسم واشار ، فصعدت الى القطار متوجها الى عربته ، ودخلت مقصورة الصالون ، ودهشت فقد وجدته تحت القميص المفتوحة ياقته ما زال مرتديا بنطلون بيجامته المخططة ٠٠٠ حافي القدمين ٠ ولاحظ دهشتي فقال :

ـ لقد استيقظت عندما تعالت اصواتهم ، ورأيت ان اخرج اليهم ارد تحيتهم، ولكني لم اجد بذلتي ٠٠٠ اخذها محمد ـ تابعه الخاص ـ ليكويها على ما اظن ، ولم اعرف اين حقائبي التي تحوى بقية ملابسي ٠٠٠ وهكذا اخذت قميصا لبسته فوق بنطلون البيجاما ، وظهرت امامهم في النافذة ٠ ومن حسن الحظ انه لم يكن في استطاعتهم غير ان يروا الجزء العلوي مني » ٠

وضحك ، وضحكت ٠ وسألني اذا كنت احس بالنعاس ، وقلت « انني لم انم، ولا اظن انني سأنام لان النوم لا يزورني في حالة الحركة » ، وقال انه يشعر بيقظة كاملة وانه يشعر بالجوع ايضا ، فقد كان اثناء العشاء مشغولا بالحديث الدائر حول المائدة عن كل ما كان فوقها ، ومد يده الى طبق فاكهة على مائدة في مقصورة الصالون وتناول « خوخة » راح يقضمها ، وسألني :

ـ هل هناك اخبار جديدة ؟ »

قلت :

ـ لا شيء ٠٠٠ سوى تصريح للدكتور احمد حسين ادلى به في لندن وقرأته قبل نصف ساعة عندما كنت في عربة المراسلين الاجانب ، وكان في برقية وزعتها وكالة « تانيوج » ، ويقول الدكتور احمد حسين في تصريحه انه يحمل موافقة

مصر على آخر الشروط المعلقة في مشروع الاتفاق على بناء السد العالي ، وانه يتوقع اتمام الاتفاق فور قيامه بابلاغ ما لديه ـ موافقة مصر ـ الى جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية ـ الذي سيطلب مقابلته فور وصوله الى واشنطن » ٠

وقال جمال عبد الناصر :

ـ مسكين احمد حسين ٠٠٠ ينفخ في قربة مقطوعة ٠٠٠ أو هو يفكر بآماله متجاهــلا الواقع » ٠

واستطرد :

ـ الواقع فيما ارى ـ وانا واثق ـ انهم لن يساعدونا في تمويل السد العالي ٠٠٠ ذلك قرار سياسي وليس مسألة شروط اقتصادية كما يقولون ٠

لن يساعدونا في بناء السد العالي ـ وسوف ترى ـ واذا كنا نريد بناء السد العالي فلا مفر من ان نعتمد على انفسنا ٠٠٠ وليس هناك حل آخر اذا لم نكــن نريد قبول شروطهم السياسية ٠٠٠ شروطهم سياسية وليست اقتصادية ٠٠٠» ٠

طال حديثنا الى قرب الفجر في مقصورة صالون ، ضمن قطار يوجوسلافي ، يجري بسرعة وسط سهول « سلوفينيا » متجها نحو « لوبليانا » !

□

سمع الدكتور احمد حسين ـ والعالم كله معه في نفس الوقت ـ بقرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في تمويل السد العالي من جون فوستر دالاس شخصيا في مكتب وزير الخارجيــة الامريكية في واشنطن بعــد ظهر يــوم الخميس ١٩ يوليو ١٩٥٦ ٠

كان الوقت ساعتها منتصف الليل في بريوني تقريبا ، وعرف به جمال عبــد الناصر قبل ان يذهب الى غرفة نومه في فيللا « بريونكا » ، قصر الضيافة الرسمي في بريوني ، عرف بالقرار ولم يكن قد وصله النص كاملا ، ولم تكن تلك مفاجــأة له ، وتلقى النص اول شيء في الصباح الباكر من يوم الجمعة ٢٠ يوليو ، وكان النص مفاجأة له ، فقد كان في تقديره اهانة لا مبرر لها ، وتشكيكا في قوة الاقتصاد المصري لم يكن ضروريا ، وتحريضا للشعب المصري على قيادته غير مقبول ٠

وانشغل بعدها بالجلسة الختامية لمؤتمر بريوني ، وبالبيان المشترك الــذي صدر باسمه وباسم زميليه في المؤتمر ، جوزيف بروز تيتو وجواهر لال نهرو ٠ ولم يدر نقاش بين الثلاثة في الامر ، وان جرى ذكره في احاديث جانبية ، فقد قال تيتو موجها كلامه إلى عبد الناصر:

ـ هل كنت تتوقع شيئا من ذلك ؟ »

ورد جمال عبد الناصر بان « القرار الامريكي لم يكن مفاجأة له ، ولكن « صيغة اعلان القرار هي المفاجأة · » وكان تعليق تيتو « ان صيغة القرار تصعيد خطير ، فالصيغة اعلان بنية تصفية النظام الثوري في مصر ، وكان تعليق جمال عبد الناصر ان ذلك اتجاه تفكيره هو الاخر » · وسأل تيتو عبد الناصر عن نواياه ، وكان تعليق عبد الناصر انه« لا يرى حلا آخر غير الاعتماد على النفس في بناء السد العالي ، والتأهب لصدام طويل مع السياسة الامريكية » ·

ولم يسأل نهرو في شيء · ولعل نهرو كان ينتظر المساء ليسأل عبد الناصر في كل ما يريد سؤاله فيه ، فقد كان مقررا ان يصحبه على نفس الطائرة الى القاهرة ، فيبقى فيها يومين لمحادثات عن العلاقات المصرية الهندية ، ثم يسافر يوم الاحد ٢٢ يوليو عائدا الى دلهي ·

□

في الساعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة ٢٠ يوليو صحب تيتو ضيفيه ـ عبد الناصر ونهرو ـ في يخت صغير عبروا به من جزيرة بريوني الى خليج « بولا » ، واتجه الثلاثة بالسيارة الى المطار ، وعلى سلم الطائرة المصرية قام تيتو بتوديعهما : صافح نهرو وعانقه ، وبدأ نهرو يصعد درجات السلم ، بينما تيتو يصافح عبد الناصر ويعانقه ويهمس في اذنه « انت مقبل على مرحلة صعبة ، ورجائي اليك ان تأخذ حذرك » ، وبدأ عبد الناصر يصعد سلم الطائرة ·

واقلعت الطائرة في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكان موعد وصولها الى القاهرة هو التاسعة مساء : اربع ساعات طيران متواصل ، وساعة في فارق التوقيت ، واحسست من مكاني في الطائرة انها ستكون ساعات طويلة طويلة ·

وكان مؤتمر بريوني بكل ما جرى فيه وراءنا ·

وكانت القاهرة بكل المنتظر فيها امامنا ·

توارى موضوع عدم الانحياز وسياساته واتجاهاته ، وبرز موضوع سحب عرض السد العالي ، وعواقبه ومضاعفاته ·

ولم ارفع بصري ـ من حيث كنت على مقعدي في الطائرة ـ عن عبد الناصر ونهرو وهما يجلسان متجاورين في الصف الاول من مقاعد الطائرة ··· كان الحديث متصلا بين الاثنين ··· وطلب عبد الناصر حقيبة اوراقه واخرج منها ملفا ناوله لنهرو · كان الملف يحوي مجموعة برقيات حملت نص القرار الامريكي ، ونص قرار بريطاني مشابه ، ونص قرار من يوجين بلاك رئيس مجلس ادارة البنك الدولي يعلن فيه « ان سحب العرض الامريكي غير تماما من الاساس الذي كان

البنك لدولي يعتمد عليه في عملية تمويل السد العالي » ، ثم مجموعة برقيات اخرى عن ردود الفعل في عواصم العالم ·

كان نهرو قد ثبت نظارته على عينيه ··· وكان يخلعها بين الوقت والاخر ليبدي ملاحظة لجمال عبد الناصر ثم يعود الى القراءة ، وكان يهز رأسه احيانا وهو يقرأ ، ثم طوى الملف وتركه على حجره وخلع نظارته وهو يقول : No Limit To Their Arrogance اي ليست هناك حدود لحماقة القوة عندهم

وكررها نهرو مرتين !!

وانقطع حبل الحديث بينهما ، وبدا ان كلا منهما غرق في تفكير عميق وسط بحر من الصمت لم يعد يسمع فيه حتى طنين محركات الطائرة التي كان ظلام الليل قد بدأ يلفها من كل ناحية ·

□

وبعد فترة رأيت جمال عبد الناصر ينهض بهدوء من مقعده ويتجه نحوي ، ثم وجدتني باشارة منه اذهب وراءه الى مؤخرة الطائرة حيث كان هناك مقعدان خاليان ، وجلس وجلست الى جانبه ، وقال انه ترك نهرو مع غفوة نوم اخذته من ارهاق العمل خلال الايام الماضية ، ثم سألني بعد هذه الملاحظة مباشرة :

ـ هل تابعت التطورات ؟

وقلت «نعم» ـ فأضاف ! «وما هو رأيك ؟» وسألته ربما بغريزة الصحفي : « ما هو رأي تيتو ونهرو » ، وقال ان الموضوع لم يبحث بينهم الا بشكل عارض ، واضاف :

ـ لم اكن اريد ان ابحث الموضوع بحثا مفصلا معهم ، لانني اشعر انه يحتاج منا الى تفكير ذاتي عميق وطويل قبل ان نبحثه مع اصدقائنا ، ثم انه من العدل لنا ولهم ان نتحمل وحدنا في هذه الظروف اية مسؤوليات تفرضها علينا الحوادث » ·

وتشعب الحديث بيننا طويلا ··· ثم توقف متسائلا :

ـ هل هذه اضواء الاسكندرية ؟

وكانت اضواء الاسكندرية فعلا امامنا تضوي من بعيد وسط الظلام ·

وقال جمال عبد الناصر :

ـ سوف اعود الى مقعدي بجوار نهرو ·

ثم سألني « اين ساكون في الصباح ؟ » وقلت « انني ساكون في مكتبي » ،

وقال « انه يريديني ان اتابع من خلال برقيات وكالات الانبـاء ردود الفعـــل في العالم ، واتصل به في الصباح الباكر قبل ان يذهب الى جلسة محادثاته مع نهرو ، ثـــم أستدرك :

ــ في الحقيقة ان العلاقات المصرية الهندية ليست هي شاغلي الان ، ومـــع ذلك فلا نستطيع ان نكون مقصرين في حق نهرو الذي سيقضي معنا يومين ويسافر الى دلهي صباح الاحـــد ٠

كانه كان هناك نوع من الاتصال النفسي الخفي بين عبد الناصر ونهـــرو

فما كاد جمال عبد الناصر يعود الى مقعده بجوار نهرو ويجلس فيه ، حتى التفت اليه نهرو يقول له :

ــ هل تعرف ؟٠٠٠ انني اريد ان استأذنك في تغيير برنامجي ٠٠٠ ساعود الى دلهي غدا اذا سمحت لي ٠٠٠ ان امامك كثير تفكر فيه ، وانا أشعر انه اولـــى بوقتك ٠٠٠ دعنا نتقابل في الصباح ثم اودعك واسافر » ٠

وحاول جمال عبد الناصر ان يلح على نهرو ، ولكن الزعيم الهندي بشفافيه حسه كان قد اتخذ قراره ٠

وكان سفراء الدول الاجنبية المعتمدين في القاهرة صفا في المطار ينتظـــرون استقبال الزعيمين ، وكان بينهم السفير الامريكي هنري بايرود ، واتذكر انني قلت له بسرعة ونحن في ساحة المطار : «ماذا فعلتم » ؟ وكان رده « انت لا تستطيـــع ان تتصور كيف اشعر ٠٠٠ انني اشعر ان كل ما أردت بناءه في مصر قد تهـــدم مرة واحدة فوق راسي ، ومع ذلك فالمهم الان هو ماذا ستفعلون انتم ؟

ولم اقـــل شيئا ٠

□

لا اعرف لماذا استيقظت صباح السبت ٢١ يوليو وقناة السويس في ذهني ، مرتبطة بقرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في بناء السد العالي ٠

كان شعوري ان جمال عبد الناصر سوف يتصرف ازاء هذا القرار بخطوة ما في اتجاه قناة السويس ٠

ولم يكن السبب مجرد اشارته العابرة يوم التقينا معه ــ الدكتور احمـــد حسين وانا ــ في برج العرب ، وسؤاله للدكتور احمد حسين عما اذا كان يستطيع شراء كتاب عن قناة السويس ، وعن نصيحته له بأن يقرأ عن القناة ٠

وانما كان السبب اكبر من ذلك ٠٠٠ السبب هو ان القناة كانت موضوعـــا يفكر فيه ٠

كان منذ سنة ١٩٥٥ يفكر في قناة السويس على اساس الاستعداد لتسلم القناة عند انتهاء عقد امتيازها ، وكان قد اشار بانشاء ادارة لشؤون القناة تلحق بوزارة التجارة والصناعة ، وكان شديد الاهتمام وقتها بتقرير قدمه اليه الدكتور مصطفى الحفناوي ــ استاذ في القانون الدولي نال شهادة الدكتوراه من باريس عن دراسة حول قناة السويس ــ وقد قرأ جمال عبد الناصر هذا التقرير اكثر من مرة ، واضاف على هوامشه ذيولا طويلة من التعليقات بخط يده ٠

وفي بداية سنة ١٩٥٦ ــ ومع الرغبة في بدء برنامج واسع للتصنيع ــ ومع احساسه بان البنوك المصرية الواقعةتحتسيطرةرأسالمال الاجنبي تحجم عنتمويل المشروعات الاستثمارية ــ اقترح على وزارة التجارة والصناعة أن تفاوض شركة القناة في استثمار جزء من اموالها في مصر ، وتمت هذه المفاوضات فعلا رغم محاولات عنيدة من شركة القناة ان تتلكأ وتعرقل ٠

ثم تبين ان الشركة استجابت لهدف سعى به الرسل الى مصر ، وهو ان تقوم مصر بمد امتياز شركة القناة حتى تستطيع الشركة ان تطمئن الى مستقبلها وتدخل في مشروعات ضخمة لتوسيع قناة السويس بتمويل من بنوك امريكية ٠

وكان بين من حدثوه في موضوع مد امتياز الشركة وزير خارجية فرنسا في ذلك الوقت كريستيان بينو ، وكان رفضه قاطعا ، وعلى اي حال فقد لفت نظره قول بينو له في نهاية اجتماعه به في القاهرة « ان الحكومة الفرنسية سوف تأخذ من طريقه مصر في معاملة شركة قناة السويس مقياسا لحسن النية في العلاقات المصرية / الفرنسية ٠

ولقد دار حوار بينه وبين سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقتها اعتقد ان جمال عبد الناصر قد خرج منه بفكرة ٠٠٠ بدات كبذرة ، ثم راحت تختمر في ذهنه وتنمو يوما بعد يوم ٠

كان سلوين لويد يتحدث الى جمال عبد الناصر اثناء لقائهما في القاهرة عن اهمية منابع البترول العربي بالنسبة إلى بريطانيا، وان قناة السويس هي الشريان الذي يصل منه البترول العربي الى بريطانيا ، وقال سلوين لويد :

ــ ان الجلاء البريطاني عن قاعدة قناة السويس سوف يتم في موعده ــ ١٨ يونيو ١٩٥٦ ـ ولكنّ مصر عليها ان تدرك اهميّة القناة بالنسبة إلى بريطانيا، وكونها فعلًا جزءاً من استراتيجية البترول».

ورد جمال عبد الناصر :

ـ اذا كانت القناة جزءا من استراتيجية البترول ، ولها نفس اهمية منابعه ، فلماذا لا يكون لمصر نصيب من دخل القناة ، كما ان لاصحاب منابع البترول نصيبا من قيمة بترولهم ٠

واتصل الحديث ، ولكني بعدها احسست من احاديثي مع جمال عبد الناصر ان الفكرة تتضح في ذهنه اكثر واكثر :

ان الدول المنتجة للبترول تأخذ خمسين في المائة من دخله ، ومصر وهي صاحبة قناة السويس ـ التي هي جزء من عملية البترول الشاملة في المنطقة ـ لا تأخذ من دخل قناة السويس الا حوالي مليون جنيه سنويا ، بينما دخل هذه القناة ستة وثلاثون مليونا ٠

وسمعتها من جمال عبد الناصر بوضوح اكثر : ،

ـ من العدل ـ ومن باب المساواة بالبترول ـ ان نأخذ نصف دخل القناة ٠٠٠ وذلك كي نستطيع تمويل مشروعاتنا الصناعية دون ان نتوسل للبنوك كل سنة بان تقبل المساهمة في خطتنا التنمية ٠

ثم أحسست ان الفكرة تحولت الى خطة حينما جلست في يوم من ايام يونيو سنة ١٩٥٦ ـ وكان قد انتخب رئيسا للجمهورية ـ فاذا هو يقول وسط حديث طويل عن احلام المستقبل وبرامجه :

ـ لا بد ان نجد فرصة مناسبة نطلب فيها مبدأ المشاركة في دخل قناة السويس اسوة بالبترول ، ان الشركة سوف تقيم الدنيا وتقعدها وسوف تكتل نفوذها في العالم كله ضدنا ، ولكن لا بد لنا من المشاركة ٠٠٠ والمهم ان نجد فرصة مناسبة نطرح فيها مطلبنا ونصر عليه ٠ »

□

لا اعرف لماذا تدافع ذلك كله الى خواطري صباح السبت ٢١ يوليو ٠٠٠ لعلي ربطت بين سحب العرض الامريكي وبين طلب المشاركة في دخل قناة السويس ٠

كان يريد فرصة مناسبة ٠٠٠ فهل هذه هي الفرصة المناسبة ؟

وذهبت الى مكتبي فراجعت كل ردود الفعل في العالم للقرار الامريكي واتصلت به تليفونيا في غرفة نومه ، وكانت الساعة الثامنة والربع صباحا ٠
وتبادلنا حديثا عاديا مما يتبادله الاصدقاء في الصباح ، ثم انتقلت الى ردود الفعل في العالم ، ثم وصلت اخيرا الى ما كان يلح على فكري ٠

قلت لـه :

ـ انني فكرت طويلا فيما نستطيع ان نفعله ازاء القرار الامريكي ٠

وقـــال :

ـ وهـل توصلت الى شيء ؟

وقلـــت :

ـ هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة نتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخـــل ٠٠٠٠٠

ولم اكمل كلامي ، فقد قاطعني بما يعتبر طلبه الى عدم الاستمرار في شـرح مـــا اريد بالتليفون ٠٠٠

وسكت ٠٠٠ وجاءني صوته على التليفون يقـــول :

ـ انك اقتربت كثيرا مما افكر فيه ، ولكن السؤال الذي اطرحه عليـــك لتفكر فيه حتى اراك في المساء هو : لماذا النصف ٠٠٠ لماذا لا نأخذ الكل ؟

ولم تطاوعني الكلمات ، وصدر عني ـ فيما اذكر ـ صوت هو مزيج مـــن الشهيـق والزفيـــر ٠

ثم سمعته يقـــول لي :

ـ لا تتحدث مع مخلوق حتى اراك هذا المساء ٠

ووضعت سماعة التليفون مكانها بحركة الية ، كما لو انني كنت تحت تأثير تنويم مغناطيسي ٠٠٠ ومضت دقائق ، وهمست لنفسي :

ـ اذن فهذا رده ٠٠٠ أن « نأخذ » شركة قناة السويس !

الحديث التاسع :

حسابات عبد الناصر في قرار تأميم القناة

لعلي لا اتجاوز اذا قلت انني كنت اول من سمع بعبارة « تاميم قناة السويس » تخرج من فم جمال عبد الناصر باعتبارها خطوته القادمة في لعبة الشطرنج الهائلة التي كانت تجري في ذلك الوقت من يوليو ١٩٥٦ على رقعة الشرق الاوسط ·

كانت اللعبة السابقة لعبة دالاس ، سحب فيها عرض المساهمة الغربية في تمويل السد العالي ، واعتبر تلك اللعبة آيته الكبرى تدفع جمال عبد الناصر الى الحافة وتهوي به وراءها ·

وكان الدور على جمال عبد الناصر في الصراع على اقدار الشرق الاوسط ومصائره ·

ولا استطيع ان اقطع متى كان يريد ان يفضي الي بالسر الكبير ـ لو انني لم اكن بمحض المصادفة قد استنتجت نصفه بتاثير ما كان دائرا من حول قناة السويس خلال النصف الاول من سنة ١٩٥٦ ، مما شرحت بعضه في حديث سبق ·

هل كان يفضي الي به قبل موعد اعلانه بستة ايام · ؟ · او هل كان يؤثر الانتظار يوما او يومين او ثلاثة · ؟ · او ماذا كان في ذهنه بالضبط بشأن ادخالي الى الصورة فيما يتعلق بالقرار الكبير الذي كان يدور ويتبلور في فكره؟

وعندما ذهبت الى لقاء جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم السبت ٢١ يوليو ، بادرني بقوله :

ـ اذن فقد استنتجت الخطوة التالية التي افكر فيها ؟

ولم ينتظر حتى اجيب ، بل استطرد يسأل :

ـ ما رأيك ؟

وقلت :

ـ مسألة كبيرة وخطيرة ··· كبيرة جدا وخطيرة جدا ·

وقال :

ـ كبيرة جدا وخطيرة جدا بالفعل ، ولا بد ان نحسب كل شيء فيها

بدقة ، ولو فعلنا ذلك وتحملنا مسؤوليتها ومخاطرها فانها في اعتقادي تكون الحل الامثل من عدة نواحي ٠

نستطيع بدخلها تمويل السد العالي ٠

نسترد بتأميمها حقا مصريا يراود احلام كل المصريين ٠

نؤكد بذلك استقلالنا الكامل واستقلال ارادتنا السياسية ٠

نضيف قيمة القناة الى ارصدة مصر الاستراتيجية ٠

واستطرد :

ـ انني طول اليوم افكر في هذا الموضوع ، وقد عدت الى ايـــام عملـــي كضابط «اركان حرب» وكتبت تقديري لموقفنا على الورق ٠٠٠ وفوق ذلك كتبـت تقديري لمواقف الاطراف الاخرى ٠

وراح يتطلع الى مجموعة اوراق امامه ملأها كتابة بخطه المشهور بزواياه الحادة ٠٠٠

سبـع اوراق من حجم نصف فولسكاب بالطول ٠٠٠ والكتابة عليها بالقلم الرصاص ، واول صفحة فيها عنوانها : « موقفنا » ، وتحت العنوان خط ٠

ثم تداعت افكاره من خلال الحديث ، واحسست انه وهو يتحدث الي انما يفكر بصوت عال ، ويحاول مراجعة ما توصل اليه ٠

قال :

ـ لنترك تقدير موقفنا ٠٠٠ كل ما فيه تستطيع ان تتصوره ٠

اهم ما فيه انه لا بد لنا ان نبني السد العالي لاهميته في مستقبلنا ، ثم لان السد ، اصبح رمزا لقيم حيوية بالنسبة الينا ، اولها قيمة الاعتماد على النفس .

ولكي لا يكون تصميمنا على بناء السد العالي اعتمادا على انفسنا مجرد « انشاء » ، فانه لا بد لنا من تدبير موارد اضافية ، وقناة السويس مورد حقنـا الشرعي فيه ثابت ، واستردادها علينا واجب ، فضلا عن ان دخلها كله بالنقـد الاجنبي ، وهو ما نحتاج اليه تماما ٠

تأميم قناة السويس من الناحية العملية هو الحل النموذجي ٠٠٠ والآثار السياسية لمثل هذا الحل ظاهرة وواضحـة ٠

نترك هذا كله الى موقف الاخرين ٠

واستطرد جمال عبد الناصر :

ـ الخطر الذي يجب ان نحسب حسابه هو احتمال التدخل العسكري ، وسوف يكون ذلك اول ما يفكرون فيه ٠٠٠

حاولت ان احصر الاطراف التي يمكن ان تفكر في التدخل العسكري ٠

نظريا ، كلهم يستطيعون التفكير في التدخل العسكري لاول وهلة ، ولكن بعضهم سوف يتردد عندما يفكر في الموضوع مرة ثانية ٠

الولايات المتحدة لن تقدم ـ فيما اتصور ـ على تدخل عسكري لان ذلك بالنسبة إليها افلاس سياسي امام دولة صغيرة كمصر ٠

فرنسا هي الاخرى لا تستطيع ان تتدخل بمفردها ، فهي مشغولة بحرب الجزائر ، ووضعها العالمي كله ـ خصوصا بعد هزيمة الهند الصينية ـ لا يمكنها من عمل مسلح ضد مصر ٠

اسرائيل ايضا قد تفكر في التدخل ولكنها لا تستطيع اتخاذ تاميمنا لقناة السويس ذريعة لشن الحرب ، ثم ان تدخل اسرائيل ضدنا سوف يجعل معركتها ضد مصر حربا ضد الامة العربية كلها ، وهذا يفرض على امريكا محاولة « فرملة » اسرائيل ، ثم ان اسرائيل من مصلحتها ان تنتظر لكي ترى صراعنا مع الغرب كله يشتد ويعنف ٠

الطرف الذي اخشى من تدخله هو بريطانيا ، واعتقد ان بريطانيا سوف تفكر في التدخل لاول وهلة ، وعندما تفكر في الامر ثانية سوف يزداد اصرارها على التدخل ٠

واستطرد جمال عبد الناصر :

من هنا ، الموقف البريطاني ٠٠٠ هو مفتاح الموضوع كله ٠

كيف تتصرف بريطانيا ، وكيف يتصرف ايدن ؟

المشكلة ان ايدن في موقف ضعيف ٠٠٠ ولانه ضعيف فانه قد يكون عنيفا ٠

كانت منطقة الشرق الاوسط هي المنطقة التي يريد ان يثبت فيها نفسه باعتباره خبيرا في شؤونها كما يقول ؛ ثم باعتبارها المنطقة التي لم يتم ترتيب امورها في وقت تشرشل ٠٠٠ في وقت تشرشل رتبت الامور في اوروبا بحلف الاطلنطي ، ورتبت الامور في اسيا بحلف جنوب شرق اسيا ٠

الشرق الاوسط بقي وحده بغير ترتيب غربي ، وكان ايدن يعتبر ان هذه هي المنطقة التي تدعوه الى التدخل فيها لترتيب امورها ، لكنه حين بدأ يفعل ذلـــك شاءت الظروف ان نكون نحن المتصدين له ·

منذ وقت خروج جلوب من الاردن ، بدأ يعتبرني عدوه الرئيسي في المنطقة، وقد فكروا في عمليات اغتيال ، وفي تدبير انقلاب ، ولم ينجحوا حتى الان،ولكنهم في حالة تعبئة نفسية ضدنا الى الحافة ·

وخطوة مثل تأميم قناة السويس سوف تكون القشة التي تقصم ظهر البعير، ويصبح ايدن تحت ضغوط نفسية من داخله وضغوط سياسية من حزبه ومـــن الراي العام البريطاني ، تدفع كلها الى التدخل المسلح ضدنا ، خصوصـــا وان الجو الدولي العام الذي سيخلقونه بدعاياتهم حول تأميم قناة السويس سوف يعطيه الارضية الصالحة للتدخل المسلح ·

لكنه هنا لا بد ان يتصرف فورا ليستفيد من هذا الجو الدولي العام ·

لا بد ان يتصرف فورا ، وفي ظرف اسبوع على الاقل ، والا بدأ الجو العام يبرد يوما بعد يوم ·

تقديري ان التدخل العسكري ضدنا سيكون بنسبة ٨٠ في المائة خلال اسبوع من قرار التأميم ·

اذا مضت هذه الفترة الحرجة فسوف تتناقص احتمالات الخطر ·
في الاسبوع الثاني والثالث من اغسطس سوف يكون الخطر بنسبة ٦٠٪·

في الاسبوع الرابع من اغسطس سوف يكون الخطر بنسبة ٤٠ ٪ ·

خلال شهر سبتمبر سوف يكون الخطر بنسبة ٣٠ ٪ ·

حتى نهاية اكتوبر سوف يكون الخطر بنسبة ٢٠٪ ، ثم يبدأ في التلاشي بعد ذلك لان الفرصة تكون قد افلتت تماما ·

واستطرد جمال عبد الناصر ، وهو ينقل بصره ما بين اوراقه المكتوبة ،وما بين عيني يحاول ان يقرأ فيهما تأثيرما يقوله علي :

– على هذا الاساس امامنا سؤال يتقدم غيره من الاسئلة :

– ما هي القوات الجاهزة في منطقة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض مما يستطيع ايدن ان يستعمله لعملية عسكرية فورية ضدنا ؟

اذا كانت لديه قوات جاهزة كافية ، فمعنى ذلك ان التدخل المسلح ضدنا حتمي ·

واذا لم تكن لديه قوات جاهزة ، فما هو الوقت الذي سيمضي من الان وحتى تجهز قواته ؟ »

واستطرد :

ـ يجيء بعد ذلك سؤال اخر : ماذا نستطيع نحن ان نفعل في فترة الوقت التي تمضي من الان وحتى يكون جاهزا للتدخل ، وهل نستطيع القيام بمبادرات سياسية تطوق احتمال تدخله حينما تجهز قواته ؟·

واستطرد :

ـ اذا فرغنا من ذلك ، فلنا ان نبحث ما هي اشكال التدخل المحتملة :

- هل يحاول بالاسطول مثلا اقتحام قناة السويس ··· وماذا لو اننا وضعنا باخرة بالعرض في قناة السويس تسد مجراها وتعوق الدخول اليه ؟

- هل يحاول بالاسطول ايضا ـ كما فعل الاميرال سيمور ايام عرابي ـ ان يضرب الاسكندرية او بور سعيد من البحر ··· ذلك لا يكفي في رايي ، فضلا من ان عرابي لم يكن يملك مقاتلات وقاذفات تستطيع الاغارة على قطع الاسطول البريطاني المعتدية ·

- هل يحاول القيام بعملية انزال في بور سعيد تمهيدا لاحتلال منطقة القناة ؟ هل يحاول عملية اسقاط مظلات حول القاهرة ؟

مثل هذه العمليات ـ الانزال او الاسقاط ـ لا بد من تعزيزها خلال اربع وعشرين ساعة بجيش كبير ، والا تعرضت قوات الانزال او الاسقاط لخطر حصارها وابادتها ·

ثم من اين يمكن ان يجيء جيش التعزيز ··· من ليبيا مثلا ··· او من قبرص ؟

هذا كله يعود بنا الى السؤال الاصلي :

- ما هو حجم القوات البريطانية القريبة منا ، وما هي درجة استعدادها؟

اذا اجبنا على هذا السؤال ، استطعنا بدقة ان نحسب كل عوامل موقفنا حسابا دقيقا نستطيع التصرف على اساسه ·

□

صباح يوم الاحد ٢٢ يوليو كان جمال عبد الناصر يحاول ان يجد الاجابة على سؤاله الحيوي الذي يتوقف عليه كل شيء :

● ما هو حجم القوات البريطانية في الشرق الاوسط والبحر الابيض والبحر الاحمر ، وما هي درجة استعداد هذه القوات ؟٠

وكانت هناك عدة جهات كلفها جمال عبد الناصر البحث والتقصي ٠

وكانت هناك ميادين محددة لكل جهة من هذه الجهات تبحث فيها وتتقصى٠

كانت المخابرات العسكرية المصرية تبحث وتتقصى ، والميدان الذي كلفت دراسته هو ليبيا والقوات البريطانية لمرابطة فيها ، ثم الاردن والقوات البريطانية المرابطة فيه ٠

ومن الغريب ان هدية معلومات جاءت في ذلك اليوم على غير انتظار وبغير طلب ، وكان مصدرها المكتب الثاني ــ المخابرات العسكرية ــ في الجيش السوري ، وكان عبد الحميد السراج وقتها هو رئيس المكتب الثاني ، وكانت مشاعره القومية كلها متجهة الى جمال عبد الناصر ، مضبوطة على نفس موجته٠

كان للمكتب الثاني ضابط اتصال في قبرص ، ولقرب قبرص من سوريا ولدور بريطانيا في حلف بغداد ــ وهو حلف كانت ترفضه كل العناصر القومية في المنطقة ــ فان عبد الحميد السراج ترك باستمرار عينا مفتوحة على قبرص وعلى النشاط البريطاني العسكري فيها ٠

وفي ذلك اليوم ، وطبقا لسياسة تبادل المعلومات ، اذا احد التقارير السورية يحوي تفاصيل عن القوات البريطانية في قبرص ٠

لكن الانصاف يقتضي ان اذكر اليوم ان الصورة الكاملة لاوضاع القوات البريطانية ودرجة استعدادها ، في قبرص بصفة خاصة وفي البحر الابيض بصفة عامة ، جاءت من الاسقف مكاريوس زعيم قبرص ، ومن الجنرال جريفاس قائده العسكري ــ في ذلك الوقت ــ والمسؤول امامه عن المقاومة المسلحة لمنظمة « ايوكا » ٠

كانت المقاومة الوطنية القبرصية قد اتصلت بمصر تطلب مساعدتها ،وجريا على سياسة مساعدة حركات التحرر الوطني ــ وهي سياسة مصر في ذلك الوقت ــ فان الثورة القبرصية ضد الاحتلال البريطاني تلقت من مصر ما كانت تحتاجه من مساعدات ، وارتبطت معها بعلاقات وثيقة ٠

وفي ذلك اليوم سافر مندوب خاص الى قبرص واتصل بقيادة الثورة القبرصية ، ونقل للاسقف مكاريوس وللجنرال جريفاس رسائل من عبد الناصر مضمونها :

« ان علاقاتنا مع بريطانيا تسوء يوما بعد يوم بسبب تصدينا للاستعمار البريطاني ومخططاته في المنطقة ، وليس من المستبعد ان تفكر بريطانيا في عمل مسلح ضد مصر ، ولذلك فان مصر ترجو من كل اصدقائها ان يجمعوا لها ما يستطيعون جمعه من معلومات عن القوات البريطانية في البحر الابيض وعن درجة استعدادها ٠ »

وعبات « ايوكا » كل رجل وامراة وطفل فيها لجمع المعلومات التي تطلبها القاهرة ، الى درجة ان الجنرال جريفاس طلب ان تكون المعلومات التي تقدم اليه معززة بصور فوتوغرافية من داخل القواعد البريطانية في قبرص ٠

□

كان جمال عبد الناصر يتصور ان بامكانه اعلان تاميم قناة السويس يوم الاثنين ٢٣ يوليو في الاحتفال بالعيد الرابع للثورة ، ولكن صباح ٢٣ يوليو بدا والمعلومات لم تصل بعد لتجيب على السؤال الحيوي الذي يتوقف عليه كل شيء ٠

ثم وجد جمال عبد الناصر نفسه ـ وهو يفكر في الاعلان عن قرار التاميم ـ يواجه سؤالا اخر امامه :

ـ «على فرض ان المعلومات جاءت وكان قراره على اساسها اعلان تاميم قناة السويس ، فأين هو الجهاز المصري الذي يتولى مسؤولية العملية ؟ ومن الذي يقود مثل هذا الجهاز ؟ » ٠

وذهب جمال عبد الناصر الى احتفالات يوم ٢٣ يوليو ، وقد اقتصرت سنتها على حفل لافتتاح خط انابيب البترول بين السويس ومسطرد ، وكان مقررا ان يتحدث عبد الناصر في هذا الاحتفال ، ولكنه ذهب اليه باسئلته كلها معلقة في الهواء دون جواب يطمئن اليه ويتصرف على اساسه ، وتصور ان يعتذر عن الحديث في ذلك الاحتفال على وعد بان يتحدث بعد ثلاثة ايام في احتفالات الاسكندرية بذكرى خروج الملك في ٢٦ يوليو ، ولكنه وجد ان اعتذاره عن الكلام قد يساء تأويله دوليا وعربيا ، وابسط ما يمكن ان يستنتج من هذا الاعتذار هو انه ليس لدى مصر ما تردبه على التحدي الامريكي ، وما تنقذ به حلمها المستقبلي الكبير في السد العالي من حافة الهاوية ٠

وبدات مراسم الحفل،وطاف جمال عبدالناصربارجاء محطةنهاية خطالانابيب، ولا اظنه رأى كثيرا من معالمها،فقد كان ذهنه مشغولا تماما باشياء اخرى، وجاء

يستمع الى خطاب المهندس محمود يونس الذي اشرف على بناء الخط ،وفجـــاة لمع خاطر ··· امامه الاجابة على سؤاله الثاني : جهاز تنفيذ عملية تاميم قنـاة السويس ، والرجل الذي يقود ذلك الجهاز ·

وفرغ محمود يونس من خطابه ، ووقف جمال عبد الناصر على المنصة ، ولا اظنه كان قد فكر قبلها في تفاصيل ما يمكن ان يتحدث به الى الناس ··· كـان الخطاب فعلا من وحي اللحظة ، ولم يكن قادرا على ان يترك نفسه على سجيتها ويسترسل مع الحديث كما يجيء ، واظن انه لم يبق من خطابه في مسطـــرد الا عبارته الشهيرة موجهة الى الذين سحبوا عرض المساهمة في تمويـل الســد العالي جميعهم : « موتوا بغيظكم » ، وكانت هذه العبارة ترجمة لمزاجه ، منفصلة عما كان يدور في راسه ·

وحين انتهى من الاحتفال ، وعاد الى سيارته ، ومشى معـه محمود يونس يودعه ، لم يزد جمال عبد الناصر على ان قال له :

ـ محمود ··· افرغ من بقية ما لديك الان هنا ، واتبعني · »
وتبعه محمود يونس ·

وقضى معه بقية يوم الاثنين ٢٣ يوليو كله ، وعاد اليه يوم الثلاثـــاء ٢٤ يوليو بخطط التنفيذ وخريطة انشاء جهاز صغير يقود عملية تاميم قناة السويس، وادارة القناة بعد تاميمها ، وكانت لجمال عبد الناصر ملاحظات عليها ، واعيدت الدراسة ، ثم جاء محمود يونس صباح يوم الاربعاء ٢٥ يوليـــو بالصـــورة الكاملة ·

ومع ذلك ، فقد كانت الصورة الكاملة حتى هذه اللحظة مجرد استعـــداد لقرار محتمل ، ذلك ان صدور قرار نهائي كان ما زال بعد معلقا بســـؤال لـــم تتحدد الاجابة عليه ، حول حجم القوات البريطانية الموجودة في منطقة الشــرق الاوسط ودرجة استعدادها ·

وحين بدا جمال عبد الناصر يعد الخطوط العريضة لخطابه يـوم ٢٦ يوليو ، فانه اعد في الحقيقة مشروعين :

مشروع يؤدي سياقه الى اعلان قرار تاميم قناة السويس ·

ومشروع اخر يتحدث عن الموقف وتفاصيله ، وينتهي بان مصر لن تسكت، وانها ستبني السد العالي ولو حتى « بالمقاطف » ·

وكان جمال عبد الناصر يعرف ان امامه فرصة ثالثة للكلام امام الناس في احتفالات جامعة الاسكندرية ، وخطر له انه يستطيع تاجيل هذا الاجتمـــاع لاي

سبب لمدةيومين او ثلاثة ، لو اقتضى الامر ، ويعلن فيه قرار تأميم قناة السويس اذا جاءته الاجابة على سؤاله الحيوي ·

□

مساء يوم الاربعاء ٢٥ يوليو اتخذ جمال عبد الناصر قراره العظيم ·

في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم جاءته تفاصيل ما كان يحاول ان يسال عنه ، واكتملت امامه صورة عن أوضاع القوات البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها ··· واثبتت الايام فيما بعد ان هذه الصورة كانت دقيقة الى حد كبير ، وان الاستنتاجات التي قامت على اساسها كانت سليمة في معظم ما توصلت اليه ·

كانت الصورة كما يلي :

● القوة البحرية البريطانية في المنطقة : حاملة طائرات راسية الان في مالطا ·

ثم مدمرة واحدة في البحر الابيض تقوم باعمال الدورية احيانا في مثلث يمتد بين قبرص والاسكندرية وحيفا ·

ثم مدمرة واحدة في البحر الاحمر في طريقها الان من بور سودان الى عدن ·

● القوات البرية في المنطقة :

الفرقة العاشرة المدرعة في ليبيا ·

فرقة الهوسار ـ مشاة ـ في الاردن ·

مجموعة قوات في قبرص تتكون من : لواء الحرس الثالثة المشاة ـ لواء الكوماندوز الثالث ـ لواء مظلات ·

وكان تقدير الجنرال جريفاس عن القوات البريطانية في قبرص انها لا تستطيع القيام بعمليات واسعة خارج للجزيرة لانشغال معظم القوات بالثورة في الجزيرة ··· بل ان قيادة هذه القوات طلبت مددا فوقها يساعدها على مواجهة الموقف في قبرص ·

وقرأ جمال عبد الناصر تقرير المعلومات المعروض عليه عن اوضاع القوات البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها ، واعاد قراءته اكثر من ثلاث مرات ، وقارن المصادر المتعددة للمعلومات ببعضها ، ثم كتب بخط يده تحت التقرير حاشية تتضمن مجموعة ملاحظات نصها ـ كما نقلته فيما بعد من الوثيقة الاصلية حين

كنا نحاول تسجيل قصة السويس كاملة ، واظن ان الوثيقة الاصلية موجودة حتى اليوم في خزانة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في الدور الارضي من بيته ـ كما يلي :

● لا تستطيع الحكومة البريطانية ان تتدخل عسكريا ضدنا بالفرقة المدرعة الموجودة في ليبيا · صعب استعمال بلد عربي كقاعدة لغزو بلد عربي اخر ·

● نفس الشيء ينطبق على فرقة المشاة الموجودة في الاردن ·

● قوات قبرص غير كافية لاية عمليات ·

● قوات الاسطول عاجزة عن الهجوم او المعاونة ·

● يمكن للحكومة البريطانية ان تنسق مع الحكومة الفرنسية لعملية مشتركة ، ولكن القوات الفرنسية مشغولة بالجزائر ، وعملية نقلها وتعبئتها والاتفاق علىعمليات مشتركة ، تحتاج ما بين شهرين الى ثلاثة شهور على الاقل·

● مستحيل ان تلجأ بريطانيا وحدها ، او بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا ، الى الاستعانة باسرائيل في اي عملية ضد مصر لان ذلك « يقلب الدنيا » في العالم العربي ضدهما · بريطانيا لا يمكن ان تدخل في عملية من هذا النوع بالتنسيق مع اسرائيل ·· ولا يمكن لايدن ان يفعل ذلك بسبب المصالح البريطانية والعلاقات البريطانية مع الملوك والشيوخ العرب ·

. . . .

. . . .

وتلقى محمود يونس الاشارة النهائية بالمضي قدما في الخطة ·

واخرج جمال عبد الناصر قلما من جيبه وقع به مرسوم تاميم الشركة العالمية لقناة السويس ، وكان مشروع المرسوم قد اعد ـ تحسبا وانتظارا ـ بواسطة لجنة راسها السيد محمد ابو نصير الوزير الاسبق ـ رحمه الله ـ وكان من اعضائها البارزين الدكتور الحفناوي الذي كان اكبر الخبراء المصريين في كل ما يتعلق بشركة قناة السويس فضلا عن حماسته الزائدة والدائمة لتأميمها ·

□

وكان يوم الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يوما من اروع الايام في تاريخ العرب الحديث ، وفي القصة الحافلة لحياة جمال عبد الناصر ·

دعا الى اجتماع مشترك لمجلس الوزراء واعضاء مجلس قيادة الثورة ،

وعقد الاجتماع في بيت كان يستأجره تلك السنة في الاسكندرية ، وهو بيت مقام على ربوة مجاورة للعمارة الضخمة التي يملكها صندوق تأمين القوات المسلحة، قرب شاطىء سان استفانو ٠

وانعقد الاجتماع في الساعة الخامسة بعد الظهر ، واستمع حضوره الى القرار وموجباته واهدافه ، وكان معظمهم يسمع بموضوع تأميم قناة السويس لاول مرة ، بل لعلي اقول ان الذين كانوا يعرفون السر الكبير من بين المشتركين في هذا الاجتماع لم يكن عددهم يزيد على خمسة ٠

وجرت مناقشة كان الكل فيها مأخوذا بجرأة القرار وجسارته٠

ثم جاء الوقت ليتحرك الموكب من بيت عبد الناصر الى ميدان المنشية ، حيث تنتظر جماهير ضخمة سماع خطاب جمال عبد الناصر ٠

وتحركت سيارته ووراءها سيارات بقية حضور الاجتماع والمشتركين فيه٠

وكان الخطاب الذي حفظته الامة العربية كلها عن ظهر قلب ، وكانت كلمة السر فيه ان ينطق جمال عبد الناصر باسم « فرديناند دليسيبس » فيعرف محمود يونس ويعرف المشتركون معه في عملية الاستيلاء على شركة قناة السويس في مقرها الرسمي في القاهرة ، او في مقرها العملي الضخم في الاسماعيلية ، ان القرار نهائي لم يطرأ عليه اي تغيير ، ومن ثم يشقون طريقهم نحو التنفيذ ٠

ونطق جمال عبد الناصر باسم « دليسيبس » ٠

وسمعها محمود يونس من جهاز راديو كان معه وهو يقود قافلة صغيرة من السيارات قرب مبنى شركة قناة السويس في الاسماعيلية ٠٠ وتحرك ٠

وكرر جمال عبد لناصر اسم « دليسيبس » اكثر من مرة ٠٠٠ كرره سبع عشر مرة ــ بلا ضرورة في بعض الاحيان ــ ليتأكد ان محمود يونس تلقى الاشارة المتفق عليها ٠٠٠ وفي الحقيقة فان محمود يونس تلقى الاشارة من اول مرة ورد فيها اسم « دليسيبس » على لسان جمال عبد الناصر ٠٠ ٠تلقاها وتصرف ، وكان داخل مبنى شركة قناة السويس فعلا حين بدأ جمال عبد الناصر يتلو «قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس ٠ »

☐

وقامت الدنيا كلها ٠٠٠

قامت ولم تقعد !

الحديث العاشر :

عاصفة
على بيت رئيس وزراء بريطانيا

تلقى السير انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا نبأ تأميم قناة السويس حوالي الساعة العاشرة مساء بتوقيت لندن • وكان ايدن في قاعة الطعام الرئيسية بمقره الرسمي رقم ١٠ دواننج ستريت • وكان يكرم على العشاء ضيفين من العالم العربي هما الملك فيصل ملك العراق وقتها،والسيد نوري السعيد رئيس وزرائه •

وكان من حول مائدة العشاء عدد من الضيوف الاخرين ، بينهم بعض الساسة البريطانيين والوزراء ورؤساء هيئات اركان الحرب البريطانية •

وجاء احد موظفي وزارة الخارجية البريطانية عبر الشارع الذي يفصل بينها وبين المقر الرسمي لرئيس الوزراء يحمل البرقية العاجلة في يده ، وصعد الى الدور العلوي ، وتوقف عند باب قاعة الطعام حيث خرج اليه « ويليام كلارك» سكرتير ايدن الذي اخذ منه البرقية العاجلة ، فالقى نظرة عليها وامتقع وجهه ، وادرك انها لا تستطيع الانتظار الى ما بعد انتهاء العشاء ، وان رئيس الوزراء يجب ان يراها فورا •

ودخل سكرتير رئيس الوزراء الى حيث كان يجلس رئيسه في وسط المائدة ، ثم همس في اذنه وناوله البرقية ، وراح السير انتوني ايدن يجري بعينيه على سطورها ووجهه يحتقن ويزداد احتقانا ، والكل من حول المائدة يتطلع اليه مدركا ان شيئا خطيرا قد حدث ، مما يستدعي مقاطعة رئيس الوزراء البريطاني بينما هو في وسط عشاء يقيمه تكريما لواحد من ملوك البترول العربي •

(ولعلي اضيف على الفور هنا ان اعتمادي في وصف هذا المشهد وما تلاه ليلتها في لندن يرتكز على عدة مصادر بينها مذكرات اللورد كيلموير عضو مجلس الوزراء البريطاني الذي كان يحضر عشاء تلك اللية ، الى جانب مذكرات ايدن نفسه التي نشرها بعنوان « دائرة كاملة » ، فضلا عن رواية شاهد عيان سجلها المؤرخ البريطاني الشهير الاستاذ هيو توماس في دراسته الهامة عن وقائع السويس) •

فرغ ايدن من قراءة البرقية ، ورفع رأسه ، فوجد الكل ينظرون اليه عبر المائدة ، واحس انه مطالب بايضاح امامهم ، فقال بصوت تبدو فيه محاولة السيطرة على الانفعال :

ـ ان ناصر اعلن تاميم شركة قناة السويس !

وتعالت همسات من حول المائدة ، بعضها يقول : « شيء غريب » ، وبعضها يقول : « غير معقول » ٠

وتطلع ايدن ناحية نوري السعيد وساله :

ـ هل كان لديكم من المعلومات ما يشير الى ان شيئا من هذا النــــــوع محتمل الوقوع ؟

وقال رئيس وزراء العراق :

ـ اطلاقا ٠٠٠

واستطرد نوري السعيد :

ـ لقد كان يجب ان يستشيرنا في مثل هذا القرار ، لانه يؤثر على الـدول العربية كلها ، خصوصا الدول المنتجة للبترول ٠

وقال ايدن :

ـ لقد ذهب بعيدا ٠٠٠ لقد فقد صوابه ٠٠٠ ولا بد ان نعيد اليه الصواب ٠
وقال نوري السعيد :

ـ لا بد لك ان تضربه ٠٠ وتضربه بشدة ٠٠ وتضربه الان ٠

وقد اشتهرت هذه العبارة ضمن وقائع ذلك العشاء المثير ، فقد نقلها بالنص اكثر من مصدر ، ابرزهم اللورد كيلموير ٠

□

يقول ايدن في مذكراته « دائرة كاملة » :

ـ لقد كان يجب بعد ذلك ان ينتهي حفل العشاء ، فقد استنفد اغراضه الاجتماعية ، ثم ان نبأ تأميم شركة قناة السويس نقل افكارنا جميعا الى مكان آخر ، واحس ضيوفنا اننا في حاجة الى ان نفكر ، فاستأذنوا في الانصراف ، وكذلك انصرف معهم اصدقاؤنا من البريطانيين الذين لم تكن لنا حاجة بهم ، وبينهم هيو جيتسكيل زعيم حزب العمال ، وشو كروس الوزير العمالي السابق، وكانا بين الضيوف ٠ »

ويقول اللورد كيلموير في مذكراته :

ـ بعد انصراف الضيوف طلب منا ايدن ان نتوجه الى قاعة اجتماع مجلس الوزراء في الدور الاول ، وكان منظرنا غريبا ونحن ندخل القاعة ٠

كنت « انا » و « ايدن » و « سالسبوري » و « سلوين لويد » بملابس السهرة التي حضرنا بها العشاء ، وكان « ايدن » و « سالسبوري » الى جانب ذلك مزينين بكل اوشحة فرسان ربطة الساق ، وجاء رؤساء اركان حرب الامبراطورية، وبينهم من كان بملابس الميس الموشاة للسهرة ، ومعنا فان ايدن قرر دعوة السفير الفرنسي المسيو « شوفيل » ، والقائم بالاعمال الامريكي « اندرو فوستر » ٠

وفكر السفير الفرنسي في دعوة « جورج بيكو » المدير العام لشركة قناة السويس ، وقد تصادف وجوده في لندن ليلتها ، فاتصل به « شوفيل » في فندق « ريتز » ، وقدم « بيكو » بسرعة الى رقم ١٠ داوننج ستريت ، ولكن ايدن لم يجد مناسبا ان يدعو مدير شركة الى قاعة اجتماع مجلس الوزراء ، ومن ثم فانه رأى تعويضا له ان يشد على يده مشجعا في بهو الانتظار خارج قاعة اجتماعات المجلس ٠

وحين اكتمل عددنا في قاعة اجتماعات المجلس كان ايدن هو الذي افتتح الكلام قائلا :.

ـ ايها السادة ، انكم علمتم بما حدث في مصر ٠٠٠ ان المصري قد وضع اصبعه على قصبتنا الهوائية » ٠

ثم استطرد ايدن يقول ما معناه : ليس يكفينا ان نرفع اصبعه عن رقبتنا ، ولكن يتعين علينا ان نقطع يده » ٠

وهكذا ، من اللحظة الاولى كان واضحا اننا نتحدث عن عمل عسكري ضد عبد الناصر » ٠

□

ولعلنا نستطيع معرفة اتجاهات تفكير انتوني ايدن في ذلك الوقت من نص برقية ارسلها صباح اليوم التالي ، الجمعة ٢٧ يوليو ، الى الرئيس الامريكي وقتها دوايت ايزنهاور ، وقد اوردها ايزنهاور في مذكراته التي اصدرها بعنوان « تفويض بالتغيير » ، وكان نصها كما يلي :

« عزيزي الرئيس

لقد تداولت طويلا مع زملائي خلال الساعات الاخيرة في التطورات التي جرت في مصر باعلان تاميم شركة قناة السويس ٠ ونحن متفقون جميعا على اننا لا نستطيع ان نسمح لناصر بأن يحكم سيطرته على قناة السويس ، وخصوصا بهذه الطريقة التي اتبعها ٠ واعتقادنا اننا اذا اخذنا الان موقفا حازما ، فاننا سوف نحصل على تأييد كل القوى البحرية ٠ واذا لم نفعل فان نفوذنا ونفوذكم في الشرق الاوسط سوف يجري تدميره نهائيا ٠

ونحن نتصور انه لا بد لنا في البداية ان نبذل اقصى قدر من الضغط المحسوس على مصر ، ولكن زملائي جميعا وانا على يقين باننا يجب ان نكون مستعدين عند اللزوم لاستخدام القوة المسلحة بهدف اعادة ناصر الى وعيه ونحن على استعداد لذلك من ناحيتنا · وفي هذا الصباح فانني اصدرت توجيها الى رؤساء اركان الحرب باعداد خطة عسكرية لتحقيق اهدافنا ·

وفي نفس الوقت ، فاننا نحبذ اجراء مشاورات عاجلة بين الحكومة الامريكية والحكومة الفرنسية وحكومة صاحبة الجلالة ، ونقترح ان يكون ذلك في لندن ، وان يتم في اسرع وقت ، وكلي ثقة انكم سوف توافقون على ارسال دالاس ليشترك في هذه المحادثات باسمكم ليكون اي موقف نتفق عليه معبرا عن الحليفات الغربية الكبرى » ·

انتوني

□

واما ما جرى في اجتماع مجلس الوزراء البريطاني نفسه ـ بصرف النظر عن اتجاهات تفكير ايدن ـ فانه لا حاجة بنا الى استنتاجه ، لان القائم بالاعمال الامريكي اندرو فوستر سجله في برقية بعث بها الى وزير الخارجية الامريكي دالاس ، وهناك صورة منها في اوراق دالاس في جامعة برنستون ، ونصها كما يلي :

« السفارة الامريكية

لنـدن

٢٧ يوليو ١٩٥٦

الى وزير الخارجية

استدعاني ايدن في الساعة الحادية عشرة مساء ، وبعد دقائق من وصول انباء القاهرة ، وقد وجدت نفسي لمدة ساعتين احضر اجتماعا طارئا لمجلس الوزراء دعي لحضوره ايضا رؤساء اركان الحرب البريطانيين ، الى جانب السفير الفرنسي ، وذلك لمناقشة اقدام ناصر على تاميم قناة السويس ·

ان مجلس الوزراء كان يعتبر الموقف بالغ الخطورة ، وكانت هناك مشاعر عنيفة تجتاح الاجتماع ، وخصوصا من جانب ايدن الذي كرر اكثر من مرة ان ناصر يجب ان يفلت من العقاب او يسمح له بـأن ينفذ بجلـه من تبعـات تصرفه ·

وفيما يتعلق بالنواحي القانونية ، فقد كان اجماع الآراء خلال مناقشات

المجلس انه ، وان كان ناصر بالتاكيد قد خرق امتياز شركة قناة السويس ، فانه ليس واضحا ان تصرفه في حد ذاته يشكل خرقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨ ، وان كان مثل هذا الخرق سوف يحدث على الاغلب اذا كان من شأن اجراءات التاميم ان تعطل الملاحة في قناة السويس او اعمال الصيانة اللازمة لهـا ٠

وكان المجلس على اتفاق بان الالتجاء الى مجلس الامن سوف يواجه مخاطر التعطيل الذي يدعو الى اليأس ٠ وبصرف النظر عن وجهات نظر القانون الدولي في الامر فان الحكومات الغربية المعنية بالامر يجب ان تبحث في شان اجراءات اقتصادية وسياسية وعسكرية ضد مصر بهدف تأكيد سلامة القناة وصيانتها وحدود الرسوم على المرور منها ٠ وقد كان السؤال الذي واجه المجلس بطبيعة الحال هو المدى الذي تستطيع الحكومة الامريكية ان تصل اليه بشان التاييد والاشتراك في موقف حازم تجاه ناصر ، خصوصا بشان العقوبات الاقتصادية والعمل العسكري ، اذا كان ذلك لازما ٠ ولقد قلت من جانبي ان الولايات المتحدة بالتاكيد تعتبر الموقف بالغ الخطورة ، وانني سوف احاول باقصى قدر ممكن من السرعة ان احصل على المؤشرات الاولية للموقف الامريكي٠ ولقد تم الاتفاق على أن اقابل ايدن وسلوين لويد في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم ٠ برجاء ان يكون لدي في هذا الوقت تعليمات من الوزارة بشأن ما استطيع ان انقله اليهم ٠

ومؤقتا فاني اعربت عن رأيي بان الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا يجب ان تواصل مشاوراتها ، كما ان هذه المشاورات يمكن ان تتسع في مرحلة لاحقة لتضم حكومات صديقة اخرى ، كأعضاء الكومنولث وكالدول التي تستخدم القناة اكثر من غيرها كالنرويج مثلا ٠ وكان الرأي ان قائمة الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية قد لا تكون الان ذات نفع كبير في صدد ما يجري بحثه الان ٠ وقد قال لي ايدن إنه متحمس لمشاورات عاجلة بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ٠ وبدا لي انه يفكر في اجتماع بين هذه القوى الثلاث على مستوى وزاري ، وانه يرى دعوة هذا الاجتماع بأسرع ما يمكن ٠

وقد عرضت على مجلس الوزراء البريطاني في حضوري برقية عاجلة من السفير البريطاني في القاهرة يسأل فيها : كيف يرد على شركة قناة السويس ؟ التي طلبت نصيحة قبل قليل بشأن موقفها من قرار التاميم ، خصوصا فيما يتعلق بموظفيها الذين طلبت اليهم السلطات المصرية ان يواصلوا اعمالهم كالعادة او يتعرضوا للعقاب ٠٠٠ وهل يواصل هؤلاء اعمالهم ؟ وماذا يحدث اذا امتنعوا عن العمل ؟

وكان ايدن يرى بشدة ان حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع ان تنصح

هؤلاء الموظفين بمواصلة العمل في ظل قوانين التاميم ، حتى وان ادى ذلك الى دخولهم السجن ، او حتى اذا ادى ذلك الى توقف الملاحة في القناة · وكان رأي ايدن ان نصيحتهم بمواصلة العمل تعني الاذعان لسلطة ناصر والقبول بتشهيره · وقد رؤي تأجيل القرار في هذا الصدد الى اليوم ·

وقد قرر مجلس الوزراء ايضا تخويل رؤساء اركان الحرب رفع درجة الانذار بين القوات البريطانية في البحر الابيض ، كذلك اصدر التعليمات لهم باعداد دراسة لاحتمالات التدخل بالقوة المسلحة اذا تبين ان ذلك ضروري ، على ان يتم ذلك بسرعة ·

ثم انتقل المجلس بعد ذلك الى دراسة بيان يصدر عن اجتماع مجلس الوزراء في اطار الخطوط العريضة التالية :

« ان القرار الذي اصدرته مصر من جانب واحد بتاميم شركة قناة السويس ، وبدون اخطار سابق ، وخرقا لعقد امتياز الشركة ــ انما هو قرار يمس حقوق ومصالح امم عديدة · ان حكومة صاحبة الجلالة تجري مشاورات مع عدد من الحكومات المعنية بالامر مباشرة بقصد مواجهة الموقف الخطير الناجم عن الاجراء المصري ، وتاثيراته على عمليات قناة السويس ، وما يتصل بذلك من امور يثيرها هذا العمل التعسفي من جانب مصر » ·

وقد اعرب لي ايدن عن امله القوي في ان تتمكن حكومتا الولايات المتحدة وفرنسا من اصدار تصريحات مشابهة للتصريح البريطاني اليوم · وقد استاذن السفير الفرنسي لمغادرة قاعة الاجتماع ، واتصل تليفونيا بباريس ، وعاد ليقول ان باريس قد وافقت على اصدار تصريح مشابه للتصريح البريطاني ·

وبينما كان الاجتماع ينفض اقترب مني سلوين لويد وقال لي إنه الان يعتقد ان الحل الوحيد هو تاليف « كونسورسيوم دولي» ياخذ قناة السويس ويشرف على تشغيلها ، ويؤكد سيطرته عليها ولو بالقوة المسلحة ·

انني ارجوكم الابراق على وجه السرعة بشأن امكانية اصدار تصريح امريكي مماثل للتصريح البريطاني ، وفي نفس الوقت تزويدي بتعليمات مفصلة بشأن ما يمكن ان اقوله لايدن ولويد عن موقف الولايات المتحدة عند اجتماعي بهما اليوم ·

القائم بالاعمال »

□

كانت الحوادث تجري بسرعة يوم الجمعة ٢٧ يوليو ، وكانت في جريانها

تجيب على اسئلة كثيرة مما كان مطروحا في اجتماع مجلس الوزراء ٠

● اجتمع رؤساء اركان الحرب البريطانيين في الصباح وبحثوا احتمالات العمل العسكري الفوري ، ثم وجدوا ان اوضاع القوات البريطانية في البحر الابيض لا تسمح لهم بأي عمل عسكري ضد مصر الا بعد فترة لا تقل عن ستة اسابيع ، وكان رايهم ان اي عملية تستهدف احتلال منطقة قناة السويس لا تفي بالغرض لان المطلوب هو احتلال القاهرة ، والا فليست هناك فائدة من العملية ، لان استمرار «بقاء ناصر في القاهرة» سوف يمكنه من شن حرب تقليدية وشعبية ضد قوات احتلال قناة السويس ـ وهو نفس الوضع الذي كان قائما قبل الجلاء عن المنطقة باتفاق مصري بريطاني ـ وفي هذه الحالة فان قوات الاحتلال سوف تجد نفسها مشغولة بحماية نفسها قبل حماية قناة السويس ٠

وتم اخطار ايدن بقرار رؤساء اركان الحرب في الساعة الواحدة بعد الظهر ٠

● اتصل ايدن برئيس وزراء فرنسا وجرى بحث مشاركة فرنسا في عملية عسكرية ، وعاد جي موليه يتصل بايدن ليقول له ان القوات الفرنسية غير جاهزة لعملية فورية ،لان الاسطول الفرنسي في البحر الابيض « دخل عمرة الصيف » ، واكبر بوارجه وهي « دوجراس » غير مستعدة ، والبارجة « جورج ليبج » في الحوض الجاف ، والبارجة « روانس » في التصليح ، وليس جاهزا للعمل غير البارجة « جان بار » وهي أضعف هذه البوارج ٠

ثم أضاف « موليه » أن وزير حربيته بورجيس مانوري يحتاج إلى عدة أسابيع ليكون جاهزا للعمل ، وعلى اي حال فانه « اذا كانت بريطانيا مستعدة ، فان فرنسا تستطيع أن تقدم فرقة المظلات العاشرة بقيادة الجنرال « ماسو » ، الى جانب الفرقة الميكانيكية الخفيفة السابعة « كمشاركة رمزية في العملية » ٠

● اكتشفت الادارات المعنية أن مخزون بريطانيا من البترول يكفيها ستة أسابيع في وقت السلم ، ولكن هذا المخزون لا يكفي لاكثر من بضعة ايام في حالة عمليات عسكرية ، وهكذا فانه من المهم أن يستمر مرور الناقلات المحملة بالبترول في قناة السويس حتى تستطيع القوات البريطانية تكوين مخزون من الوقود يستطيع مواجهة حالة الحرب ٠

وعلى مضض طلب ايدن الى سلوين لويد أن يخطر السفير البريطاني في القاهرة بأن ينصح ادارة شركة قناة السويس بأن تتعاون لكي تظل القناة مفتوحة لمرور البترول الضروري لعملية عسكرية ضد مصر ٠

ولما كان ايدن راغبا في اجراءات سريعة يظهر بها غضبه على التصرف

المصري وتلحق أكبر ضرر ممكن بمصر ، فقد قدمت اليه توصيات وافق عليها فورا بتجميد أرصدة مصر من الجنيه الاسترليني وبتعطيل سفر مدمرة مصرية كانت راسية في ميناء « بورتسماوث » للتصليح .

وبدأ ايدن يستعجل اجتماع وزراء خارجية أمريكا وفرنسا وبريطانيا .

ولم يكن دالاس في واشنطن اثناء ذلك كله ، وقرر ايزنهاور ارسال روبرت مورفي مساعد وزير الخارجية الى لندن ليحل محل دالاس ، وكانت تعليماته اليه أن « يحمي القلعة » حتى يتمكن دالاس من اللحاق به اذا كان ذلك ضروريا .

ووصل مورفي الى لندن ليجد طبول الحرب تدق ، وقال له ايدن في اجتماع معه :

ـ نحن وفرنسا سوف نتكفل بناصر ، وفي نفس الوقت نريدكم ان تتكفلوا انتم « بالدب » (يقصد الاتحاد السوفيتي) .

وابرق مورفي الى ايزنهاور بهذه الملاحظة ، واحس ايزنهاور ان تداعي الحوادث على هذا النحو قد يقود الى مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ، وكتب الى ايدن رسالة مطولة ، اورد عبارات منها في مذكراته ، وكانت هذه العبارات واضحة في الدلالة على اتجاه تفكيره بشان ردود الفعل المتوقعة من الاتحاد السوفيتي ، فقد جاء فيها ما نصه :

« يجب أولا وقبل كل شيء أن نظهر ان جميع الوسائل السلمية للضغط على ناصر قد استنفدت .

ان الموضوع ليس بهذه البساطة ، ويمكن أن يؤدي الى ردود فعل تؤثر على شعوبنا ، وانا لا أريد أن ابالغ ، ولكني اؤكد لك أن هذا الامر يمكن أن يتسع ويكبر لدرجة تكون له فيها عواقب بعيدة المدى » .

ثم طلب ايزنهاور الى دالاس أن يسرع بالذهاب الى لندن لان ايدن « قد يقودنا جميعا الى مغامرة قد تؤدي الى مواجهة مع الاتحاد السوفيتي » .

ووصل دالاس الى لندن ، وكانت خطته « استنفاذ جميع الوسائل السلمية للضغط على ناصر قبل استخدام القوة المسلحة » .

كان ايدن قد بدأ يقلق من الموقف الامريكي ، ولكن دالاس في أول اجتماع به طمأنه حين قال له :

« انني لا اختلف معك في أنه لا بد لنا بكل الوسائل الممكنة أن نرغم ناصر على أن يفرغ من معدته كل ما حاول ابتلاعه فيها » ٠

وتسجل محاضر مجلس الوزراء البريطاني قرارا للمجلس بتاريخ٢ اغسطس يقول بالنص :

« اتفق المجلس على استمرار الجهود السياسية لاستعادة قناة السويس ، وذلك لتغطية الفترة اللازمة للاستعداد العسكري الذي يضمن استعادتها بالقوة المسلحة » ٠

□

كان ايدن في هذه الفترة في حالة « نشوة » تصور انها تغطي كل ما كان يعانيه قبلها ٠

قبلها كانت أحواله غاية في السوء ٠

كان ونستون تشرشل قد تأخر في تسليم رئاسة الوزراء وزعامة حزب المحافظين له عن اعتقاد جازم لديه بأن « انتوني » ــ خليفته الذي طال انتظاره للارث ــ لا يصلح لمواجهة الاجواء العاصفة التي تعيشها بريطانيا بعد الحرب وبعد ظهور القوة الامريكية والقوة السوفيتية ، وبعد بداية التهاوي في النظام الاستعماري ٠

ثم تنازل تشرشل اخيرا « لولي العهد » الذي كان قد قارب السبعين ٠

وكان هناك كثيرون من زعماء الحزب واقطابه يرون في ايدن نفس ما كان يراه تشرشل ، ويروي انتوني ناتنج وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في كتابه « لا نهاية للدرس » أن بعض النواب البريطانيين من اعضاء حزب المحافظين كانوا يقولون أن ايدن « رجل من قش »وانه « رجل بغير شارب حقيقي » ، وكانت هذه الملاحظات تصل الى ايدن ٠

وكان ايدن قد تزوج مرة أخرى على كبر ، فقد تزوج بعد الستين من شابة أقل من الثلاثين وهي « باميلا تشرشل » ، وكانت من اقارب ونستون تشرشل ، وكان املها أن يثبت زوجها ايدن أنه ليس أقل صلابة من قريبها تشرشل ، وكان ايدن يعوض من فارق السن بينه وبين زوجته بالتظاهر امامها ، ويروي بعض وزرائه أنهم كانوا يتجنبون الحديث معه أمامها لانه في ذلك الوقت لا يرد عليهم بما يقولون ، وانما يرد لتسمع زوجته ٠

وضاعف من مشكلة ايدن أنه اصيب بأمراض خطيرة في امعائه ومعدته، واجريت له في الولايات المتحدة عمليات جراحية نجا منها بما يشبه المعجزة،

ولكنها تركت اثارها عـليه لان نفايات من امعائـه كانت تتسرب الى دمــه وتحدث له نوبات من العصبية والقلق ٠

وكان ايدن يشعـر بذلك كله وتساوره الوساوس والشكوك احيانا فيمـــا يتعـلق بقدرته ٠

ويقول انتوني ناتنج :

« حين انفجرت ازمة السويس اكاد اقول ان ايدن وجدها فرصة ليثبــت نفسه أمام كل خصومه والمتشككين في قدرته ٠

كان يعيش عـلى اقراص « البنزدرين » توقظ اعصابه وتنبهها على الآخر ٠

أخيرا جاءته الفرصة ٠٠٠ خصوصا وانها أمام عـدو بدا له سهلا ٠

وكانت أسعـد اللحظات لديه حين يجلس في غـرفة العـمليات في مقـــره الرسمي ، ويدخـل جنرالات ويخـرج جنرالات ، وتفتح خرائط وتقفل خرائـــط ، وتعرض خـطط وتعـدل خـطط » ٠

□

وانتهى اجتماع لندن الثلاثي بين دالاس وزير خارجية امريكا ، وبيــن وزير خارجية فرنسا ، وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ، الى قرار بدعـــوة مجموعـة من الدول البحرية المستفيدة بقناة السويس الى مؤتمر في لندن يبحـث تاميم قناة السويس وما لحقه من ضرر بمصالحـها وأمنها ٠

واتذكر تماما ليلة صدر بيان الدول الثلاثة بالدعـوة الى مؤتمر القـــوى البحرية في لندن ٠٠٠

كان جمال عبد الناصر في الاسكندرية ، وكنت في القاهرة ، وطلب الــى ان اكون على اتصال مباشر به طول الوقت لاخطره اولا بأول بأخبار لندن ، وكان يعتقد ان وكالات الانباء العـالمية سوف تسبق بهـا كـل المصـادر الاخرى ما فيهـ سفارات مصر بالطبع ٠

وحتى الساعـة السادسة بعـد الظهر لم يكن بيان المجتمعـين الثلاثة في لندن قد أذيع بعـد ، وقال لي جمال عبد الناصر عـلى التليفون من الاسكندرية « انه سوف يذهب الى السينما فـي حفلة ستة الـى تسعـة مساء ، وانه بعـد السينما سوف يتصل بي » ، واستغربت وسألته « كيف تطاوعـه اعصابه عـلى أن يكون في السينما بينما قرار الدول الثلاثة منتظر بين وقت وآخر » ؟ وكان رده ببساطة « وماذا تريدني أن افعـل ٠٠٠ أجلس لاقرض أظافري في انتظار صدور بيانهم ؟»،

ثم اضاف « انهم لن يعلنوا الحرب علينا في هذا البيان ، وسيتخذون خطوه سياسية ، ومن الخير ان أسمعها بدون عصبية على أن انتظرها متوترا حتى تجيء » ٠

وحين اتصل بي في الساعة التاسعة والنصف كان البيان قد صدر بالدعوة الى مؤتمر للدول البحرية في لندن ، وقرأت له نص البيان واستعرضت معه الصورة كاملة كما نقلتها وكالات الانباء من لندن ، بما في ذلك التعليقات وردود الفعل وتصريحات بعض المجتمعين بعد انتهاء اجتماعهم ، وكان تعليقه :

« المهم كيف نستطيع الاستفادة من الوقت ٠٠٠ ان احتمال العمل العسكري ضدنا ما زال قائما ، ولكن فرصته ستقل أسبوعا بعد اسبوع خصوصا اذا استطعنا تعبئة الدنيا كلها معنا » ٠

ثم سألني : «هل ما زلت تتّصل بمحمود يونس كل ساعة تطمئن إلى حركة الملاحة في القناة » ؟

وقلت : « الحقيقة انني افعل » ٠

وقال : « اتركه الان لعمله ٠٠٠ ان القناة تسير على نحو مرض يشهد به الجميع ، ومعركتنا الان لم تعد حركة سير الملاحة في قناة السويس ٠٠٠ وانما اصبحت الان مرحلة حركة على اتساع العالم كله ٠٠٠ »

الحديث الحادي عشر :

قــرّر عبــد الناصر ان يسافر الى لنــدن ... ثـم غيــّر رأيـه

لم تتوقف عقارب الساعة في انتظار مؤتمر لندن الذي دعت اليه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، والذي تحدد زمانه ومكانه : ١٦ اغسطس ـ لندن ٠

كان الاعداد للمؤتمر يجري على قدم وساق ٠٠٠ الدعوات توجه الى ٢٤ دولة بينها مصر ٠٠٠ خبراء وزارة الخارجية البريطانية ، بالتشاور مع باريس وواشنطن ، يضعون مشروع لائحة بالاجراءات ٠٠٠ الاتصالات مع عواصم الدول البحرية متصلة لتوجيه المؤتمر في الاتجاه المطلوب منه ٠٠٠ الضغوط تمارس على الدول التي يتحسب اصحاب الدعوة مقدما لاحتمال تعاطفهم مع مصر ٠

ولكن المؤتمر لم يكن الساحة الوحيدة التي تنتصب فيها ساعة الحوادث الجارية مع الدقائق والثواني ، وانما كانت هناك ساحات اخرى وساعات اخرى ، وايقاع مع الدقائق والثواني لا يكف عن الدق ٠

☐

كان مجلس الوزراء البريطاني ـ كما رأينا ـ قد اتخذ قرارا سريا نقله الاستاذ هيو توماس فيما بعد عن محاضر هذا المجلس بتاريخ ٢ اغسطس يقول « بمواصلة العمل السياسي الى الوقت الذي يتم فيه الاستعداد العسكري » وفي نفس هذا اليوم ، وبعد جلسة مجلس الوزراء ، طلب ايدن رؤساء هيئة اركان الحرب واصدر اليهم توجيه العمليات العسكرية ضد مصر محددا بهدفين :

- السيطرة على قناة السويس ٠
- واسقاط نظام ناصر ٠

وفي هذا الاجتماع بين ايدن وبين رؤساء الاركان وقع الاختيار على الجنرال « ستوكويل » ليتولى قيادة الحملة والاعداد لها ، واختير الاسم الرمزي للعملية، وهو « موسكتيرز » اي « الفرسان » !

وكان لا بد من تعبئة سياسية للشعب البريطاني بعد ان طلب رؤساء الاركان ان يسمح لهم باستدعاء بعض طبقات الاحتياطي . وكانت قطاعات كبيرة من الشعب البريطاني معبأة بالفعل ضد مصر وناصر والعرب ، ولكن ايدن رأى ان يضيف نبرة جديدة الى التعبئة عن طريق تشبيه جمال عبد الناصر بادولف هتلر ، والمقارنة بين كتاب عبد الناصر « فلسفة الثورة » ، وكتاب هتلر « كفاحي »، ثم قامت اشباح ميونيخ تذكر الشعب البريطاني وشعوب اوروبا الغربية كلها بان التساهل مع جمال عبد الناصر سوف يجر عواقب وخيمة يمثل ما جره

التساهل امام هتلر حينما استسلم تشمبرلين امامه في ميونيخ ٠ وفي ضباب هـذه الاثارة بدأ استدعاء بعض طبقات الاحتياطي في بريطانيا ، وبدأت الصحـف البريطانية تنشر صورا للجنود بمعداتهم على سفن النقل في الطريق الى البحـر الابيـض ٠

. . . . . .

. . . . . .

وكان جمال عبد الناصر في القاهرة يرى ويسمع ويتابع ٠٠٠ كان يريد ان يكسب وقتا بالعمل السياسي ، وكان يعتقد ان نجاح العمل السياسي سوف يساعد على ابطال مفعول كل تربص عسكري بمصر ، ولكن ذلك كله لا ينبغي ان يدفـعه الى الاسترخاء العسكري ٠٠٠ كان عليه ان يحاول دفع المحظور قدر ما يستطيع، ولكن كان عليه في نفس الوقت ان يكون مستعدا لملاقاة المحظور اذا وقع !

وهكذا في يوم ٨ اغسطس دعا جمال عبد الناصر الى اجتماع عسكـري نوقشت فيه كل الاحتمالات ، وكان رايه ان القوات المسلحة والمقاومة الشعبيـة يجب ان تكون مستعدة للحرب باعتبارها امرا واقعا ٠٠٠ » واذا امكن بالعمـل السياسي تفادي القتال فذلك خير ، واذا تعذر تفادي القتال نكون مستعدين ٠

وفي هذا الاجتماع تم اتخاذ قرار بالغ الاهمية ، وهو القرار بسحب القوات المصرية من سيناء ، لان جبهة القتال المحتمل قد تغيرت ٠

كان جمال عبد الناصر لا يزال على اعتقاده بان بريطانيا لا يمكن ان تسمح لنفسها بالاشتراك في معركة عسكرية جنبا الى جنب مع اسرائيل ، لان ذلك مـن شأنه ان يدمر النفوذ البريطاني والمصالح البريطانية في العالم العربي ٠

كان الهجوم المنتظر في تقديره هجوما بريطانيا ـ فرنسيا قادما عبر البحـر الابيض من قبرص ومالطة ، متجها الى الاسكندرية او بور سعيد ، وبور سعيد هي الارجح لانها منطقة « موضوع الصراع » وهو قناة السويس ٠ وكانت خشيته انه اذا جاء الهجوم على بور سعيد وقوات الجيش المصري موزعة ما بين سينـاء ووادي النيل ـ فان القوات البريطانية الفرنسية الغازية قد تتمكن من قطـع الاتصال ما بين قوات سيناء وقوات الوادي ، وتصبح قوات سيناء معزولة تماما عن قواعدها ويتعذر عليها الاشتراك في المعركة ، ثم انها تصبح هدفا سهـلا للتطويق والابـادة ٠

هكذا عادت من سيناء فرقتان من فرق الجيش المصري ، احداهمـا فرقة مدرعة ، وبقيت في سيناء سبع كتائب من المشاة فقطست منها موزعة على مثلث ابو عجيلة ورفح والعريش والسابعة في شرم الشيخ ٠

واحس ايدن في تلك الفترة ان هناك قلقا في واشنطن ، وان دالاس يعتبر ان قعقعة السلاح التي تسمع في لندن وباريس تفسد جو العمل السياسي وتكشف اهدافه باعتباره مجرد غطاء للاستعداد العسكري ، وهو امر يمكن ان يستغله « الدب » ـ الاتحاد السوفيتي ـ لكي يكشف المناورة الغربية واهدافها ، كذلك كان دالاس ـ فيما سمعه ايدن ـ يرى ان تشبيه « ناصر » « بهتلر » هو تحميل للامور فوق ما تحتمل ، وان ايدن حول الصراع كله الى معركة بينه وبين « ناصر » !

وكان إيدن لا يثق بدالاس ، بل كان يكرهه ، وكان الشعور بين الاثنين متبادلا ، فان دالاس كان لا يثق في ايدن بل وكان يكرهه ، ويروي الجنرال ايزنهاور في مذكراته ان ايدن حينما التقى به في الولايات المتحدة بعد نجاحه في الانتخابات نصحه ان لا يختار دالاس وزيرا لخارجيته ، وقال له انه يتمنى لو ان الرئيس الامريكي اختار لوزارة الخارجية رجلا يستطيع ايدن ان يتعاون معه ، ولم يستمع ايزنهاور لهذه النصيحة ، واستقر رايه على دالاس ·

ورأى ايدن في تلك الظروف ان لا يترك ايزنهاور لتأثيرات دالاس ، وهكذا كتب اليه في ٥ اغسطس خطابا شخصيا تركه ايزنهاور ضمن مجموعة اوراقه في جيتسبرج ، وكان نص الخطاب كما يلي :

« عزيزي الرئيس

دعني اقول لك انني لا اعتقد ان هناك خلافا بيننا على اهدافنا المبدئية ، وهي ان نسترد ما اخذه ناصر ، وان ننشيء نظاما دوليا للقناة ، ولكن هذا ليس كل شيء ···

ان ناصر قد اقدم على سلوك طريق مألوف لدينا بما يطوي عليه من نذر السوء ·

انني لم اعتقد اطلاقا ان ناصر هو هتلر اخر ، وربما كان الشبه بينه وبين موسوليني اقرب · وليس هناك بيننا نحن الاثنين من يستطيع ان ينسى ما تكلفناه من تضحيات وكنوز حتى استطعنا ان نتخلص منه ·

ان ابعاد ناصر واقامة نظام في مصر اقل عداء للغرب يجب ان يكون ضمن اهدافنا ، ويجب ان نامل ـ كما قلت في رسالتك ـ ان يستطيع المؤتمر القادم توجيه ضغط على ناصر حتى نحقق في المستقبل ضمانات كافية لحسن ادارة عمليات القناة · واذا حدث ذلك فاننا جميعا سوف نتنفس الصعداء ، ولن يكون هناك داع لاستعمال القوة ، وفوق ذلك فلو اننا استطعنا ارغام ناصر على ان يفرغ من معدته ما حاول ابتلاعه فيها ، فاني اشك في مقدرته على البقاء في مكانه طويلا ، لان موقفه الداخلي سوف ينهار ، وبذلك نكون قد حققنا هدفنا الثاني

بعد السيطرة على القناة ٠

ان شعبنا هنا ليس متحمسا فوق العادة لاستعمال القوة المسلحة ، ولكنه مصمم بحزم على ان ناصر لن يفلت من ايدينا هذه المرة ، لان شعبنا مقتنع بان افلات ناصر يعني اننا سنكون تحت رحمته ٠٠٠ هذا هو اقتناع الشعب البريطاني ، وهو اقتناعي انا الاخر ٠

انتونـي »

وتشير اوراق ايزنهاور الى انه لم يكن هناك خلاف على ضرورة اسقاط ناصر ، وضمن هذه الاوراق تقرير من الاميرال آرل بيرك رئيس هيئة اركان حرب الاسطول الامريكي يتحمس فيه للعملية البريطانية الفرنسية ضد مصر ، وكذلك تقرير يتضمن ملاحظات من دالاس يوافق فيها على هدف اسقاط ناصر ، ولكن بغير الوسائل العسكرية وبغير التعاون السافر مع قوى استعمارية قديمة ٠

ويبدو ان ايزنهاور كان اقرب الى رأي دالاس ، فقد كتب الى ايدن ردا يقـول فيه :

« ان وجهة نظري في التعليق على رسالتك كما يلي :

من الخطأ ان نترك شعوبنا وشعوب العالم الحر لكي يراودها الشك في اننا نحاول استخدام ازمة القناة كعذر لاسقاط ناصر ٠ »

ولم يكن ايدن على استعداد لان يسمع او يرى ، فقد كانت الاشارات امامه واضحة ، لخصها جوليان ايمري رئيس مجموعة النواب المحافظين في مجلس العموم في عبارة واحدة قال فيها « اما ان يذهب ناصر ، او يذهب ايدن » ٠

□

والغريب انه في هذا الوقت كان جمال عبد الناصر يفكر جديا في ان تقبل مصر الدعوة الى مؤتمر لندن ، وان يذهب هو شخصيا الى العاصمة البريطانية على راس وفد مصر ٠

كانت الدعوة قد وجهت الى مصر ، كما وجهت الى ٢٤ دولة غيرها مهتمة بأمور القناة ومستقبلها ٠وكان توجيه الدعوة الى مصر مجرد ذر للرماد في العيون كما يقولون ، فلم يكن احد من الذين وجهوها يتصور ان مصر سوف تقبلها ٠

وكان تفكير جمال عبد الناصر : « ولم لا ؟ لماذا لا نحضر ؟ ولماذا لا نكشف؟ ولماذا لا نشرح وجهة نظرنا ؟ وما الذي سنخسره لو حضرنا ؟!

وفي صباح يوم ٨ اغسطس استيقظ عبد الناصر مبكرا وجلس امام مكتبه ، وراح يكتب بنفسه وبخط يده مذكرة يوضح فيها الاسباب التي تدعوه الى تقرير اشتراك مصر في مؤتمر لنـــدن ٠

كان يكتب على بلوك نوت من مطبوعات مجلس الوزراء معنون كالتالي :
« رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس »

وتحت ذلك ، وفي وسط الصفحة كتب جمال عبد الناصر بخط يـده عبارة : « مذكرة من الحكومة المصرية » ، ووضع تحتها خطا ، ثم بدأ يكتب واسترسـل في الكتابة حتى وصل ما كتبه الى ثـلاث عشرة صفحة بالضبط ٠

بدأها على النحو التالي :

« في السادس والعشرين من يوليو اعلنت الحكومة المصرية تأميم شركة قناة السويس ، وقد صدر قانون بذلك نص على تعويض المساهمين ٠ وقد تسلمـت ادارة القناة من هذا التاريخ هيئة مستقلة بميزانية مستقلة وكل السلطات بدون اتباع القواعـد الحكومية ٠

وفي الثالث من اغسطس سلمت سفارة بريطانيا في القاهـرة الى وزارة الخارجية مذكرة من الحكومة البريطانية تتضمن نص البيان الصادر من حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا حول تأميم مصر لشركة قناة السويس ٠ وبالاضافـة الى هذا البيان قدمت دعوة الى الحكومة المصرية لحضور المؤتمر المنعقد في لندن في ١٦ اغسطس ١٩٥٦ (لبحث الخطوات التي يمكن اتخاذها لضمان استمـرار ادارة القناة وفقا لمـا هو وارد من ضمانات في اتفاقية ١٨٨٨) ٠

ان الحكومة المصرية لا توافق على ما جاء في البيان الثلاثي خاصا بشركة قناة السويس ، فان هذا البيان حاول بكل الوسائل ان يعطي لشركة قناة السويس صفة غير صفتهـا الحقيقية حتى يخلق الاسباب التي تمكن من التدخل في شئون من صميم السيـادة المصرية ٠ »

ومضى جمال عبد الناصر في المذكرة المكتوبة بخط يده يناقش بيان الدول الثلاثة جملة جملة ، ويقارن مع نصوص اتفاقية القسطنطينية واستغرق في ذلـك ثماني صفحات من مذكرته يقطع كل سطر منها باستيعابه الكامل لقضيتـه من كل نواحيها السياسية والقانونية ٠

وفي ذيل الصفحة الثامنة من مذكرته وصل جمال عبد الناصر الى اقتـراح الدول الثـلاث باقامة ادارة دولية للقناة ، وكتب يقول :

« ان الحكومة المصرية تعتبر اقتراح اقامة لجنة دولية ليس الا كلمة مخففة

لاستعمـــار دولي » ٠

وتعرض جمال عبد الناصر بعد ذلك للمظاهرات بالقوة المسلحة ضد مصر ، وباجراءات الحصار الاقتصادي ، ثم وصل في صفحة ١١ من مذكرته الى موضوع الدعوة الى حضور مؤتمر لندن ، وكتب بخطه يقول بالحـرف :

« اما عن الدعوة نفسها ،فان الحكومة المصرية تتعجب اشد العجـب لان بريطانيا قررت الدعوة لمؤتمر يبحث الامور الخاصة بقناة السويس التي هي جزء لا يتجزأ من مصر ، بدون اي تشاور مع مصر صاحبة الشان ، كما أن حكومـة المملكة المتحدة قررت الدول التي تحضر هذا المؤتمر ، وهي ٢٤ دولة ، علما بان الدول التي استخدمت القناة سنة ١٩٥٥ هي ٤٥ دولة٠

ونظرا لما تقدم ، فان الحكومة المصرية ترى ان المؤتمر المشار اليه والظروف التي يجتمع فيها لا يمكن ان يعتبر باي حال من الاحوال اجتماعا دوليا يصـدر قرارات ، كما ان هذا المؤتمر ليس من حقه باي حال من الاحوال ان يبحث في اي امر يتعلق بسيادة مصر او يمس سيادة جزء من اراضيها ٠

ولما كانت مصر تؤمن بالعمل بما في وسعها للمحافظة على السلام العالمي ، وبميثاق الامم المتحدة ، وقرارات مؤتمر باندونج التي تدعو الى حل المشاكـل الدولية بالمسائل (هذا هو نص الكلمة ، واظنه يقصد الوسائل) السلمية ، فانها قررت الاشتراك في هذا المؤتمر ، علما بان هذا الاشتراك لا يلزم مصر باي حال من الاحوال باي قيود او التزامات ناشئة عن البيان الثلاثي بتاريخ ٢ اغسطس ، او الالتزام باي قرار يضر بكرامة مصر او يتعرض لسيادتها او حقوقها » ٠

□

واتذكر انني ذهبت مساء يوم ٨ اغسطس لمقابلة جمال عبد الناصر ، وكان معه حين دخلت عليه مدير مكتبه في ذلك الوقت السيد علي صبري ، وكان الحديث بينهما يدور حول المذكرة التي كتبها جمال عبد الناصر بخط يده ، وناولنـي الرئيس مذكرته لاقراها وابدي رايي في موضوعها ، خصوصا فيما يتعلق بقبـول الدعـوة الى حضور مؤتمر لنـدن ٠

وقرأت المذكرة ، وادهشني قبوله للدعوة، وادهشني اكثر حين قـال :
ـ" انني افكر في الذهاب شخصيا ٠٠ »

واستطـرد :

ـ انني لن اذهب الى لندن كمتهم يحاول الدفاع عن نفسه ، ولكني ساذهب

كوكيل نيابة يوجه الاتهام للاستعمار ٠

واقترح السيد علي صبري اضافة هذا المعنى الى المذكرة ، وكان ذلـك في رايه يعطيها ختاما قويا ، ووافق عبد الناصر ، وجلس علي صبري على المكتـب يضيف بخط يده فقرة تحوي المعنى الذي سمعناه من جمال عبد الناصر ٠

ومضينا نتحدث عن الاحتمالات وعن ردود الفعل ، وطال حديثنا ٠
لكن الصورة تغيرت بالكامل في الصبـــاح ٠

كان مقررا ان يلقي ايدن امام التليفزيون مساء يوم ٨ اغسطس خطابا موجها الى الشعب البريطاني عن الازمة ، وكان الاسلوب الذي اتبعه ايدن في هـــذا الخطاب مفاجئا في كلماته وفي اسلوبه وفي المؤثرات « السينمائية » التي استعملها رئيس الوزراء البريطاني لخلق ما يريد من انطباعات على جماهير الشعـــب البريطاني التي جلست تسمع وترى ٠

كان المشهد الذي ظهر امام الناس على شاشة التليفزيون كما يلي :

ظهر ايدن جالسا وراء مكتبه ، وبدأ حديثه بعرض عام للازمة من وجهـــة نظره ، ثم وصل الى القول :

« لقد سئلت كثيرا لماذا لا نثق بالكولونيل ناصر ؟

الرد بسيـــط ٠٠

انظروا الى سجلـــه ٠

وفتح ايدن امام الملايين من ابناء الشعب البريطاني الذين يتابعون خطابه ورقة كبيرة ملطخة كلها باللون الاسود ٠

ثم عاد الى حديثـــه يقول :

« انظروا الى سجله الاسود ٠٠ ان معركتنا ليست مع مصر ، ثم انها ليست اطلاقا مع العالم العربي ، وانما هي مع الكولونيل ناصر ٠

ان الكولونيل ناصر شن حملة دعائية شديدة ضد بلادنا ، وقد اظهر انـه رجل لا يمكن الوثوق لـه للمحافظة على اي اتفاق ، ولقد نكث الان بوعود بلاده لشركة قناة السويس ، وهذا نموذج نعرفه جيدا ايها الاصدقاء ٠ اننا نعرف ان هذا هو تصرف الحكومات الفاشستية ، ونحن نذكر ذلك ، ونذكر جيدا ، ونعرف كم يكلفنا التسامح مع « الفاشيست » ! ٠

واتذكر انني يوم ٩ اغسطس ، وبعد ان جاءت نصوص خطاب ايدن بالكامل الى القاهرة ، لقيت جمال عبد الناصر مرة اخرى · وكان خطاب ايدن قد غير صورة الامس كلها ، ولم يعد اشتراك مصر في مؤتمر لندن مطروحا ، ولا اصبح ممكنا ذهاب عبد الناصر بنفسه الى هناك ·

واتذكر ان جمال عبد الناصر كان مصابا يومها بنوع غريب من الدهشة، وكانت حكاية الورقة الملطخة بالسواد التي عرضها ايدن امام مشاهدي التليفزيون البريطاني على انها سجل عبد الناصر هي الذروة في بواعث الدهشة التي اعترته ·

واتذكره وهو يقول :

ـ هو يكذب على شعبه ، وهذا شانه ··· ولكن هل ينزل من مستوى سياسي يراس وزارة دولة كبرى الى مستوى ممثل رخيص يحاول التاثير على الناس بورقة سوداء ··· هل هذا معقول ··· واي نفع من الكلام مع مثل هذا الرجل ! »

□

وتحول اتجاه تفكير جمال عبد الناصر من احتمالات مواجهة مؤتمر لندن هناك في لندن ، الى احتمالات مواجهة هذا المؤتمر من القاهرة ·

وبدأ جمال عبد الناصر يرسم خطته تجاه هذا المؤتمر الذي امتنعت مصر عن حضوره ·

كانت خطته كما يلي :

● بدأ يقسم الدول التي ستحضره الى مجموعات طبقا لدرجة قربها من السياسة المصرية في ذلك الوقت ، فوضع الهند والاتحاد السوفيتي في قائمة وحدهما (كلاهما يستطيع تبني وجهة النظر المصرية كاملة) ·

● بعد ذلك مجموعة من الدول الصديقة جدا ، كسيلان واندونيسيا (ودول هذه المجموعة يمكن الاعتماد عليها في ادخال تعديلات تكون بمثابة حلول وسط تستطيع مصر ان لا ترفضها) ·

● مجموعة من الدول تربطها بمصر علاقات تقليدية ، رغم انتمائها للمعسكر الغربي او لنفوذه ، مثل اثيوبيا وباكستان واسبانيا (ودول هذه المجموعة يمكن اقناعها بأن تمتنع عن قبول ما يسيء الى مصر) ·

وبدات الاتصالات بهذه المجموعات من الدول على اساس المطلوب منها ·

ثم قرر جمال عبد الناصر ارسال السيد علي صبري الى لندن ٠ ومهمته قاصرة على التواجد في السفارة المصرية في العاصمة البريطانية ليكون همزة وصل بين عبد الناصر في القاهرة وبين الوفد الهندي والوفد السوفيتي في المؤتمر ، واولهما تقرر ان يراسه كريشنا مينون ، وثانيهما تقرر ان يراسه شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت ٠

ولم يكن في استطاعة احد ان يرسم سياسته تجاه المؤتمر قبل انعقاده ، فقد كان المؤتمر تجربة جديدة ، ثم ان الحكومة البريطانية حاولت عن طريق لائحة اجراءاته المقترحة ان توجهه في ناحية معينة ، خصوصا وان لائحة الاجراءات سوف تكون اداة في يد رئيس المؤتمر الذي كان من الطبيعي ان يصبح رئيسه هو رئيس الوفد البريطاني ، باعتبار ان بريطانيا هي الدولة المضيفة له ٠٠٠ اي ان لائحة الاجراءات سوف تكون في يد سلوين لويد ٠

□

وبدا المؤتمر ، وكانت هناك معركة حول الاجراءات ، ثم بدا المؤتمر يناقش صميم الموضوع في جلسات علنية وسرية ٠

وكان كريشنا مينون وشبيلوف على راس القيادة في المعركة الدائرة فيه ، وهل تكون نتيجتها مع مصر او ضدها ؟

وكان علي صبري يحتل مكتبا من مكاتب السفارة في شارع « سوث اودلي » ٠

وكانت البرقيات من لندن الى القاهرة ملء الجو طول الوقت ٠

ومن القاهرة كانت هناك برقية اساسية واحدة توضح اتجاه مصر وما تطلبه من المؤتمر ، وكان نصها كما يلي :

«من الرئيس

الى علي صبري

من الواضح امامي من خلال مناقشات المؤتمر ان قيادة العملية كلها قد انتقلت من يد ايدن الى يد دالاس الذي يدير المؤتمر كله بخبث وذكاء ٠

رايي كما يلي :

١ ــ لا نتوقع بالطبع ان تصدر عن المؤتمر اية قرارات لصالحنا ٠

٢ ــ من الواضح ان دالاس يريد ان يخرج من المؤتمر بقرار بادارة دولية

لقناة السويس · ومع اننا لن نعترف بمثل هذا القرار ، الا ان صدوره يواجهنا بمشكلة ادبية تؤثر على موقفنا ·

٣ ـ على هذا الاساس فلا بد ان نمنع صدور اي قرار يضر بمصالحنا ·

٤ ـ الحل الوحيد في نظري هو ان لا تصدر عن المؤتمر اية قرارات ، ولا بد ان نكتل كل الجهود في هذا السبيل ·

بلغ وجهة النظر هذه الى « مينون » و « شبيلوف » ، واكد على اهمية انتهاء المؤتمر بدون قرارات على الاطلاق ، لا معنا ولا ضدنا ، واذا تم ذلك فان المؤتمر يصبح ندوة للكلام اكثر منه مؤتمرا سياسيا ·

تحياتي للجميع ، وبالتوفيق ·

جمال عبد الناصر»

□

وكانت المناقشات في المؤتمر مستمرة ، ولكن الانقسام في المؤتمر بدا واضحا ، فقد كانت هناك اغلبية واقلية ، واصرت الاقلية على انه اذا صدرت عن الاغلبية قرارات ، فان الاقلية لها الحق ان تختلف معها علنا ، وان تشرح وجهة نظرها ببيان ·

وترددت بعض دول الاغلبية ، وبينها ايران واثيوبيا والبرتغال واسبانيا وغيرها ، واصبح المؤتمر مهددا بانفجار من داخله ، وطرح اقتراح وسط :

بدلا من قرارات تصدر عن الاغلبية ، فان هذه الاغلبية تصدر بيانا بوجهة نظرها ··· مجرد بيان ، ثم يتولى وفد خاص عن المؤتمر نقل وجهة نظر الاغلبية ـ ١٨ دولة ـ الى جمال عبد الناصر في القاهرة ·

ووقع اختيار ايدن على « روبرت منزيس » رئيس وزراء استراليا لكي يراس وفدا يطير الى القاهرة لشرح وجهة نظر الدول الثماني عشر امام جمال عبد الناصر ·

ويقول ايدن في مذكراته « دائرة كاملة » انه سأل منزيس قبل سفره الى القاهرة عما اذا كان يتوقع قبول جمال عبد الناصر لوجهة نظر الدول الثماني عشرة، وقال له منزيس : « نعم ، بنسبة واحد في المائة ! »

وفي نفس الوقت في القاهرة ، كان جمال عبد الناصر على استعداد لمقابلة منزيس والبعثة التي ترافقه ، واتذكر تعليق جمال عبد الناصر يومها ، وكان نصه تقريبا :

ـ انني لا امانع في استقبالهم وفي الاستماع اليهم وهم يتكلمون ··· وليس هناك ضرر من الكلام حتى ولو طال الكلام سنينا ··· كلما طال الكلام كان ذلك في مصلحتنا ! »

الحديث الثاني عشر :

صدام بين عبد الناصر
وبين رئيس وزراء أستراليا

لم يكن جمال عبد الناصر وحده هو الذي يريد « استمرار الكلام » بقبوله مجيء « بعثة منزيس » الى مصر ٠

انتوني ايدن هو الآخر كان يريد « استمرار الكلام » ، ولذا اختار منزيس ليرأس بعثة الى مصر تقدم لها وجهة نظر الدول الثماني عشرة التي اتفقت في لندن ٠ وكان لكل واحد منهما غرض في « استمرار الكلام » يختلف عن غرض الآخر ٠

● جمال عبد الناصر كان يريد « استمرار الكلام » ، لان مضي الوقت كان كفيلا ــ في تقديره او في تصوره ــ بتحويل الانظار المركزة عن موضوع تأميم شركة قناة السويس، خصوصا مع انتظام الملاحة في القناة تحت الادارة المصرية، الامر الذي سيسقط كل حجج اصحاب نظرية التدخل العسكري بالقوة ضد مصر ٠

● أنتوني ايدن كان يريد « استمرار الكلام » ، ولكن الى حد معين ، الى اللحظة التي يقول له فيها قواده العسكريون ، وبالذات الجنرال ستوكويل ، ان خطتهم للاستيلاء على منطقة القناة ، وطرد (نص العبارة الواردة في التوجيه الصادر من ايدن الى ستوكويل) جمال عبد الناصر من مصر ٠

وفي الوقت الذي جاءت فيه بعثة منزيس الى مصر ، وفي الوقت الذي كان جمال عبد الناصر يستقبلها فيه ، فان العجلة كانت تدور ولا تكف عن الدوران ٠

في ذلك الوقت كانت لندن على سبيل المثال مشغولة بالمسائل التالية :

١ ــ بحث احتمال عملية « كوماندوز » محدودة يكون من أهدافها اغتيال جمال عبد الناصر (ورأت المخابرات البريطانية ان مثل هذه العملية محفوفة بالصعاب) ٠

٢ ــ بحث احتمال تدبير انقلاب ضد جمال عبد الناصر (ورأت المخابرات البريطانية انه ليست هناك في مصر في الوقت الراهن عناصر يمكن دفعها الى مثل هذا العمل ، او حتى يمكن الاتصال بها لبحث امكانياته) ٠

٣ ــ محاولة تدبير انقلاب عسكري في سوريا يتوافق في توقيته مع العمل العسكري المقرر ضد مصر بمقتضى الخطة « موسكتيرز » ــ « الفرسان » (كلفت لجنة الامن في حلف بغداد ببحث هذا الموضوع واجراء الاتصالات اللازمة لوضعه موضع التنفيذ بالتنسيق مع حكومة العراق) ٠

٤ ــ جر الولايات المتحدة بكل الوسائل الى المشاركة في عملية غزو مصر ، او الى السكوت عن هذه العملية على الاقل ٠

٥ ــ بحث ردود الفعل المحتملة من الاتحاد السوفيتي ، وهل يمكن للولايات المتحدة ان تتكفل « بالدب » في الوقت الذي تتكفل فيه خطة « موسكتيرز » ــ الفرسان ــ بناصر ٠

٦ ــ ما هو رد فعل الشعب المصري ازاء عملية الغزو ؟ وكيف يتصرف جمال عبد الناصر ؟ وهل يقاتل بالجيش الى النهاية ؟ وهل يلجأ اذا اضطرته الظروف الى حرب شعبية ، خصوصا في دلتا النيل ، وهي منطقة يصعب على الدبابات ان تعمل فيها بسهولة بسبب نظام الري المعقد في مصر ، وما يمثله هذا النظام بترعة ومصارفه من عوائق على حركة الدبابات ٠

وكانت هناك لعبة متعددة الاطراف تجري بين عواصم الدول الغربية واصدقائها في المنطقة ، ولم تتضح تفاصيل هذه اللعبة الا فيما بعد حينما تكشفت كل الوثائق ٠

- كانت اسرائيل تحاول أن تجر فرنسا الى عملية عسكرية ٠

- وكانت فرنسا تحاول ان تجر بريطانيا من انفها (وكانت بريطانيا لا تزال مترددة بسبب علاقاتها بالعالم العربي ، وبسبب عدم ثقتها بالموقف الامريكي) ٠

- وكانت بريطانيا بدورها تحاول أن تجر الولايات المتحدة وتقنعها ، ولو حتى باغماض عينيها عن عملية « موسكتيرز » ، وفتحهما اذا ما تحرك « الدب » وكشر عن انيابه ٠

□

وفي هذا الجو وصلت بعثة منزيس الى مصر ، وكانت تضم وزراء خارجية ايران واثيوبيا والسويد ، ومساعد وزير الخارجية الامريكي ، وكان قد روعي في اختيار اعضائها ان لا تكون لدولهم مواقف حادة في ازمة قناة السويس ، كما روعي ايضا تمثيلهم للعالم كله جغرافيا ، فقد كانت ايران تمثل آسيا ، واثيوبيا تمثل افريقيا ، والسويد تمثل أوروبا ، والولايات المتحدة تمثل نصف الكرة الغربي كله ٠

والتقت البعثة لاول مرة بجمال عبد الناصر ظهر يوم ٣ سبتمبر ١٩٥٦ ، وكان الاجتماع هادئا ، انصب في معظمه على اجراءات المفاوضات ، فقد اقترح منزيس ــ طبقا لمحضر اجتماع الجلسة الاولى بين البعثة وبين جمال عبد الناصر ــ « ان تكون الاجراءات على ثلاث مراحل :

في المرحلة الاولى تتقدم البعثة باقتراحاتها ـ مشروع الدول الثماني عشرة ـ وتشرح وجهة نظرها بشأن هذه الاقتراحات ·

وفي المرحلة الثانية يدرس الجانب المصري هذه المقترحات ويرد عليها ·
وفي المرحلة الثالثة تدور المفاوضات » ·

واقترح منزيس « حجب تفاصيل الاجتماعات كلها عن الصحافة ، والاكتفاء بتصريح عام بعد كل اجتماع يشير الى الروح العامة السائدة فيه ، ويحدد موعد الجلسة التالية » ·

واقترح جمال عبد الناصر اتباع اسلوب مرن في الاجتماعات وعقد جلسة واحدة مساء كل يوم ، لان « مشاغله الناشئة عن مظاهرات القوة العسكرية وفرض الحصار الاقتصادي على مصر تقتطع جزءا كبيرا من وقته » ·

ثم اقام جمال عبد الناصر في مساء ذلك اليوم حفل عشاء للبعثة في قصر النيل ، وجاء منزيس ـ رئيس وزراء استراليا ورئيس البعثة ـ فجلس بجواره على العشاء وحاول كل جهده ان يكسر الثلج مع جمال عبد الناصر ، فقال له :

ـ هل تعرف انني مشهور بمقدرتي الفائقة على تقليد اصوات ولهجات بعض كبار الشخصيات ؟ »

وقال له جمال عبد الناصر ضاحكا انه « لا يستطيع ان يحكم حتى يرى ويسمع ·»

وسأله منزيس :

من تريد أن اقلدلك ؟ » ·

وقال له جمال عبد الناصر :

ـ لا اعرف قائمة من تستطيع تقليدهم » ·

وقال منزيس :

ـ سوف ابدأ بتقليد تشرشل » ·

ومال منزيس برأسه قرب اذن جمال عبد الناصر وراح يقلد تشرشل في خطبته المشهورة التي قال فيها للشعب البريطاني وقت الحرب « ليس عندي ما اقدمه لكم سوى العرق والدم والدموع » ·

وكان جمال عبد الناصر مندهشا ، ولكن رئيس وزراء استراليا كان منهمكا بشدة فيما يفعل ··· وفرغ من تقليد تشرشل ليبدأ بتقليد الكاتب الايرلندي المشهور « جورج برنارد شو » ··· وفرغ من « جورج برناردشو » فراح يقلد « الجنرال سمطس رئيس وزراء جنوب افريقيا وواحد من ابرز الساسة في صراع

الحرب العالمية الثانية ٠

وفرغ منزيس ليسال جمال عبد الناصر :

ـ هل تراني قلدتهم بكفاءة ؟

وقال له جمال عبد الناصر ببساطة :

ـ مشكلتي انني لم اسمع احدا من هؤلاء ، وهكذا فليس امامي الا ان اقبل شهادتك انت في تقليدك لهم » ٠

وقال منزيس :

ـ ان ليدي تشرشل سمعتني مرة اقلد زوجها ، واقسمت انها لم تجد فرقا بين الاصل والتقليد ! »

□

وجاءت الجلسة الثانية بين جمال عبد الناصر وبعثة منزيس ، وقدم منزيس مقترحات الدول الثماني عشرة ، واهم ما فيها « عزل قناة السويس عن سياسة اي دولة بمفردها » ، ثم انشاء ادارة دولية لقناة السويس تحقق هذا الغرض ، وتختص بكل أمور القناة بما فيها الاشراف على الملاحة وتحديد الرسوم وتحصيلها الى آخره ٠ ومع مقترحات الدول الثماني عشرة قدم منزيس مذكرة اضافية من البعثة تشرح اهدافها ومهمتها في مصر ٠

وفي هذه الجلسة الثانية اتخذ جمال عبد الناصر موقف المستمع ولم يفتح فمه بكلمة ، غير انه ضحك مرة واحدة حينما راح منزيس يقرأ مشروع الدول الثمانية عشرة ، ثم راح يكر بسرعة بعض النصوص الخاصة بقضايا التعويض والتحكيم والجزاءات ، ثم توقف مرة ليقول كأنه يتحدث الى نفسه :

ـ الحقيقة انني لا أفهم ما هو المقصود بكل هذه التفصيلات ٠٠٠ وهي في رأيي هراء فارغ ! »

وهنا ضحك جمال عبد الناصر ٠

ثم جاءت الجلسة الثالثة ، وكانت الجلسة الحاسمة ٠

كان الدور في الكلام على جمال عبد الناصر، فقد استمع في الجلسة السابقة الى عرض وشرح مقترحات الدول الثماني عشرة ، وكان عليه في هذه الجلسة الثالثة ان يعرض وجهة نظر مصر ٠

ولان هذه الجلسة كانت الجلسة الحاسمة ، كما قلت فاني اوثر ان اترك

محضرها الرسمي يتحدث عن وقائعها ·· وهذا هو نص المحضر الرسمي :

الاجتماع الثالث ـ الساعة السابعة مساء يوم ٤ سبتمبر

الرئيس : اني أريد أن أسأل كيف يمكن فصل القناة عن السياسة ·· كيف يمكن الفصل بين السياسة وجزء من أرض مصر ؟ وهل لم يكن مؤتمر لندن خطوة سياسية خاصة بالقناة ؟ وهذه التحركات العسكرية ، والعقوبات الاقتصادية ، اليست اجراءات سياسية ؟·· حتى وجودكم هنا ·· هذه اللجنة ، اليس هذا خلطا للقناة بالسياسة ؟

وتتحدثون عن التعاون الدولي ، والثقة الدولية ·

اما التعاون الدولي ، فنحن نرحب به ، ولكننا لا نقبل السيطرة الدولية التي نعتبرها استعمارا مشتركا ·

واما عن الثقة ، فانها يجب ان تاتي من الجهتين ، فبعض الدول تدعي انها لا تثق بمصر ولا بجمال عبد الناصر ··· وانا بدوري اقول انني لا اثق في هذه الدول ولا في اللجنة المقترحة لادارة قناة السويس · اذن الثقة يجب ان تتوفر في الطرفين ·

وفي بداية مقترحاتكم تذكرون ان هناك حالة خطيرة ، فما هي هذه الحالة ؟ وما هو التغيير الذي حدث ؟

ما حدث هو ان الحكومة المصرية سحبت امتياز شركة قناة السويس، وتولت هي ادارة القناة ، وهذا كان سيتم سنة ١٩٦٨ ، وكل ما في الامر ان التاريخ قد قدم ، فهل لو استلمت الحكومة القناة في نهاية الامتياز كانت ستوجد حالة خطيرة ؟ ثم من الذي خلق الحالة الخطيرة ؟ هل هي مصر ؟ ام الدول التي حركت قواتها وخلقت جوا من التوتر ، واتخذت اجراءات اقتصادية ضد مصر ؟

ثم في الفقرة التالية تذكرون انكم تريدون الوصول الى حل سلمي يتفق مع مبادىء الامم المتحدة ··· فهل من مبادىء الامم المتحدة التهديد بالقوة ؟

ثم تقولون انكم لا تريدون معالجة الموضوع بروح عدائية ، فهل الموجود الان جو ودي مع هذه التحركات العسكرية والعقوبات الاقتصادية ؟

ثم بعد ذلك تذكرون انه يجب الوصول الى حل يكفل سيادة مصر ، ويتضمن تعويضا عادلا لاستعمال القناة ·· فما هي السيادة ؟

بالنسبة لنا فان السيادة تعني ارادة مستقلة تمام الاستقلال ، قادرة على

الدفاع عن نفسها ضد اي فرض من الخارج ·

ثم تتحدثون عن اتفاق يتم بالمفاوضات الحرة ، فهل الجو الموجود الان يمكن ان يوصف بانه جو يساعد على المفاوضات الحرة ؟ ام ان التهديد بالقوة والمقاطعة الاقتصادية هو عبارة عن ضغط لفرض راي معين على مصر ؟ وهل هذا يتمشى مع السيادة ؟

ثم تذكرون ان في مقدمة اتفاقية ١٨٨٨ ان الغرض منها هو وضع نظام محدد يكفل حرية استعمال القناةلمرور سفن جميع الدول في حالة السلم او الحرب ··· والاحظ انكم اقتبستم فقرة من هذه المقدمة وتركتم الباقي ، اذ ان بقية معاهدة ١٨٨٨ هي التي تضمنت هذا النظام ، وقد اعلنت مصر احترامها لهذه المعاهدة·

وقد اثيرت خلال المؤتمر في لندن نقط اخرى ، فقد ادعت بعض الدول انمصر خرقت اتفاقيات دولية ، فما هي هذه الاتفاقية التي خرقتها مصر ؟

ان الاتفاقية الوحيدة التي وقعتها مصر خاصة بقناة السويس هي اتفاقية ١٨٨٨ ، وقد احترمتها واكدت انها لن تخرقها ··· والملاحة مستمرة اربعين يوما منذ تاميم قناة السويس ، رغم محاولات فرنسا لتعطيلها ·

وذكرتم انه يجب وجود ترتيبات تنظيمية للتعاون بين مصر وبين الدول المهتمة بالقناة ، فهل يمكن ان تكون هناك ادارة دولية تخدم الغرض الذي اردتم الوصول اليه ، وهو حرية الملاحة والتعاون مع مصر ، خصوصا ان الشعب المصري — وانا — سوف ننظر الى هذه الادارة الدولية على انها استعمار مشترك؟

هل هذه الادارة الدولية ستحل المشاكل ، ام انها ستخلق المشاكل ، وتكون بداية سلسلة متاعب لن تخدم احد الطرفين ولن تكفل حرية الملاحة ؟·· ولي ان اتساءل كيف يمكن ان تتعاون هذه الادارة الدولية مع الشعب المصري الذي يعيش ويعمل على ضفاف القناة ، والذي سينظر الى هذه الادارة الدولية وكأنها استولت على شيء يملكه ؟ وكيف تتعاون هذه الادارة الدولية مع العمال في ظل وضع سيفسر على انه سيطرة أجنبية ؟

ثم من الذي كان مسؤولا عن حرية الملاحة من يوم انشاء القناة ؟ ان الحكومة المصرية وحدها كانت المسئولة عن حرية الملاحة ··· اما هيئة التحكيم والجزاءات على الطرف المخالف ، وغير ذلك مما تحدثتم عنه ، فلن اتكلم فيه الان ، لانه من قبيل التفاصيل ·

اخلص من ذلك الى نقطتين هامتين : الاولى ، فصل القناة عن السياسة ، وهذا لا يمكن تحقيقه الا اذا فصلت القناة عن مصر ··· واذا كانت هذه النقطة تشغل بالكم ، فلماذا تشغل بالكم الان ؟ ولماذا لم تثر في الماضي ؟

هل تاميم شركة قناة السويس غـير من الوضع شيئا حتى تبحث هذه النقطة الان ؟

ان القناة تمر في ارض مصر ، وملك لها ، ولن يمكن فصلها عن السياسة المصرية الا اذا اعتبرت ارضا حراما واجلي عنها السكان المصريون ٠
فهل هذا ممكــن ؟!

الثانية ، وهي الادارة الدولية ، فانا اعتقد ان هذه الادارة لن تخـدم اي غرض ، بل ستعقد المشكلة ، وستكون بداية المشاكل ، لان كل مصري سوف يعمل على التخلص من هذه الادارة الدولية التي يعتبرها استولت على شيء يملكـه ، وبذلك نكون قد ادخلنا القناة في صميم معارك السياسة بدلا مـن فصلها عـن السياسـة ٠

منزيس : اريد ان ادرس هذه النقط كلها ، ولكنْ قبل ان ينفض الاجتمـاع احب أن أوضح نقطتين :

١ ـ اننا لم نأت لفرض فرض اي سيطرة ، واعتقد ان اللجنة لم تكن لتشترك في هذا الفرض ، وانما كل غرضنا من الحضور هو ايجاد حل يرضي الطرفيـن ويزيل التوتر الدولي القائم ٠

٢ ـ اما عن فصل القناة عن السياسة ، فالغرض من هذا اريد ان أوضحه، وهو تشكيل هيئة تمثل أفرادا غير سياسيين تطمئن مستعملي القناة إلى ان القرارات السياسية لن تؤثر في حرية الملاحة ٠

الرئيس : اريد ان اوضح من جديد رايي في موضوع فصـل القناة عـن السياسة ٠ ان فصل القناة عن السياسة غير ممكن ، لان القناة في ارض مصر وخاضعة للسيادة المصرية منذ انشائها ، ولا يمكن ان نفصلها عن سياسة الدولة الا اذا فصلناها عن سيادة الدولة ٠ وان القناة كانت خاضعة منذ انشائها لحكومة دولة واحدة هي الدولة المصرية ، فكيف يمكن فصلها الان ؟ ولماذا اثير هـذا الموضوع الان ، ولم يثر اثناء وجود شركة قناة السويس ، مع ان القناة لم تكـن خاضعة لسيادة هذه الشركة ؟

منزيس : ان الغرض هو ازالة التوتر الحادث فعلا ، وان هذا الموضـوع اثير فعلا ، وهذه حقيقة واقعة ، ولذلك يجب ايجاد حل ٠

الرئيس : ان ايجاد حل رغم ارادة الشعب المصري غير عملي ، ولن يفـي بالغرض الذي نسعى اليه ، وان السؤال الذي سيساله كل مصري هو :

لماذا اثير هذا الامر الان ولم يثر في الماضي ؟ ولذلك فان المتاعب والمشاكل

سوف تبدأ فعلا اذا فرض مثل هذا الحل ـ بادارة دولية لقناة السويس ـ على الشعب المصري ٠

منزيس : اذا كنت تعتقد ان هذا الحل سيكون بداية المشاكل ، فانا اعتقد ان عدم الوصول الى اتفاق بشأنه هو الذي سيكون بداية المشاكل ٠

الرئيس : انا اقول ان فرض الادارة الدولية علينا سيكون بداية المشاكل ، وانت تقول ان رفضنا للادارة الدولية هو الذي سيكون بداية للمشاكل ، ومعنى ذلك ان المشاكل ستقوم في كلتا الحالتين ، وإذن فلنواجه المشاكل من الان ، ونحن مستعدون لمواجهتها ، ولا داعي لذكر ان الحل يجب ان يكون على اساس مفاوضات حرة ٠

اني احس في كلامك نبرة تهديد ، والمفاوضات الحرة معناها انني في حل من ان اقبل مقترحاتكم او ارفضها بما يتمشى مع السيادة ٠

منزيس : ارجو الا تاخذوا كلامي على انه تهديد ، فلم اقصد به اي تهديد ، ولكنني كنت اقصد ان نصل الى حل على الاساس المقترح ٠ فاذا كان في نظركم سيكون بداية المشاكل فمن الممكن بما لديكم من نفوذ لدى الشعب المصري ان يقبل هذا الحل لانه يثق بكم ٠

الرئيس : انني اتحدث كمصري لا كرئيس حكومة ، وحين اعبر عن آرائي اعبر عن آراء اي فرد في مصر كما يشعر بها ذلك الفرد ، وحينما اتكلم اتكلم بصراحة دون لف ، ولا اتخير الكلمات ، وهذه هي طريقتي ، ولذلك اعتقد انني حينما اقول ان هذا الحل لن يقبله الشعب المصري فاني اعني ذلك تماما ٠

مندوب ايران : ارجو ان اوضح للرئيس ان ايران باشتراكها في هذه اللجنة لا تقصد ، ولا يمكن ان تقصد ، انها تريد فرض اقتراح على مصر ، وان اي شيء ينتقص من سيادة مصر لا توافق عليه ايران ٠

مندوب اثيوبيا : كان الغرض من اشتراكنا في مؤتمر لندن هو تهدئة الحال واستبعاد التهديدات العسكرية ، واشتراكنا كان على اساس واضح اعلنا فيه اعترافنا بحق مصر في السيادة وتأميم القناة ٠ وان اشتراكنا في اللجنة كان لتكملة تحقيق هذا الغرض ٠ وقد اشتركت بنفسي في هذه اللجنة بغرض استطلاع رأيكم الشخصي ٠ وان اي اعتراض من جهتكم على هذه الاقتراحات ، أو على جزء منها تعتبرونه انتقاصا من سيادة مصر نحن لا نوافق عليه ٠ وكل ما في الامر اننا نريد التوفيق بين سيادة مصر التي نعترف بها على القناة ، وضمان حرية الملاحة٠

الرئيس : وانا لذلك قبلت الاجتماع باللجنة ٠

مندوب امريكا : اريد ان اوضح ان امريكا ليست دولة استعمارية ، وهـذه هي سياستها المعلنة منذ مدة ، ولن نقبل الاشتراك في اي خطة استعمارية ، واني متأكد انه لو شعرت الحكومة الامريكية ان هذا الحل الغرض منه فرض حل معين على مصر لما اشتركت في هذه اللجنة ، وكل ما في الامر اننا نريد حلا سلميـــا بالمفاوضة يتمشى مع السيادة المصرية ·

مندوب السويد : لسنا دولة استعمارية ، والمقصود من حضوري هو ايجاد حل للتوتر الدولي ، وان الغرض من المقترحات ليس فرض اي شيء على مصر ، وانما الغرض ان اعرف هل هذا الحل يؤدي الى التعاون ؟

الرئيس : ان اقامة ادارة دولية لقناة السويس لا يحقق ـ في رايي ـ الغرض· وانا اعتبر انه سيكون بداية المشاكل »·

□

وهكذا انهارت مهمة بعثة منزيس ، وكان ذلك ما توقعه منزيس نفسه حيـن قال لايدن « ان نسبة نجاح مهمته في القاهرة لا تزيد ـ في رأيه ـ عن واحد فـي المائة » ، وكان ذلك ما يريده انتوني ايدن الذي لم يكن يريد حتى هذا الواحد في المائة ، ففي هذا الوقت كانت « خطط ستكويل » لعملية « موسكتيرز » ـ الفرسان ـ قد اكتملت واستقر الراي على توجيه الضربة في اتجاه بور سعيد ·

ووصل منزيس الى لندن عائدا من القاهرة ، واعلن في مؤتمر صحفي يوم ٩ سبتمبر فشل مهمته ، وكان واضحا ان القوة المسلحة هي الخطوة التالية · واحس الاتحاد السوفيتي بما يجري ، وكتب بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خطابين متشابهين الى كل من انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا وجي موليـــه رئيس وزراء فرنسا يحذرهما من عواقب المغامرة العسكرية في السويس ·

ولكن ايدن وموليه لم يكونا على استعداد لسماع صوت ينبه او يحـذر من صديق أو من عـدو ·

وكانت الخطوة التالية في التصعيد هي اصدار الامر للمرشدين الاجانـــب في قناة السويس بان يمتنعوا عن العمل لكي تتعطل القناة ، ولكن مصر كانـــت مستعدة لهذا الاحتمال ، ولم تتعطل قناة السويس ·

وقررت بريطانيا وفرنسا الذهاب الى مجلس الامن بشكوى ضد مصر · فاذا نجحت الشكوى وتم تدويل القناة كان بهـا ·

واذا لم تنجح لاي سبب ، خصوصا مع احتمال استعمال الفيتو السوفيتي

ضدها ، فان الاساس المعنوي لحل المشكلة بالقوة المسلحة يكون قد تم وضعه ٠

وفي اواخر سبتمبر كانت اللمسات الاخيرة توضع على الخطط العسكرية ٠

وفي نفس الوقت فان مجلس الامن في مقر الامم المتحدة في نيويورك تحول لكي يصبح المسرح الرئيسي الظاهر للصراع امام عيون الدنيا كلها وعلى مسمع منها !

الحديث الثالث عشر :

برقيات محمود فوزي من نيويورك الى عبد الناصر في القاهرة

حينما علمت القاهرة يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ ان رئيس مجلس الامن تلقى خطابا بتوقيع المندوبين الدائمين لبريطانيا وفرنسا بطلب عرض مشكلة تاميم قناة السويس على المجلس ، كانت هناك حيرة في تفسير الموقف البريطاني الفرنسي ـ واظن ان جمال عبد الناصر كان اميل الى التفاؤل في تفسير ذلك الموقف ، وذلك من تأثير النظرة السائدة لدى العرب عموما بشان الامم المتحدة ٠

كان العرب بصفة عامة ،ومن نتيجة تجاربهم مع الامم المتحدة ، يعتقدون ان الامم المتحدة هي ملجأ العاجز عن التصرف بالقوة وملاذه الذي يغطي به موقفه ، فهو هناك يستطيع ان يحارب معاركه بالكلام ٠٠٠ هناك عادة ترتفع درجة الحرارة دون خشية انفجار ، وتزداد الحدة بغير ان تسيل دماء !

ومن هذه النظرة العربية العامة الى الامم المتحدة ، تصور جمال عبد الناصر ان معركته ضد ايدن وموليه بقرب نهايتها ، وان ذهاب بريطانيا وفرنسا بالشكوى ضد مصر الى مجلس الامن معناه انه لم يبق لدى لندن وباريس ما تفعلانه ضد القاهرة غير تسجيل موقف في الامم المتحدة ٠

وكان ذلك خطأ ، كما اثبتت الظروف فيما بعد ٠

وطلب جمال عبد الناصر الى الدكتور محمود فوزي ان يطير الى نيويورك ليقود معركة مصر في مجلس الامن ، وهو يتصور على اي حال انها المعركة الحاسمة والنهائية في العاصفة السياسية التي ثارت في وجهه بعد قراره تأميم قناة السويس ٠

ولم يكن لدى جمال عبد الناصر ـ باي معيار ـ « جنرال » افضل ولا أقدر من محمود فوزي لقيادة هذه المعركة الحاسمة والنهائية (كما كان تصور عبد الناصر) ٠

□

كانت بريطانيا وفرنسا قد طلبتا انعقاد مجلس الامن يوم ٢٦ سبتمبر للنظر « في الموقف الذي صنعه التصرف الانفرادي من جانب الحكومة المصرية ، والذي انهت بمقتضاه العمل الدولي لقناة السويس ، وهو النظام الذي اكدته معاهدة القسطنطينية سنة ١٨٨٨ » ٠

وبصرف النظر عن المغالطات التاريخية والسياسية في هذا المطلب البريطاني

الفرنسي ، فان الدولتين كانتا تريدان بصفة اكيدة « اقامة ادارة دولية لقناة السويس تمثل المنتفعين بها » ، وكان هذا ما تعارضه مصر بكل الوسائل ٠

وكان طلب جمال عبد الناصر من الدكتور محمود فوزي قبل سفره ان يتحرك سياسيا كما يرى مناسبا ، على شرط واحد هو ان لا تكون هناك ادارة دولية لقناة السويس ، وانه اذا اصر الغرب على اقامة هيئة للمنتفعين بقناة السويس فلتكن هذه الهيئة استشارية تبدي آراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تقيد ولا تلزم ٠

وسافر الدكتور محمود فوزي الى نيويورك ، واتذكر انني لحقت به بعد ايام قليلة اتابع عرض قضية قناة السويس على مجلس الامن ، واعيش أيامي ولياليّ كلها لاكثر من اسبوعين في اروقة وكواليس وقاعات الامم المتحدة ٠

وسوف اجمل ملاحظاتي عن تلك الفترة ، ثم اترك المجال لرسائل محمود فوزي من الامم المتحدة الى جمال عبد الناصر في القاهرة يخبره اولا باول بنتائج اتصالاته ، ويبقيه داخل الصورة بشان ما يجري كله ٠

مجمل ملاحظاتي كما يلي :

١ ــ استطاع محمود فوزي ان ينشيء علاقة وثيقة بينه وبين داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة ، وكان الاثنان يتبادلان الحديث بالاسم الاول : « داج » و « محمود » ــ وكان لذلك اثره الكبير على موقف همرشولد ٠ ولست اقول ان همرشولد تحيز بسبب صداقته لفوزي ، ولكني اقول ان الصداقة بين الاثنين جعلت التفاهم بينهما قريبا ووثيقا ٠

٢ ــ كان بين الاثنين ــ محمود فوزي وداج همرشولد ــ من ناحية ،وكريشنا مينون وزير خارجية الهند ورئيس وفدها ــ من ناحية اخرى ــ سوء ظن متبادل، ولم يكن ذلك انسب وضع لظروف عرض القضية ، فقد كانت الهند ــ الى جانب الاتحاد السوفيتي ــ اقرب نصير الى وجهة النظر المصرية، ولكن فوزيوهمرشولد كانا يحسان ان كريشنا مينون يتصرف بطريقة مسرحية ، وان معظم جهده ينصرف الى البقاء دائما في دائرة الضوء ، بصرف النظر عما اذا كان ذلك لازما او غير لازم ٠٠٠ نافعا او ضارا ، وكان مينون يبادل الاثنين سوء ظن بسوء ظن ، واتذكر كريشنا مينون وهو يقول لي ذات مرة في نيويورك :

ــ داج ومحمود ٠٠٠ ماذا يفعلان ؟ ومن هما ؟ ان داج ليس الا « محمود» سويدي ، ثم ان محمود ليس الا «داج » مصري !! »

٣ ــ كان محمود فوزي متالقا حتى في المناقشات الجانبية ، واتذكر مرة

قبل بدء احدى جلسات مجلس الامن ان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيـــا مر بنا ونحن نقف على باب مجلس الامن من حول الدكتور فوزي ، وتوقف معـه لحظة قبل بدء الجلسة ، ثم خطر له ان يقول بحدة :

ـ لو انكم قبلتم هيئة المنتفعين بقناة السويس ، وقبلتم ادارتها للقناة ، لكنتم وفرتم على انفسكم وعلينا هذا العناء في الامم المتحدة » ·

وقال فوزي بهـــدوء :

ـ انني لا اعـرف ما هي هيئة المنتفعين هذه التي تتحدث عنها ··· انها شيء لم ير الحياة بعد ، ولم يولد » ·

وقال سلوين لويد ، وقد ازدادت حدته :

ـ كيف تقول لي ذلك وانت تعرف انه شيء ولد ··· ولد فعلا » ·

ورد فوزي بهـــدوء :

ـ ولد ؟ ··· ولد فعلا ؟ ··· لم أكن اعرف ··· ومع ذلك ما دامت الولادة قد تمت ، والمولود موجود ··· فهل استطيع ان اسألك هل هو « ولد او بنت » !

٤ ـ رغم ان العمل الدبلوماسي كان يملأ الساحة كلها ، فان الاشارات الى احتمال عمل عسكري كانت مرئية في الكواليس ، واتذكر ان « ماري كيرن » احد رؤساء تحرير مجلة « نيوزويك » الامريكية قال لي وقتهـا « ان بريطانيـــا وفرنسا مصممتان على القيام بمغامرة عسكرية ، وان الاختيار قد وقـع على الجنرال البريطاني « كيتلي » ليكون القائد العام للحملة » ·

٥ ـ كان موقف الولايات المتحدة الامريكية في مناقشات مجلس الامن باعثا على الحيرة ، فالولايات المتحدة كانت تتبنى مواقف بريطانيا وفرنسا المعـاديـة لمصر ولجمال عبد الناصر ، ولكنها كانت تحاول افراغ الموقف من احتمـــال استعمال القوة المسلحة ، لان ذلك قد يؤدي الى تصــــادم بينها وبين الاتحـــاد السوفيتي ، ثم انه كان يسيء اليها عربيا ودوليا ان تؤيد عملية عسكرية يحركها منطق القرن التاسع عشر ، ويحكمهـا اسلوب « دبلوماسية مدافع البوارج » ·

اي ان الخلاف البادي بين موقف حلفاء الغرب الثلاثة الكبار هـــو خــــلاف على الوسائل وليس على الغايات ·

٦ ـ انتهت الجلسات العلنية والسرية في مجلس الامن بأن اقر المجلس مجموعة مبادىء ـ ستة مبادىء ـ عامة في مقدمة مشروع قرار ، و اعترض السوفيت على ملحق طويل وراء المقدمة حاولت الدول الغربية ان تضمنه مشروع

الدول الثمانـي عشرة الذي رفضه جمال عبد الناصر حين حملته اليه بعثـــة منزيس · واعتبرت هذه النتيجة هزيمة لبريطانيا وفرنسا ، ولكن همرشولد كان يحاول التخفيف من اثر هذه الهزيمة بترتيب جلسات مفاوضات سرية في مكتبه بالامم المتحدة · وقد اتفق على استئناف هذه المفاوضات في جنيف يوم ٢٩ اكتوبر للوصول الى اتفاق نهائي على ضوء مناقشات مجلس الامن ·

□

هذه مجموعة ملاحظات اجمالية ، وانتقل منها الى رسائل محمود فوزي من الامم المتحدة الى جمال عبد الناصر في القاهرة ، واعتقد ان هذه الرسائل مـــن اهم وامتع وثائق السويس ، واكاد اقول انه الى جانب اهميتها التاريخية فانهـا يجب ان تكون مدرسة لكل سياسي ودبلوماسي ـ خصوصا من الشباب ·

وسوف احاول تقديم نماذج منها لان المجموعة الكاملة لهذه الرسائل مـن نيويورك في فترة انعقاد مجلس الامن لبحث قضية تأميم قناة السويس تملأ بالضبط ستـاًوستين صفحة من حجم الفولسكاب ·

وتبدأ رسائل الدكتور محمود فوزي الى جمال عبد الناصر مـــــن يوم ٤ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو الموعد الذي بدأ فيه مجلس الامن يجتمع بانتظام لمناقشـــة المشكلة المطروحة عليه ، ويلاحظ هنا اسلوب فوزي في ترتيب مقابلاته · فقـــد بدأ اولا بمقابلة داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة ، وكان همرشولد فضلا عن مركزه كسكرتير عام للامم المتحدة، في موقع يسمح له بمقابلة كل اطراف المشكلة والاستماع اليهم ، والتحدث معهم ، ثم كان الاجتماع الثاني لفوزي مع بوبوفيتش وزير خارجية يوجوسلافيا للتنسيق الطبيعي بين الدولتين الصديقتين، ثم كان اجتماعه الثالث مع شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، وهو مؤيد قوي لوجهة النظر المصرية ، وفي يده الفيتو الذي يمكن ان يتكفل في النهاية بوضع حد لا تتردى بعده الامـــور ·

كل ذلك في يوم واحد ، هو يوم ٤ اكتوبر ·

وتبدأ رسائل فوزي الى عبد الناصر ، ونلاحظ انها كانت كلها رسائل برقية كتبت باختصار لتكون امام عبد الناصر في القاهرة بعد ساعة واحدة على الاكثر من كتابتها في نيويورك !

· · · · · ·

· · · · · ·

نيويورك ـ ٤ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

قابلت همرشولد ـ بدأ حديثه بالكلام عـن التوتر على الجبهة الاردنية ،وقال

لي انه يجري اتصالات جديدة مع بن جوريون ، وان نتيجتها تدعـــو للتفاؤل ، وعبر لي همرشولد عن أمله في ان لا يعطي العرب فرصة للعناصر الاسرائيليـة المتطرفة لكي تقوم باعتداءات مسلحة ضدهم ـ انتقلنا الى مسالة القناة ، وابدى مــــا يلي :

أ ـ شعوره ان مصر بعد ان كسبت قليلا في اول الامر اذا بها تفقد بعض ما كسبته ، وكان هذا على اثر موقف مصر الذي اعتبره غير ايجابي مع بعثـــة منزيس ، وترتب عليه أن انتقلت الحركة في المباراة الى الاخرين ، واضاف ان هذا ليس شعوره فقط ، ولكنه شعور آخرين ممن قابلهم ، وقد رددت عليه بما يناسب المقــــام ·

ب ـ لا يدعي ان مصر يجب ان تقبل بحل معين ، ولكنه يرى وجوب العثور على حلول جديدة ، ومن اقتراحاته تشكيل لجنة بواسطة مجلس الامن ، تشترك فيها مصر ، للبحث عن هذه الحلول الجديدة ، او تحويل مجلس الامن كله الى لجنة تشترك فيها مصر لنفس الغرض ·

جـ ـ يرى ان الجلسة الاولى قد تستغرقها المناقشات حول طلب اسرائيـل بسماع وجهة نظرها في مسالة القناة ، ثم تعقد جلسة بعد ذلك يــــوم السبت او الاثنين ـ وقد قلت لهمرشولد ـ ووافقني ـ على عدم عقد الجلسة يـوم السبـت حتى تكون هناك فرصة للتنفس بين الاجتماعات ، وحتى نستطيع استخـــــدام السبت والاحد ، وهما عطلة نهاية الاسبوع ، في اجراء اتصالات جانبية خـــارج المجلس ·

د ـ تكلمت مع همرشولد عن النوايا ، وبينت له انه اذا كانت النوايا مبيتة على عدم الوصول الى اتفاق ، فليست هناك فائدة من جهود السكرتير العــام ، واجابني همرشولد بانه يعـرف سلوين لويد من زمن ، وانه خاطبه في الامر وخرج بانطباع ان لويد يرغـب حقيقة في الوصول الى حـل رغم المظاهر ، وهمرشولـــد يستبعـد جدا استعـمال الانجليز للقوة ، اما الفرنسيون فلهم متاعبهم الداخلية، وهي كثيرة ·

فوزي»

· · · · · · ·

· · · · · · ·

نيويـــورك ـ ٤ اكتوبـر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

قابلت بوبوفيتش (وزير خارجية يوجوسلافيا ورئيس وفدها) وتبين لي اتفاقه معنا من ناحية المبدأ او الاسلوب ، وقد اشار خلال حديثه معـــي الى ان مصر يجب ان لا تكون كُرَة بين موسكو وواشنطن .

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويـــورك ـ ٤ اكتوبـر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

قابلت شبيلوف ، وتبينت من حديثه ما يلي :

١ ـ يعارض فكرة قيام مجلس الامن بتشكيل لجنة للبحث عن حل، ويعارض فكرة تحول المجلس نفسه الى لجنة لهذا الغرض ، ورايه في الحالتين ان الاغلبيـة ستكون ضدنا ولا يمكن ضمان النتيجة ، وقلت له ان ذلك يتفق مع ما نراه ٠

٢ ـ اكد شبيلوف ان مصر لا يمكنها التساهل في ملكيتها للقناة ، ولا فـــي سيادتهـا ٠

٣ ـ اشار شبيلوف الى ان المجلس قد يحاول اصدار قرار ، ولكنه يرى من الافضل ان يتم الاتفاق على مشروع اي قرار خارج المجلس ، حتى ينال غالبيـــة الاصوات ، ولعل شبيلوف يشير بذلك الى انه في الحالة القصوى سوف يستعمـل حـق الفيتـــو ٠

٤ ـ سالني شبيلوف عن مهمة الدكتور حلمي بهجت بدوي ، الذي يـــزور امريكا الا ن، وما قالتـه الصحف عن اتصالاته بالامريكيين ولمح الى ان الامريكيين اذا تدخلوا في الامر فلن يخرجوا بسهولة ، لانهم يودون الحلول محل الانجليز والفرنسيين ، وقد اوضحت له ان للدكتور بدوي مهمة خاصة في امريكا ، وان هذه المهمة من ناحية اخرى تساعد على تحسين الجو ، وقد استحسن شبيلوف ذلـك اذا كان من قبيل الاجراءات التاكتيكية ٠

٥ ـ ذكر شبيلوف ان الامريكيين مختلفون مع الانجليز والفرنسيين في المدى والوسيلة ، وليس في الموضوع ذاته فهم فيه متفقون تماما على الادارة الدولية٠

وهنا سالني عما اذا كانت مصر تقبل هيئة استشارية ، وقلت له ان هذا امر يمكن بحثـــــه ·

٦ ـ تحدث عن اهمية عنصر الزمن من ناحية ان الانجليز والفرنسيين والامريكيين يخشون اعطاء مصر فرصة كافية من الوقت تبرهن فيها بما لا يدع مجالا للشك قدرتها على ادارة القناة بجدارة ، مما يدحض ادعاءاتهم ويحرجهم امام الراي العـام العالمي ، كما ان هناك خـطر آخر وهو ان مسالة القناة لا تعتبر مجرد مشكلة ، بل انها فرصة ذهبية للتخلص من بعض الشخصيات ومن بعض الاتجاهات التحررية ، لاطالة عمر الاستعمار ، وكل ذلك قد يوحي بان الغرب لا يرغب حقيقة في الوصول الى حل ·

ساقابل غدا سباك (وزير خارجية بلجيكا) وجلال عبده (رئيس الوفـــد الايراني) وكل رؤساء الوفود العربية ·

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويـــورك ـ ٥ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

قابلت جلال عبده (المندوب الايراني الدائم في الامم المتحدة) فذكر لي انه في حيرة نظرا لشدة الضغط الواقع عليه ، وقد كان يأمـل ان يحضر وزيـــر خارجية ايران السيد انتظام ، لكي يراس مجلس الامن الذي تتولى ايران رئاسته لهذا الشهر ، ولكن ذلك لم يحدث ، مما سيضطره الى التصرف بنفسه ، وهو لا يدري ماذا سيفعـل ·

ابلغته انني لا اطلب منه سوى ان يكون رئيسا عادلا ، ولا اطلب منـــه التحيز لنا ·

تساءل عبده عن السبب في عدم قبول مصر بنوع من الاشتراك الدولي فـي ادارة القناة لاظهار رغبتها في التعاون ، وشكرته واوضحت له ان مصر تخلصت منذ قليل من الاحتلال الانجليزي ، ولا يمكن لها ان تقبل فكرة الاشتراك الدولي في ادارة قناة السويس ، لان معنى ذلك هو عودة الاحتلال بصورة اخرى ·

عرض علي عبده فكرة تعيين مندوب سام يمثل الــدول المستعملة للقناة ، ويشير على الحكومة المصرية فيما يتعلق بشئونها ، ورددت عليه بأن هيئة

المتقفمين لا تطلب اكثر من ذلك ، وقد رفضنا الفكرة لانه ليس هناك محل لقبــول مندوب سام يراقب تصرفاتنا ، فذلك يحمل معنى الامانة لمصر ، وسالته لمــاذا لا يتبع مثل هذا الاجراء بالنسبة لقنوات اخرى كقناة بنامــا مثلا ٠

كرر لي عبده ان الضغط عليه شديد ، وان الاتجاه العام في غير مصلحتنا، وان خطة الغرب هي تقديم مشروع قرار التصويت عليه باغلبية واضحة ، حتى ولو اعترضت روسيا ، لان الغرب بذلك يحصل على نصر ادبي ، ويظهر مصــر بمظهر الدولة المتعنتة ٠

وفي رأيي انه يجب تناول كلام جلال عبده بحذر ، لان الظروف الخاصــة بايران قد تملي عليها مجاراة السياسة الغربية ٠

فوزي»

. . . .

. . . .

نيويــورك ــ ٥ اكتوبــر

الى السيد الرئيس

من محمود فــوزي

قابلت وزير مالية سيلان الذي اكد لي تضامن سيلان معــنا ، وايمانها بعدالة موقفنا ، مشيرا الى ان المسالة مسالة تحكم واستعمار وليست مسالة قنـــاة السويس ، واعرب لي عن اعتقاده بان الغرب دفع بالقضية الى دوامة السياسة ، بينما هي في جوهرها قضية اقتصادية ٠

علمت منه انه سوف يمر بالقاهرة في طريق عودته الى بلاده ، وانه يرغب في مقابلة نظيره وزير المالية المصري ، وربما ترون انه من المناسب ان تقابلـوه شخصيا الى جانب مقابلته لوزير المالية ٠

فوزي»

. . . .

. . . .

نيويــورك ــ ٥ اكتوبــر

الى السيد الرئيس

من محمود فــوزي

قابلت يوجين بلاك ــ رئيس مجلس ادارة البنك الدولي ــ واقترحت عليه ان

يدرس البنك الدولي امكانية تمويل مشروعات تحسين وتنمية قناة السويس ، ولم اجد لديه معارضة للفكرة ، ومع اني لا اعتقد بامكانية قيام البنك بالاتفاق مع هيئة قناة السويس المصرية على تمويل مشروعات تحسين وتنمية قناة السويس في ظل الاوضاع الراهنة ، فان طرح الموضوع دليل على اهتمامنا بمستقبل القناة ، وهي على اي حال بذرة يمكن ان تنمو في المستقبل .

فوزي»

. . . .

. . . .

نيويـــورك ــ ٦ اكتوبــر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

طلبت مقابلة دالاس (وزير خارجية امريكا) فرحب بالمقابلة ، واتفقنا على ان تتم بعـد جلسة اليوم ·

بدأ دالاس بانه يحاول بحصر الموضوع قدر الامكان ، وهو لا يستطيـــع في مسألة كمسألة السويس ان يوجه سياسة انجلترا وفرنسا ، كما فعل في مسألــة فورموزا وكوريــــا ·

وابدى دالاس انه من المستحسن ، بعد انتهاء جلسة يوم الاثنين ، ان تتـم مشاورات غير رسمية ، وقد ناقشته في كافة الاحتمالات ، وبدا لي ان الصعوبـــة الحقيقية في رأيه ليست موضوع الملاحة او الرسوم ، وانما هي مسألة الادارة · وقد ابلغته ان مصر لا تقبل ادارة دولية تشترك هي فيها ، كما لا تقبل ادارة مصرية تشترك فيها دول اجنبية ·

تطرق دالاس الى بعض المسائل الاخرى ، كالجزائر وفلسطين ، وقال انه لا يمكن التداول فيها طالما ان مسألة السويس لم تحل ·

لاحظت انه كان يريد ان يتكلم عن قرار سحب العرض الامريكي بالمساهمة في تمويل السد العالي ، لاحساسه بأن الكل يعتبرون ذلك القرار اول مسببات المشكلة الحالية ، وكان ملخص رأيه انه وجد ان عملية بناء السد العالي ستؤدي الى ارهاق الاقتصاد المصري ، وبالتالي ستثير الكراهية ضد امريكا عندمــــا يشعر الشعب المصري بالحرمان بسببها ، ولذلك لم يكن لديه مانع مـن قيام الروس بهـــــا ·

اضاف دالاس ان مصر تستطيع في رأيه تمويل السد العالي عن طريق دخل

قناة السويس ، لان هذا اسلم ، وسوف يجنب اية دولة تقديم المال اللازم لمشروع يثير كراهية المصريين .

ردت عليه في هذا الموضوع بوجهة نظرنا .

ذكر لي دالاس بعض النقط التي اراها داعية لاهتمامنا :

١ ــ قال لي ان بعض المسؤلين في انجلترا وفرنسا لا يريدون حلا سلميا .

٢ ــ قال ان هيئة المفاوضات يمكن ان تكون من انجلترا وفرنسا ومصر ، ولكن لا مانع من اضافة دول اخرى .

٣ ــ قال انه لا فائدة من هيئة مفاوضات دون وجود اهداف لهاومبادىء تعمــــل على ضوئها .

٤ ــ لاحظت انه يسلم بان المفاوضة على اساس مشروع الدول الثمانـــي عشرةلم تعد تصلح .

٥ ــ اقترح علي ان اجتمع والدكتور بدوي مع المستشار القانوني للخارجية الامريكيـــــة .

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويـــورك ــ ٨ اكتوبـــر

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

قابلت همرشولد بناء على طلبه ، وقد وجدته حائرا فيما يتعلق باقتـراح جلسات سرية واجتماعات خاصة يجري فيها بحث المسألة ، وقد اعربت له عن استعدادنا للاجتماع والتحدث في اي اطار ، على ان نتاكد اننا نسير الى الامام، ولا نعود الى الوراء .

وكان انطباعي ان همرشولد لم يكن متفائلا ولا متشائما .

اثار همرشولد معي مجيء كريشنا مينون الى نيويورك ، وخشيته مـن البلبلة التي يحدثها في كل اتصالاته .

ارى من الخير اثارة المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة لكي الفت نظر مجلس

الامن الى ان بريطانيا وفرنسا لم تعلنا حتى اليوم استبعاد استعمال القوة المسلحة ورأيي ان نتحداهما في ان تعلنا صراحة عـدم التجائهما الى القوة الا عن طريق الامم المتحدة ، مع اعلان تمسكنا بحقوقنا في ضوء المادة المذكورة ·

فوزي،

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ــ ١٠ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فــــوزي

قابلت شبيلوف (وزير خارجية الاتحاد السوفيتي) بناء على طلبه قبل اجتماع مجلس الامن السري بعد ظهر اليوم ، وبدا عليه انه كان يتوقــع سوءا كالمعتاد من ناحية الدول الغربية ، وكان لحن كلامه يوحي بانه لو ترك الامــــر لروسيا لقالت للغربيين الكثير ، ولكنهم لم يلجأوا الى هذا الاسلوب حتى لا تصعب الامور امام مصر ــ سألني عن موقفنا ، فقلت انه لا مانع لدى مصر من الاجتماع السري ومن تأجيل اجتماعات مجلس الامن العلنية لمدة ٤٨ ساعة ، وكل ذلك حتى لا نتيح للغربيين فرصة الادعاء باننا لم نوافق على تهيئة الامـور للاتصالات الهادئة ، وقد وافق شبيلوف على هذا الاتجاه ما دمنا نفضله ·

ابلغني شبيلوف انه تسلم برقية من كسيليف (السفير السوفيتي في القاهرة) بشأن مقابلته لكم واخباركم له عن عدم رضاكم عن المشروع الهندي وكان باديا على شبيلوف ضيقه من مينون ·

اما مينون فقد علمت انه قابل سلوين لويد في الصباح ، وقابلته في الظهر فابلغني انه دعا همرشولد للعشاء الليلة، وتحدثنا في المشروع الذي يحمله. ولفت نظره الى وجوب الامتناع عن القول بموافقة مصر على هذا المشروع . وقال انه يقول انهم اذا ما قبلوا المشروع فانه يعتقد ان مصر ستوافق عليه ·

لاحظت ضيق الجميع ذرعا هنا بكريشنا مينون ·

فوزي،

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ـ ١٠ اكتوبر

الى السيد الرئيس

من محمود فــوزي

قابلت سلوين لويد قبل بدء الجلسة الصباحية،وطلب مني تأجيل البيان الذي كنت ازمع القاءه ـ انضم همرشولد الينا والح مع لويد في طلب تأجيل بياني ـ وجدت مناسبا تأجيل القاء البيان حتى لا نتيح لهم فرصة الادعاء علينـا بتعكير الجـو ٠

طلب سلوين لويد مقابلتي على حدة ، ولكنني بعد الجلسة اجتمعت مع سلوين لويد وكريستيان بينو (وزير خارجية فرنسا) في مكتب همرشـولد واتفقنا عـلى أن يقال أن الداعـي لهـذا الاجتماع هو همرشولد علـى أساس رغبته في جمع اطراف النزاع معا بغرض الاستطلاع ٠

كان اتجاه المناقشة عموما هو محاولة الوصول الى طريقـة لايجاد حل يتفق عليه ، وليس تجديد عرض اقتراحات الدول الثمانـيعشرة.

تناول الحديث النقط التالية :

- اتفاقية ١٨٨٨ ، وقد اكدت ما سبق ان ابديته من استعداد مصر لاحترام جميع الضمانات الواردة فيها ٠

- تساءلوا عما قصدته من اشارتي للتعاون بين المستعملين وبين الادارة المصرية ، وافهمتهم ان على المستعملين جميعـا تنظيم انفسهـم ، واننا لا نسمح بأن يفرض فريق منهـم انفسهم كوكلاء عن كل المستعملين ٠

- تساءلوا عما اذا كان لدينا مانـع من ان يقوم مستعملو القناة بتحصيل الرسوم ، فأفهمتهم ان مصر لا يمكنها ان تقبل ان يقوم المستعملون انفسهـم بتحصيل الرسوم من انفسهم ، وانها ستسمح بمرور البواخـر التي تدفع الرسوم لمصر ٠

- تساءلوا عما اذا كان لدينا مانعا من ان يقود السفن في القنـاة مرشدوهم ، فقلت ان الذي يهمنا هـو وجود مرشد تابـع للادارة المصرية على البواخـر اثناء مرورها ٠

- سألني همرشولد عـما اذا كان من الممكن جمع الهيئتين معـا ، اي الادارة المصرية وهيئة المنتفعين ، فرددت بأن هيئة المنتفعين تمثل مستعملي القناة ، ولا تقبل مصر ربطهم بالادارة ورددت ما سبق ان اشرت اليه من

ان الادارة المصرية ـ وهي هيئة على اساس اقتصادي سليم ـ يهمها ولا شك ارضاء عملائها الى اقصى حد ، وان هـذا هـو ضمان العلاقة بينها وبين المستعملين ، ولهذا يجب ان لا تعتبر الادارة المصرية والمستعملين اعداءا ، بل متعاونين ٠

● طلب سلوين لويد معرفة رأينا في الاتفاق على تحديد نسبة مئوية مـن الفنيين الاجانب للعمل في القناة ، واعتذرت عن ذلك بأن لدينـا فنيين من مختلف الجنسيات ، ولكننا لا يمكن أن نقبـل هـذا الالتزام ، ولـو اننا سنرحـب باستخدام من قد نحتاج اليهم من الاجانب ٠

● أشار بينو (وزير خارجية فرنسا) الى موضوع مرور السفن وتجـارة اسرائيل في قناة السويس ، وشاركه في ذلك سلوين لويد بحجة انه يصعب على الدولتين مواجهة اسرائيل بحـل لمشكلة قناة السويس دون موضوعـها ، واقترح سلوين لويد انه ما دام الخلاف قانونيا ، فان على مصر ان تقبـل باحالتـه الى محكمة العدل الدولية او الى التحكيم الدولي ، وقلت لهما ان امامنا مشكلة معقدة ، ولا حاجة لزيادتها تعقيدا باقحام هذا الموضوع ٠

فوزي»

. . . .

. . . .

نيويورك ــ ١١ اكتوبـر

الى السيد الرئيس

مـن محمود فـوزي

قابلت شبيلوف الذي اعرب لي عن تأكده مـن انه قـد استبعدت في النهاية الاجراءات العسكرية ، وعن اقتناعه بأنه لا يمكنهم التمادي في الاجراءات الاقتصادية لان الضرر الذي يصيب مصر أقل مما يلحق بالدول الاخرى ٠

فوزي»

. . . .

. . . .

نيويورك ــ ١٢ اكتوبـر

الـى السيد الرئيس

مـن محـمود فوزي

قال لي همرشولد ان سلوين لويد يحاول ان يقترب مـن موقف مصر ،

بعكس بينو الذي يعقد المسائل ٠

قابلت دالاس الذي ذكر لي اننا في مرحلة يمكن ويحسن عندهـا أن نحاول جديا وضع رؤوس مواضيع للاتفاق تكون تعبيرا او تلخيصا لما اسفرت عنه الاجتماعات الثلاثية ، وتكون محل تفكير عميق ، على ان تحال المقترحات الى حكوماتنا للنظر فيها ، وذكر لي دالاس ان فرنسا تجاهد لافشال الاتفاق والدخول في عراك بشأن قناة السويس ، وأنها تعمل بحماقة في هـذا الاتجاه ، وهو ما لا تشارك فيه بريطانيا لانها ستحمل العبء وحدها ٠

رأيي أن نحافظ على الاتصال بدالاس ، ونبلغه بعض آرائنا ٠

فوزي»

□

وهكذا كانت الامور تسير في نيويورك ، ووجد همرشولد انه من الخير أن ننقل الاتصالات الثلاثية ـ بين مصر وبريطانيا وفرنسا ـ من دائرة الضوء الباهر في الامم المتحدة الى مكان هادىء وبعيد ، وهنـاك يمكن ان تصل المفاوضات الى نتيجة ٠

ووافق فوزي ، ووافق سلوين لويد ، وبدا على كريستيان بينو ـ طبقـا لتعبير الدكتور فوزي ـ أنه « قرفان » ٠وقام همرشولد بتحديد المكان والزمان جنيف ـ بعد أسبوعين من الان (١٤ اكتوبـر) أي في يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦٠

كان ذلك هـو اليوم الذي بدأ فيه العدوان المسلح علـى مصر ، وكانـت الفترة ما بين الموعدين ـ الاسبوعين من ١٤ اكتوبر الى ١٩ اكتوبر ـ هي الفترة التي تم فيها التواطؤ بين الثلاثة : بريطانيا وفرنسا واسرائيل !!

الحديث الرابع عشر:

القصّة الكاملة للتواطؤ الثلاثي طبقاً لاعترافات دايان!

من هنا ، والى زمان طويل ، سوف يظل الفصل الخاص بالتواطؤ السـري بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، فصلا من اعجب واغرب الفصول في قصـــة السويس ، وفصلا من اعجب واغرب الفصول في اي قصة غيرها من قصصـــ السياسة الدولية في العصر الحديث ٠

لقد كان « التواطؤ » ـ وليس مجرد الغزو ـ هو الذي نزل ببريطانيا من مصاف واحدة من القوى الكبرى الى دولة من الدرجة الثانية ، فبسبب هـــذا التواطؤ مع اسرائيل فقدت بريطانيا مكانة خاصة كانت لها في العالم العربي ٠

ولقد كان العالم العربي على استعداد لان يغفر لبريطانيا لو انها جاءت في وضح النهار وضربت باسطولها موانيء مصر وانزلت جنودها على شواطئنا وقالت بأعلى صوت : انها تفعل ذلك لانها لا تقبل قرار عبد الناصر بتاميم قنـــاة السويس ٠ واما ان تفعل بريطانيا ما فعلته في الاسابيع الثلاثة الاولى من شهـر اكتوبر ، فقد كانت تلك هي الخطيئة الكبرى التي تحل بمرتكبها لعنة الابد ٠

□

ومن الصدف التي تلفت النظر ان القصة الكاملة للتواطؤ لم تظهر وتتكشف كل خباياها الا هذه السنة فقط مع الذكرى العشرين لقصة السويس ، وكان الذي قدم للتاريخ اعترافه كاملا هو « موشى دايان » ، الذي كان رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي وقتها ٠

كانت هناك قبل ذلك اشارات الى التواطؤ ، وكانت هناك روايات ، لكـــن معظم هذه الاشارات والروايات حامت حول الحمى ولم تقع فيه كما يقولون حتى جاءت اعترافات ديان ٠

ولقد كان هناك منذ البداية احساس عام بوجود تواطؤ بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، وكان بعض الناس يتصورون انه كان هناك على الاقل لدى بريطانيا وفرنسا علم مسبق بأن اسرائيل تنوي ان تبدأ هجوما على مصر في مساء التاسع والعشرين من شهر اكتوبر،وعلى اساس هذا العلم المسبق فان الدولتين الكبيرتين رتبتا خططهما لغزو مصر بالاستفادة من العملية الاسرائيلية ٠

وحدث في مجلس العموم البريطاني ان زعيم المعارضة العماليـة وهـــو هيوجيتسكيل ـ في ذلك الوقت ـ قام ووجه سؤالا صريحا الى انتوني ايدن ، ورد عليه ايدن قائلا بالنص :

« ـ انني اريد ان اقول للمجلس الموقر ، واقول بمنتهى الوضوح ما يلي عن مسألة علمنا المسبق بنوايا اسرائيل ·

اريد ان اقول : لم يكن لدينا علم مسبق بان اسرائيل سوف تهجم على مصر ··· نعم ، اؤكد انه لم يكن هناك علم مسبق » !

وعندما كتب انتوني ايدن مذكراته بعد ذلك بعنوان « دائرة كاملة » فان كلمة واحدة لم ترد فيها تشير الى علم مسبق بنوايا اسرائيل ، فضلا عن « تواطؤ » ·

وفعل ماكميلان نفس الشيء في مذكراته ·

وكذلك فعل سلوين لويد في حديث له مع السفير الامريكي في لندن المستر الدريتش ، اذ نقل عنه « الدريتش » انه قال له مساء يوم ٢٨ اكتوبر ـ اي قبل الهجوم الاسرائيلي بيوم واحد ـ « ان حكومة صاحبة الجلالة ليس عندها ما يدل على ان التعبئة العامة في اسرائيل موجهة ضد مصر » !

وحين كتب دافيد بن غوريون مذكراته ، ضرب صفحا هو الاخر عن قصة التواطؤ ، ولم يشر اليها من قريب او بعيد ، وكذلك فعل « ديان » في كتابه « يوميات حرب سيناء » ·

ولكن الاشارات بدأت تلوح من بعيد ··· ثم تقترب بالروايات المتضاربة شيئا فشيء ·

كانت هناك اشارات واضحة في كتاب الاخوين « بلومبيرجير » عن « اسرار السويس » ، ثم في كتاب الصحفي الاسرائيلي « بار زوهار » « السويس سري جدا » ·

ثم وردت روايات اكثر تفصيلا في كتب « هيوتوماس » و « روبنسن » و « ناتنج » ·

ثم جاء « شيمون بيريز »وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي ـ وكان مديرا لوزارة الدفاع الاسرائيلية وقت قصة السويس ـ فاضاف بعض التفاصيل من رؤية شاهد عيان ·

واخيرا هذه السنة ، بل هذا الشهر ، جاء « ديان » ليقدم اعترافا كاملا معززا بكل التفاصيل ، مدعما بالوثيقة الخطيرة التي سجلت التواطؤ ، وهي معاهدة « سيفر » السرية ·

ولان رواية «ديان» حاسمة ، فاني استاذن في ان انقل الكثير عنها ، فهذه هي الحقيقة الكاملة اخيرا يرويها احد الذين شاركوا في صنع هذا الفصل العجيب الغريب من قصة السويس ·

وهذه هي رواية « موشي ديان » نقلا عن كتابه الذي نشرته له دار « ويدنفيلد ونيكلسون » تحت عنوان « قصة حياتي » ٠ والاجزاء التي استشهد بها تقع بين صفحتي ١٥١ و ١٩٢ من هذا الكتاب الذي ظهر في لندن هذا الشهر ـ اكتوبر ١٩٧٦ ٠

□

يقول ديان :

« لقد جاءت اول بادرة بان فرنسا مهتمة بالتنسيق بينها وبين اسرائيل في العمل ضد مصر ، يوم اول سبتمبر ١٩٥٦ ٠ وجاءت على شكل اشارة « عاجلة جدا » تلقيتها ذلك الصباح من ملحقنا العسكري في باريس ، وكان يخطرني فيها بالخطط البريطانية الفرنسية ، ويضيف الى ذلك ان الادميرال « بارجو » يرى وجوب دعوة اسرائيل لتشترك في العملية ٠

وقد وصلتني الرسالة بينما انا احضر اجتماعا لهيئة اركان حرب ، وكان بن جوريون موجودا في الاجتماع ايضا ، واصدر الي تعليماته بأن اجيب باستعدادنا للتعاون من ناحية المبدأ ٠

فاذا كان ما هو مطلوب منا هو معلومات مخابرات عن القوات المصرية المسلحة ، فان مثل هذه المعلومات سوف يتولى تقديمها مكتب ملحقنا العسكري في باريس ٠

واما اذا كان الفرنسيون يفكرون في اشتراك الجيش الاسرائيلي في العمل العسكري ، فان وزير الدفاع على استعداد لارسالي الى باريس لمناقشة الموضوع ٠

وبعد اتصالات استطلاعية مع هيئة اركان الحرب الفرنسية ، تقرر ان ارسل رئيس العمليات الاسرائيلي الى باريس ليتحدث مع مندوبين عسكريين فرنسيين٠ وتصادف وجود رئيس العمليات في اوروبا في ذلك الوقت ، وتحدد يوم ٧ سبتمبر موعدا للاجتماع ، وارسلت له ملخصا لتوجيه مكتوب تلقيته من بن جوريون مؤداه اننا على استعداد لتقديم كل مساعدة لفرنسا ٠ فاذا كانوا يطلبون استعمال قواعدنا الجوية والبحرية والمشاركة الفعلية لقواتنا المسلحة ، فان الحكومة في القدس سوف تبحث الموضوع وتقرر ٠ واضفت ان عليه في اجاباته على استيضاحات الفرنسيين ان يكون صريحا فيما يتعلق بقدراتنا ، وبحدودنا في مختلف الميادين ، فاذا ما طلبت منه تعهدات ، فعليه ان يزن امكانية قدومي الى باريس ٠

كان الادميرال « بارجو » هو المندوب الفرنسي الرئيسي في اجتماع باريس الذي عقد في بيت صديق مشترك ٠ وكان الادميرال « بارجو » مهتما بأية معلومات

عسكرية عن مصر ، وكان يريد ان يعرف امكانية هبوط الطائرات الفرنسية في اسرائيل في حالة اضطرارها الى ذلك ٠كذلك سأل عن مدى قدرتنا على اشغال وتعطيل جزء من القوات المصرية عن طريق اي عمل عسكري نستطيع القيام به في سيناء ، قريبا من الحدود الاسرائيلية ٠

وقد اوضح الادميرال « بارجو » ان اسئلته في هذه المرحلة مجرد محاولة للاستنارة ، وان كان يسألها بافتراض ان اوضاعا سياسية ملائمة قد تبرز في المستقبل القريب بما يحقق مشاركة اسرائيل في العملية ٠ »

. . . .

. . . .

« سافر « شيمون بيريز » مدير عام وزارة الدفاع الى باريس ليحاول تخفيف شروط صفقة الدبابات والطائرات التي اشتريناها من فرنسا ٠ كان « بيريز » صديقا شخصيا لـ « موريس برجيس مانوري » وزير الدفاع الفرنسي، كان يعرف ايضا رئيس الوزراء « جي موليه » ، ووزير الخارجية « كريستيان بينو » ، وكان عليه ايضا ان يستغل هذه الفرصة ليناقش بطريقة صريحة وغير رسمية معهم جميعا موضوع التعاون الاسرائيلي الفرنسي في الشرق الاوسط ٠

وقبل ان يسافر « بيريز » اقترحت ان يصر في محادثاته على ثلاثة شروط اساسية للتعاون الفرنسي الاسرائيلي ٠

اولها ، ان المبادرة يجب ان تجيء من فرنسا ، وعليها هي ان تدعو اسرائيل الى محادثات حول هذا الموضوع ٠ واهمية هذه النقطة تنبع من طبيعة علاقاتنا بفرنسا حتى ذلك الوقت ، ذلك ان مشترياتنا من السلاح الفرنسي كانت تجري في ذلك الوقت بطريقة خفية ، فقد كان هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا لتنسيق سياسة بيع السلاح للمنطقة ، ومن بينها اسرائيل ، فاذا كانت فرنسا الان تريد مساعدتنا في ازمة السويس فان علينا ان ننتهز الفرصة لنحاول اخراج انفسنا من وضع الطفل الخاضع لوصاية ثلاثية ، لكي نصبح في وضع حليف له كافة الحقوق بالتساوي ، خصوصا اذا كان الامر يتصل باحداث تجرى « على عتبة بيتنا » ٠

ثانيا ، انه من الحتمي تجنب اي موقف يمكن ان نجد انفسنا فيه متورطين في صراع مع بريطانيا يمكن ان يؤدي الى عمل عسكري بريطاني ضدنا ٠ ومثل هذا الاحتمال كان يمكن ان ينشأ من الطبيعة المعقدة للعلاقات البريطانية الاسرائيلية ٠ فان بريطانيا كانت تربطها معاهدات بعدد من الدول التي قد تهرع الى مساعدة مصر ، واذا حدث ذلك فقد ينشأ موقف نجد انفسنا فيه نحارب جنبا الى جنب مع البريطانيين على جبهة ، وفجاة نجد انفسنا نتصادم مع البريطانيين

في جبهة ثانية ، كالجبهة الاردنية ، لان بريطانيا قد تسارع الى تقديم مساعدة عسكرية للاردن وفقا لمعاهدة الدفاع البريطاني ـ الاردني ·

وثالثها ، انه اذا جاءت الحرب فانه يجب ان يسمح لاسرائيل بان تعدل حدودها مع سيناء لكي تضم شرم الشيخ ونخل وابو عجيلة ورفح ·

واعترف ـ حينما قلت ذلك كله لبيريز ـ ان الشكوك كانت تراودني في فرص النجاح ، ولكني تصورت ان الامر يستحق المحاولة · واذا كان هناك من يقدر على النجاح فهو « شيمون بيريز »·

وتلقيت برقية من باريس بعد ثلاثة ايام من رحيل بيريز ، يخطرني فيها بان وزير الدفاع الفرنسي « بيرجس مانوري » بحث معه خلال محادثاتهما امكانية القيام بعمل فرنسي اسرائيلي ضد مصر بغير اشتراك البريطانيين ، وظهر انه في المحادثات التي اجريت في لندن يوم ١٢ سبتمبر بين « موليه » و « بينو » ونظرائهما البريطانيين : رئيس الوزراء « انتوني ايدن » ووزير الخارجية «سلوين لويد » ـ ان البريطانيين اخطروا الفرنسين بان عملية « « موسكتيرز » يجب تأجيلها · فقد كانوا ـ البريطانيين ـ يرون انه من الضروري اعطاء فرصة لاقتراح « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الامريكية بشان انشاء هيئة منتفعين بقناة السويس ، وكانت فرنسا تخشى ان يكون هذا الموقف البريطاني مقدمة لتخلي بريطانيا عن استعدادها السابق للقيام بعمليات عسكرية ضد مصر · وهكذا ، فان فرنسا كانت تحول نظرها الينا الان · وفي هذا الوقت بعث وزير الدفاع الفرنسي « بيرجس مانوري » بخطاب تحية بخط يده الى « دافيد بن جوريون » يهنئه بعيد ميلاده السبعين ، وينتهز الفرصة ليلمح في خطابه الى رغبة فرنسا في « عمل شيء » مع اسرائيل للدفاع عن المصالح المشتركة للبلدين ضد العدوان المصري ··· ورد « بن جوريون » بخطاب شخصي اخر اكد فيه استعداد اسرائيل للتعاون في سياسة مشتركة للشرق الاوسط · »

. . . .

. . . .

« وعاد « بيريز » الى اسرائيل ليقدم تقريرا عن محادثاته في فرنسا ، وحضرت اجتماعه مع بن جوريون ، وروى لنا بيريز ان « بيرجس مانوري » قال له ان « بينو » عاد من لندن مصابا بخيبة امل ، لان « دالاس » كان يضيع الوقت بمقترحات لا فائدة منها ، وكان بذلك يعطل البريطانيين عن العمل العسكري ضد مصر · وكان رئيس الوزراء انتوني ايدن متحمسا للعمل العسكرى ، ولكن المقترحات الامريكية كانت تعطله ، الى جانب المعارضة التى كان يلقاها في بريطانيا ، بما في ذلك معارضة بعض العناصر داخل حزبه ·

وطبقا لما قاله « بيرجس مانوري » فان « بينو » قال « لايدن » قبل ان يتركه‌ان فرنسا في هذه الحالة قد تتصرف وحدها ،وربما حصلت على مساعدة اسرائيل·» وكان رد ايدن – طبقا لبينو – « انه لا يعارض هذه الخطة ، على شـــرط ان لا تقوم اسرائيل بمهاجمة الاردن » ·

واما فيما يتعلق بمواقف الاطراف الاخرى ، فان وزير الدفاع الفرنســـي بيرجس مانوري قال لبيريز انه يعتقد ان بريطانيا في النهاية سوف تقرر الانضمام الى الحملة ضد مصر ، وان الولايات المتحدة لن تتدخل · وامـــــا الاتحــــاد السوفيتي ، فانه لا يستطيع ان يتنبأ باتجاه تصرفه · وفي ضوء هذه الحقائـــق فان مجلس الوزراء الفرنسي قرر تفويض بيرجس مانوري في اجراء اتصــــالات مع ممثلين لوزارة الدفاع الاسرائيلية ودعوتهم الى باريس لمناقشة خطة عمـــل عسكري مشترك ضد مصر · »

. . . .

. . . .

« وفي هذا المساء اخطرني « بن جوريون » بانه قرر ارسال وفد الى فرنسا ليستوضح من الحكومة الفرنسية مجالات العمل المشترك ضد مصر ، وان الوفد سوف يتكون من وزيرة الخارجية « جولدا مائير » ووزير النقل « موشى كارمل » ومدير وزارة الدفاع « شيمون بيريز » ، وانا بوصفي رئيسا للاركان · وقبل ان نسافر التقى وفدنا مع رئيس الوزراء – دافيد بن جوريون – الذي اصــــدر الينا التوجيهات التالية :

● اسرائيل لن تشن حربا وحدها · اذا بدأ اصدقاؤنا فسوف ننضم اليهم · واذا طلب منا القيام بعمل بالتوازي مع عملهم فاننا سوف نبحث ذلك بتفهم ·

● ان الولايات المتحدة يجب ان تكون على علم بالعمليات المرتقبة ، ويجـب ان لا يكون لها اعتراض عليها – او على الاقل ان لا تبدي مثل هذا الاعتراض – ويجب ان نتلقى تاكيدات بان الولايات المتحدة لن تفرض عقوبات او حظر من اي نوع ضد اسرائيل ·

● ان بريطانيا يجب ان تكون على علم بما يجري ، ويجب ان توافـــــق ، ويجب ان تتعهد بان لا تساعد اي دولة عربية تنضم الى مصر ·

● ان هدفنا هو ان نحقق السيطرة الاسرائيلية على الشواطىء الغربيـــة لخليج العقبة كضمان لحرية مرور السفن الاسرائيلية في ذلك الممر المائي · وربما فكرنا في نزع سلاح سيناء كاملا ، ووضعها تحت رقابة قوة دولية ·

وسافرنا الى فرنسا مساء ٢٨ سبتمبر ، وتوقفنا في « بنزرت » على الساحل التونسي ، وقضينا الليلة هناك في القاعدة الفرنسية الكبيرة . واكملنا الرحلة في اليوم التالي لنهبط في مطار عسكري قرب باريس .

واجتمعنا صباح اليوم التالي ـ الاحد ـ في بيت « لويس مانجين » مستشار وزير الدفاع الفرنسي «بيرجس مانوري» في حي «مونبارناس». وكان الوفد الفرنسي مكونا من وزير الخارجية « كريستيان بينو » ووزير الدفاع « بيرجس مانوري » ، ومدير وزارة الدفاع « آبل توماس » ، ورئيس اركان الحرب الفرنسي « الجنرال شال » .

. . . .

. . . .

تكلم « بينو » لمدة ٤٥ دقيقة ، ثم اعقبه وفدنا ، فشرح وجهة نظر اسرائيل، وكان ملخصها :

اولا ، اننا نوافق مع الفرنسيين على ان العلاقات مع ناصر لم يعد ممكنا تسويتها بالوسائل الدبلوماسية ، وليس هناك بديل في رأينا الان للعمل العسكري ضده .

ثانيا ، اننا ننظر الى فرنسا نظرتنا الى صديق وحليف ، ونوافق قلبيا على العمل المشترك معها .

ثالثا : يجب ان نتاكد من موقف بريطانيا ، خصوصا اذا قررت البقاء خارج الحملة .

رابعا : اننا نريد ان نعرف الموقف المحتمل للولايات المتحدة . واخيرا ، ماذا عن الاتحاد السوفيتي ، وهل يمكن ان يفكر في ارسال قوات لمساعدة مصر؟ وكان الفرنسيون حذرين في اجاباتهم ، وقالوا مقدما ان اية اجابات لديهم ستكون من قبيل الرأي ، وليست من قبيل المعلومات المؤكدة . وكان اتفاقنا على انه كلما قصرت فترة العمليات كان من شان ذلك ان لا يتيح للاخرين فرصة التدخل.»

. . . .

. . . .

« وخلال هذه الاجتماعات تبين لنا ان فرنسا لا تملك قاذفة قنابل مناسبة، وهكذا فانه اذا لم تشترك بريطانيا معنا ، فان الحملة قد لا يمكن انهاؤها بطريقة مرضية لنا تماما ، لانه حتى لو استطعنا اخراج الطائرات المصرية من المعركة، فان المطارات قرب القاهرة سوف تظل سليمة ، وسوف يتسلم المصريون طائرات

جديدة ليواصلوا المعركة • ولهذا السبب ، ولاسباب غيره ، فان الفرنسيين عادوا الى اقتراحهم بان تبدأ اسرائيل الحملة ، وفي هذه الحالة فانهم يشعرون يقينا ان بريطانيا سوف تنضم اليهم لدخول المرحلة الثانية •

وكان « بينو » يتوقع ان يحصل على رد نهائي من البريطانيين حوالي منتصف اكتوبر ، وبعد مناقشات مجلس الامن • وكان واضحا لنا ان فرنسا لا تستطيع البت نهائيا في خططها لحملة السويس قبل ان تتلقى القرار البريطاني• وفي نفس الوقت فان « بينو » كان يريد موافقة اسرائيل على الانضمام للحملة، على ان تحارب داخل قطاع مستقل لها ، تحت قيادة منفصلة ، وان تبدأ الحرب وحدها قبل البريطانيين والفرنسيين • وانه اذا كانت اسرائيل مستعدة لعمل ذلك ، فانه يكون واثقا ان ذلك يقوي من فرص انضمام بريطانيا الى العمل المنتظر • »

. . . .

. . . .

« وبانتهاء هذا الجزء من المحادثات الاستطلاعية ، لم اكن اشعر بالسعادة• لقد كانت الحقيقة الاولى التي خرجت بها من هذه الاجتماعات هي ان الموقف غير واضح ، وانه سيبقى هكذا حتى انتهاء اجتماعات مجلس الامن • وكان مبعث شكواي ، وكذلك مبعث شكوى فرنسا ، هو موقف بريطانيا ••• لقد كان اشتراك بريطانيا في الحملة عاملا حاسما بغير جدال • ولكننا ، ونحن نستمع الى «بينو»، كنا نتذكر دقة ملاحظة « بن جوريون » عن انه اذا انسحبت بريطانيا من العملية، فان فرنسا قد تحذو حذوها • ومن ناحية دولية بحتة ، فلقد كان من الصعب على فرنسا ان تواجه وحدها معارضة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي•ومن ناحية عسكرية فان دخول فرنسا وحدها للمعركة يفقدها الميزة الكبرى التي يضمنها اشتراك بريطانيا ، وهي الطائرة القاذفة المناسبة • واذا كان الفرنسيون يعانون من تردد بريطانيا في اتخاذ قرار حاسم ، فقد كان يتعين علينا ان نتحمل – الى جانب ذلك – مهانة النفاق البريطاني • فقد كانت بريطانيا تكره مجرد فكرة ارتباط اسمها باسم اسرائيل كشريك في عمل عسكري ضد العرب ، ولكنها في نفس الوقت على استعداد لان ترحب باستغلال صراع اسرائيل مع العرب لتبرر عملها ضد مصر •

وربما كان اكثر ما ترغب فيه بريطانيا هو ان تقوم اسرائيل بهجوم على مصر ، ثم تدعي بريطانيا رغبتها في الدفاع عن مصر وتنزل بقواتها في السويس وتحتفظ بالسيطرة عليها ، وينتهي الامر • وكانت وزارة الخارجية البريطانية مقتنعة بانه في مثل هذه الظروف فان احدا لا يستطيع ان يلوم بريطانيا او يتهمها بالعداء للعرب او بالعدوان عليهم •

واكثر من ذلك ، فان بريطانيا كانت تريد منا ان نقوم لحسابها بدور الشرير او كبش الفداء ، دون ان تضطر الى مقابلتنا او المناقشة معنا وجها لوجه ٠وكانت تعرف ان مجرد جلوسها معنا سوف يتضمن معنى « التعاهد » لعمل مشترك لمرة واحدة ضد مصر ، وهو امر سيكون مكروها في العالم العربي ٠ هكذا ، فـــان البريطانيين كانوا يريدون ان تكون فرنسا هي وسيلتهم لتنسيق منفصـــل مــع اسرائيل ٠٠٠ كانوا يريدون من فرنسا ان تهيّىء لهم الظروف المناسبة ، وفي نفس الوقت تعفيهم من الاتصال باسرائيل » ٠

. . . .

. . . .

« واستأنفنا المفاوضات في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، وكـــان موضوع بحثنا الان هو النواحي العسكرية في الموضوع ، واوضح الفرنسيون انهم ما زالوا على اعتقادهم بان بريطانيا سوف تشترك ٠ وانتهت محادثات ذلك اليوم باقتراح ان نتقابل في اليوم التالي مع رئيس الاركان الفرنسي لنستوضح بعض جوانب العمليات ، ولنناقش ايضا مطالبنا من السلاح الفرنسي ٠

وكان قد تقرر ارسال وفد فرنسي ليعود معنا الى اسرائيل ليختبر علـــى الطبيعة امكانية استخدام قواعدنا كبديل لقبرص ، اذا اقتصرت العملية علينا نحن وفرنسا ٠ واجتمعنا مع رئيس الاركان الفرنسي « بول ايلي » صبـــاح اول اكتوبر في بيت « لويس مانجين » ، وكنت العضو الوحيد في الوفد الاسرائيلـــي في هذه المحادثات التي جلس ورائي فيها عدد من ملحقينا العسكريين في باريس٠ ومع الجنرال « ايلي » جلس الجنرال « شال » والجنرال « مارتان » نائبـــه ، والكولونيل « سيمون » مدير العمليات ، وضابط بحري كبير ، و « مانجين »٠

ورغم الهدف المحدد لهذا الاجتماع كان تبادل المعلومات والايضاحات حول بعض النقط الفنية ، فقد كان هدفي ان اعزز اعتقاد قائد الجيش الفرنسي بأن العملية ضد مصر يمكن تنفيذها ويمكن انجاحها بدون اشتراك بريطانيا ٠

وقد بدأ الفرنسيون بسؤال عن قوة مصر العسكرية ، وقلنا لهم ما نعرفـــه في هذا الصدد ، وبدا ان معلوماتنا تتفق مع تقارير مخابراتهم ، وهكذا انتقلنا الى مسالة الخطة المشتركة للعمليات ، وسالوني كيف اتصور عمـل الجيشـــ الاسرائيلي ، وفي اي مجال يستطيعون مساعدتنا في هذه العملية ؟ وقلت اننا نستطيع تعبئة ما بين ستة الى ثمانية الوية من المشاة والمدرعات ضد الجبهـــة المصرية ، كما اننا نستطيع تخصيص سبعين طائرة مقاتلـــة « ميستيـــر » و « اوراجون » و « ميتيور » ٠ وسالني الفرنسيون عما اذا كنا فكرنا في تقسيـــم

قطاعات المعركة ؟ وقلت لهم اننا نرى ان القطاع المحدد لعمل قواتنا البرية هو شرق قناة السويس ، ونفس الشيء بالنسبة إلى قواتنا الجوية، فيما عدا بضعة اهداف محددة اخرى ، وقلت لهم انني اعتقد ان الفرنسيين يجب ان يستولوا على منطقة القناة ، ويشلوا عمل المطارات المصرية غرب القناة • وكانت مشكلة المطارات المصرية بالغة الاهمية بسبب احتمال وجود طيارين او خبراء اجانب في مصر ، فضلا عن انه يمكن في تقديرنا جلب طيارين متطوعين من تشيكوسلوفاكيا او بولندا لقيادة الطائرات اذا بقيت المطارات سليمة • وفيما يتعلق بالقطاع البحري ، فقد كان رأيي تقسيم المهام بحيث يتولى الاسطول الاسرائيلي مهمة الدفاع عن الشواطىء الاسرائيلية في نفس الوقت الذي يتولى فيه الاسطول الفرنسي تدمير الاسطول المصري •

وعندما قلت ان قطاع عملياتنا يجب ان يقتصر على شرق السويس ، سألني الفرنسيون عما اذا لم يكن في نيتنا اقامة رأس جسر الى الضفة الغربية من القناة ، واجبت بالنفي دون ا ناعلم هدفهم من هذا السؤال ، ولكنني فهمت من سؤالهم التالي ما كان يدور في رؤوسهم • فقد تساءلوا عن القاهرة ، وسألوني كيف اتصور نهاية الحملة ، وعما اذا كنت اعتقد انه من الضروري الاستيلاء على القاهرة • وقلت ان الاستيلاء على القاهرة قد يخلق تعقيدات سياسية حادة ، وهي تعقيدات ربما كان من الافضل تجنبها • وقلت لهم ان الموضوع على اي حال موضوع سياسة عليا يبت فيه على القمة ، وان ما ابديته من رأ ي كان انطباعا شخصيا •

ولم اتمكن من ان اجعل الفرنسيين يفضون الي « بتفصيلات محددة عن خططهم ، وحين سألتهم عن حجم القوة التي يمكن ان تشترك ، كان ردهم ان خطط الحملة الفرنسية البريطانية وضعت على اساس اشتراك اربع فرق من المشاة ، وعلى قصف عنيف للمطارات المصرية •

وسالنى الوفد الفرنسي عن مطالبنا من السلاح ، وقدمت لهم قائمة بطلباتنا ، وكانت تتضمن دبابات ونصف جنزير وناقلات جنود تستطيع الحركة على الرمال ، ومدافع مضادة للدبابات وطائرات • ويبدو لي انهم كانوا يتوقعون طلبات اكثر من جانبنا •

وفيما يتعلق بالتوقيت ، فقد ذكرت الفرنسيين ان الجيش الاسرائيلي يرتكز اساسا على احتياطيه ، وانه يمكن تعبئة هذا الاحتياطي بسرعة كبيرة ، ولكننا لكى نقوم بهذه التعبئة بطريقة مريحة فاننا نحتاج ما بين خمسة الى سبعة ايام، فاذا اخذنا تقديراتهم كاساس لحساباتنا على اعتبار ان مجلس الامن سوف ينتهي من مداولاته في ١٢ اكتوبر ، وان قرارا سياسيا نهائيا يمكن ان يصدر يوم ١٥

اكتوبر ، فان الجيش الاسرائيلي يمكن ان يكون جاهزا للعمل ابتداء من ٢٠ اكتوبر » ٠

. . . .

. . . .

« لم يكن الفرنسيون قد استقروا بعد على مسالتين في منتهى الاهمية بالنسبة إلى الحملة: البداية، والنهاية. وبالنسبة إلينا فإن هاتين المسألتين كانتا محلولتين : لم نكن نحتاج إلى مبرر لبدء الحملة ضد مصر. وبالنسبة الى النهاية فلم نكن نريد احتلال سيناء الى الابد ، ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة الى ايلات ، وتدمير الجيش المصري الذي يهدد اسرائيل في سيناء ، ووقف عمليات الفدائيين ضد اسرائيل من قطاع غزة ٠

وكنا نحن ايضا نريد ان نرى ناصر يسقط ، ويجيء بدلا منه نظام مصري يستطيع انشاء علاقات سليمة مع اسرائيل ٠

وكان في استطاعتي ان افهم تردد « بن جوريون » بشأن الاقتراح البريطاني الفرنسي بان نبدأ نحن بالهجوم في المرحلة الاولى من الحملة ٠٠٠ كانت هناك اسباب سياسية وعسكرية تؤيد وجهة نظره ، ومع ذلك فها نحن الان امام فرصة لن تعوض للعمل ضد مصر بالتعاون مع فرنسا ، وربما مع بريطانيا ايضا ٠٠٠ اننا لن نكون وحدنا ، وكان ظني ان الامساك بهذه الفرصة يقتضينا جهدا ضخما، وهو جهد لصالحنا ، حتى لا تضيع منا هذه الفرصة التاريخية ٠

وعدنا الى اسرائيل ، ومعنا الوفد الفرنسي الذي سيتفقد قواعدنا ، وبينما ذهبنا نحن لتقديم تقريرنا الى بن جوريون ، توجه الوفد العسكري الفرنسي الى عمله مباشرة ٠ وفي نفس الليلة دعوت هيئة اركان الحرب الى اجتماع لاعطيهم الامر الانذاري الاول ، وقد اخطرتهم بالاحتمال القوي لعمل مشترك مع فرنسا، وربما بريطانيا ، ضد مصر ٠ واوضحت ان القرار النهائي لم يتخذ بعد بواسطة حكومتنا او حكومتهم ، ومع ذلك فاني اقدر بدء العمليات في ٢٠ اكتوبر ٠٠ثمانية ايام من الان ، وان تقديري لمدةالحملة هو انها قد تستغرق ٣ اسابيع ٠ وقلت لهم إن حلفاءنا سوف يتولون تدمير المطارات المصرية والاستيلاء على منطقة قناة السويس ، وان مهمتنا ستكون احتلال شبه جزيرة سيناء ٠ وعلينا ان نكون مستعدين لاحتمال اشتراك دول عربية اخرى ضدنا تضامنا مع مصر ، وعلى هذا الاساس فانه يجب تامين الجبهتين السورية والاردنية ٠ وقلت لهم اننا لن نصدر الامر بالتعبئة العامة في هذه المرحلة ، ولكن الترتيبات للتعبئة يمكن ان تبدأ الان ، وطلبت ايضا استدعاء كل ضباطنا الذين يحضرون دورات دراسية او تدريبية في الخارج ، وبشأن المحافظة على سرية نوايانا ، فقد قلت لهم ان

استعداداتنا يمكن شرحها بانها اجراءات مضادة لاحتمال دخول قوات عراقية الى الاردن · »

. . . .

. . . .

« وفي صباح اليوم التالي ٣ اكتوبر ، تلقيت من رئيس الوزراء مذكـــرة كتبها في الليلة السابقة ، وقال انها تلخص آراءه تجاه « الخطة » ، وكان التحفظ باديا في مذكرة « بن جوريون »، فقد اشار فيها الى انه بدون اشتراك البريطانيين فان اسرائيل قد تتعرض لمخاطر شديدة ، وخصوصا اذا شن الطيران المصـــري غارات على المدن الاسرائيلية ، لانه بدون اشتراك البريطانيين فان مقدرة فرنسا على شل المطارات المصرية سوف تكون ضعيفة ·وبما ان هناك احتمالا في ظروف معينة بان يعمل الطيران الفرنسي من اسرائيل وليس من قبرص ، فمعنى ذلك ان اسرائيل وحدها ستكون هدف الهجمات الجوية المصرية · ولم تنته مذكرة « بـــن جوريون » الى قبول او رفض محدد « للخطة » ، ولكنها انتهت بضرورة أن يكون الفرنسيون على علم وثيق وواضح فيما يتعلق بمضاعفات الخطة على اسرائيل· ولم يكن واضحا لي ما هو المقصود من هذا التحذير ، فان الفرنسيين كانوا مثلنا تماما يفضلون اشتراك بريطانيا ، ولم يكن رضانا بقصر العمل بيـــن فرنســـا واسرائيل وحدهما الا قبولا لعدم وجود خيار اخر ·

وكان مقررا ان يقوم الوفد الفرنسي بزيارة لرئيس الوزراء في القدســـ ظهر ذلك اليوم ، وقد ذهبت الى مكتب « بن جوريون » بصحبة « شيمون بيريز» مبكرا لالقاه قبل اجتماعه بالوفد الفرنسي ، ووجدته قلقا ، وقد فتر حماسه · وقال لي انه يفكر في ان يكتب مباشرة الى رئيس الوزراء الفرنسي « جي موليه » معبرا عن شكوكه في العملية ، ورجوته ان لا يفعل ، وان ينتظر انتهاء زيـــارة الوفد الفرنسي ، وحتى نسمع منهم مقترحاتهم المحددة ··· لقد كان من السهل في ذلك الوقت اخماد نيران حماسة الحكومة الفرنسية لشن الحرب ضد مصر، ولكن اشعال هذه الحماسة من جديد قد يصبح امرا مستحيلا ·

وقلت « لبن جوريون » ان مخاوفه فيما يتعلق بقوة الطيران المصري علـــى ضربنا مبالغ فيها ،وان اعتقادي هو ان الطيران الفرنسي حتى بدون البريطانيين قادر على الحاق ضرر كبير بالطيران المصري ·

واحسست ان لهجتي حادة بعض الشيء ، ولكني لم اندم · اذا كانـــت فرنسا مستعدة ان تعمل معنا الان عسكريا ضد ناصر ، فانه يصبح منتهى ســوء التقدير ان نرفض نحن عرضهم وان نعود الى مواجهة مصر وحدنا ·

وجاء الوفد العسكري الفرنسي لمقابلة « بن جوريون » ، وقد اعربوا لـــه

مرة اخرى عن املهم في ان يسمح لهم بالعمل من قواعد في قبرص ، حتى بدون اشتراك البريطانيين في العملية ، واذا لم يتيسر لهم ذلك فانهم يريدون ان يكون لهم حق استعمال القواعد الاسرائيلية · وسألهم « بن جوريون » كيف يتصورون عملية اسقاط عبد الناصر ، اذا كان هدفهم هو مجرد احتلال منطقة القناة ؟ ان القوات المصرية سوف تبقى في اجزاء من مصر لم يجر احتلالها ، وسوف تواصل من هناك حربا ضد الجيش الفرنسي المحتل ، وقد يطلب ناصر مساعدة الاتحاد السوفيتي · ووافق الفرنسيون على ان ذلك ممكن ، واعترفوا بانه ليس لديهم حلول لهذه المشكلة ، طبقا للخطط المطروحة حاليا » ·

. . . .

. . . .

« وعدنا الى تل ابيب بعد الظهر ، وعقدنا اجتماعا ختاميا مع الوفد الفرنسي ، ناقشنا فيه مشكلتين فنيتين ، اولاهما احتمال استعمال الفرنسيين لقواعد اسرائيلية كبديل لقبرص ، والثانية القائمة الجديدة بالمساعدات العسكرية الفرنسية للجيش الاسرائيلي ·

ورغم ان اجتماعنا بالوفد الفرنسي كان مخصصا بالدرجة الاولى للعمليات العسكرية ، فقد كان محتما ان نلمس فيه بعض الجوانب السياسية · فقد واجهنا في اجتماعاتنا الاولى في باريس ، ثم في اجتماعنا مع « بن جوريون » في القدس السؤالان اللذان يفرضان نفسهما كل مرة ، وهما : كيف تبدأ العملية العسكرية؟ وكيف تنتهي ؟

وكنت في كلامي عن خطتنا العسكرية قد قلت انني انطلق من افتراض ان بداية العملية ستكون هجوما فرنسيا بالقوات البرية يتفق تماما مع بدء حركتنا نحن على القطاع المخصص لنا في سيناء · وسألني الوفد الفرنسي الان عما اذا كنت اعتقد انه من الضروري تنسيق الهجومين في نفس اللحظة ، واجبت بان ذلك له اهمية عسكرية كبرى ، لان عملية انزال فرنسي على شواطىء مصر سوف تفرض على ناصر ان يحول جزءا كبيرا من قواته لمواجهتهم ، تاركا بقية قواته في سيناء بدون اي تعزيزات · قلت ايضا ان هناك جانبا سياسيا له اهميته ، ذلك ان رد الفعل لدى عدد من الدول العربية ، كسوريا ولبنان ، وربما الاتحاد السوفيتي وامريكا، سوف يختلف اذا كانت فرنسا موجودة في العملية منذ اللحظة الاولى ، عنه فيما اذا قامت اسرائيل وحدها بمهاجمة مصر · وقال الفرنسيون انهم يوافقون على هذا التقييم ، ولكنهم يرون اننا يجب ان نعرف انه سوف يكون من الصعب على القوات الفرنسية ان تبدأ عملها في نفس اليوم معنا · ثم سألوني نفس السؤال الذي طرحه «بن جوريون» عليهم، والذي سوف تسألهم اياه حكومتهم عندما يعودون ، وهو : ماذا سيحدث اذا استطاع كل منا في قطاعه ان يحتل ما هو مطلوب منه ـ اسرائيل لسيناء ، وفرنسا لمنطقة قناة السويس ـ ثم لم يؤد

ذلك الى سقوط النظام المصري ؟ ماذا اذا قرر ناصر ان يشن حربا شعبية ؟ اليس هناك خطر ، والامر كذلك ، ان نجد انفسنا غارقين حتى نقوننا في صراع طويل وممتد ؟

كانت هذه بالفعل مشكلة خطيرة ، ولم يكن هناك رد بسيط او محدد عليها، ولكنها كانت مشكلة لفرنسا اكثر منها لنا ، وقد اثارها « بن جوريون » لانه كان يريد ان يعرف كل ما يمكن ان يعرفه قبل ان يتخذ قراره الحاسم . وكان يعرف ان هزيمة سياسية عسكرية لاسرائيل يمكن ان تهزها الى الاعماق ، واما بالنسبة لفرنسا فانها لم تكن كبيرة الى هذه الدرجة ، ذلك انها اذا اضطرت في مرحلة من المراحل الى سحب قواتها قبل تحقيق اغراضها ، فان ذلك لن يقوض دعائم وجودها نفسه .

واضفت قائلا للوفد الفرنسي انه ليس امام اسرائيل وفرنسا ما تخسرانه، ان ناصر يواصل اعماله العدائية ضدنا وليس هناك امل في ان يتوقف عن ذلك بدون عمل حازم من جانب اسرائيل ، ونحن نريد ان نسأل الفرنسيين عما اذا كانوا يستطيعون حل مشاكلهم في المغرب والجزائر بدون عمل ضد مصر التي تساعد وتشجع اعداء فرنسا . وخلال المناقشة حول كيفية انهاء الحملة ، لم يكن في مقدوري ان اتغلب على الاحساس بان الفرنسيين كانوا يثيرون عمدا هذه المسألة في نفس الوقت الذي كانوا يتساءلون فيه عن بداية الحملة . كانوا ما زالوا على الحاحهم في ان نبدأ نحن بالعمليات قبلهم ، وكانوا يعرفون موقفنا الامني ، وكانوا متنبهين الى رغبتي القوية في بدء عمل بالتوازي بيننا،واوضحوا لي مخاوفهم من ان يؤدي ذلك الى شكوك لدى الحكومة الفرنسية عندما تتخذ قرارها بشأن بدء العمليات . وباختصار فان الصفقة التي كانوا يعرضونها هي ان نبدأ نحن قبلهم لتسهيل دخولهم وان يتأكدوا هم من ان نهاية العمليات سوف تحقق لنا ما نريد (الخلاص من ناصر) .

وفي اليوم التالي ٤ اكتوبر ذهبت لمقابلة« بن جوريون » في الساعة العاشرة صباحا في القدس لاقدم له تقريرا عن المحادثات النهائية مع الوفد الفرنسي ، ولاتلقى منه موافقته على المضي في الاستعدادات ، ووجدته اكثر هدوءا ، وقد وافق بسرعة على اقتراحي بالاستمرار في استعداداتنا لتكملة خطة العمليات بالتعاون مع الفرنسيين دون ان ننتظر مداولات مجلس الوزراء ، او قراره . واوضحت لـ « بن جوريون » اننا ونحن نتسلم معدات فرنسية طلبناها ، فاننا نأخذها على انها قرض مؤقت لحساب العملية . فاذا الغيت العملية فانه سيكون امامنا اما ان نعيد المعدات او ندفع ثمنها .

وفي ٨ اكتوبر عقدت اجتماعا مشتركا لقيادات قواتنا المسلحة ، وفيه عرضت خطة عملياتنا ضد مصر في سيناء ، واخترنا لها الاسم الرمزي « العملية قادش » ·

. . . .
. . . .

لم تنته بعد رواية « ديان » ·· فهذا هو الجزء الاول منها ··· وما يليه اخطر بكثير !

الحديث الخامس عشر :

لأول مـرّة ...
نصوص معاهدة "سـيفر" السرّية

ما زال « موشي ديان » وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ورئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي وقت السويس ، هو الذي يتكلم ...
ما زالت الرواية له ، نقلا عن كتابه الاخير ... « قصة حياتي » .

□

« في ليلة ١٨ اكتوبر وصلت برقية من « جي موليه » رئيس وزراء فرنسا يدعو فيها « بن جوريون » الى باريس ، ورتبنا سفرنا الى باريس مساء يوم الاحد التالي ٢١ اكتوبر ، وكنا قد تلقينا تفصيلات عن اجتماع تم في اليوم السابق بين البريطانيين والفرنسيين في باريس ، وفي هذا الاجتماع سلم البريطانيون الى الفرنسيين مذكرة تحتوي على فقرتين وقع عليها « انتوني ايدن ، وطلب الى الفرنسيين نقلها الينا . وكان البريطانيون يشعرون ان ذلك سوف يساعدنا على الوصول الى قرار ، ويقنعنا بان نبدأ الحملة في سيناء وحدنا ، ونصل الى القناة .

كانت الفقرة الاولى تقرر ان بريطانيا وفرنسا تطلبان من مصر واسرائيل ان تبتعدا بقواتهما عن منطقة قناة السويس ، وانه اذا رفض احد الطرفين الاستجابة ، فان القوات البريطانية الفرنسية سوف تتدخل ضده لتضمن سلامة المرور في القناة . وكان الهدف من هذه الفقرة أن توفر أساسا قانونيا وسياسيا واخلاقيا لعملية غزو مصر بواسطة قوات بريطانيا وفرنسا . وكانت الفقرة الثانية تعلن ان بريطانيا لن تقوم بمساعدة مصر اذا قامت الحرب بينها وبين اسرائيل ، ولكن ذلك لم يكن الموقف تجاه الاردن الذي كانت تربطه ببريطانيا معاهدة دفاعية سارية المفعول . وكان القصد من هذه الفقرة على ما يبدو طمانتنا الى أن بريطانيا لن تدير مدافعها نحونا حتى اذا طلبت مصر منها ذلك . ولم يستطع « بن جوريون » بطبيعة الحال أن يعتبر هذه المذكرة أساسا لعمل مشترك ، وقد أصر على أننا لن نكون الطرف الذي يبدأ الحملة ، ويمثل دور المعتدي ، في حين يبدو البريطانيون والفرنسيون في مظهر ملائكة السلام الذين يعيدون الامن الى المنطقة . وهكذا ، فانه لم يكن مستعدا لتقسيم الادوار على نحو يجعل اسرائيل - على حد تعبيره - تنحدر الى حماة العار ، في حين تقوم بريطانيا وفرنسا بغسل أيديهما في مياه الطهارة والنقاء .

وقلت له بن جوريون » أن هذه المسالة - في تصوري - ينبغي النظر اليها من ناحية أخرى . وكان رأيي أن بريطانيا وفرنسا لا تحتاجان الينا في

هذه الحملة ، وأن الخمسمائة طائرة التي ستضعها الدولتان للعمل ضد مصر سوف تكون كافية لتدمير السلاح الجوي المصري ، وذلك هو نفس الحال بالنسبة الى القوات البحرية. والميزة الوحيدة التي نملكها نحن في هذا الصدد ونتفوق فيها عليهم هي انهم لا يملكون القدرة على اعطاء انفسهم مبررا كافيا لبدء العمليات ، وكانت تلك « تذكرتنا » الوحيدة للدخول الى « نادي » حملة السويس · وفوق ذلك فان موقفنا تجاه مصر يختلف عن موقف بريطانيا وفرنسا ، فان ناصر ما زال مستمرا في اعلان ان هناك حالة حرب بين مصر واسرائيل ، ولقد اتبع كلماته بالعمل عندما فرض الحصار على مضايق تيران ، وعندما وجه الينا غارات الارهابيين ·

وهذا يفرض علينا ، وحتى بدون ارتباط بين مصالحنا ومصالح كل من بريطانيا وفرنسا ، ان نامر جيشنا باختراق الحدود ، وكثيرا ما اصطدمنابالجيش المصري · ان الافتراض البريطاني اذن صحيح : فنحن نملك في ايدينا ان نقدم المبرر ··· نحن في موقف يسمح لنا بـ « تسليم البضاعة » ·

ثم ان علينابعد ذلك اننقرر ماالذيسيحدثاذارفضنا الاقتراح البريطاني· كنت ارى ـ وقد قلت لبن جوريون ـ اننا سوف نفقد فرصة تاريخية لن تعود مرة اخرى ، ذلك انصراعنا مع ناصر مستمر ، ولكننا سوف نكمله وحدنا وبدون قوات بريطانيا وفرنسا ، وبدون المعونة العسكرية التي تقدمها لنا فرنسا في اطار خطة العمليات المشتركة · وفي مثل هذه الاحوال ، ومن وجهة نظر سياسية، هل نستطيع وحدنا ان نشن حربا لاحتلال شرم الشيخ كي نؤمن حرية الملاحة الى ايلات؟ والا نوصم باننا معتدون ونتعرضلضغوط عنيفة من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اذا فعلنا ذلك ؟ وكنت أعتقد ان « بيرجس مانوري » « كان على حق عندما قال لنا أن علينا ان نساعد في بداية العمليات لكي يساعدنا الاخرون بالطريقة التي تنتهي بها ·

هكذا كنت معتقدا أنه اذا استطاع الفرنسيون أن يأخذوا على عاتقهم بواسطة اسطولهم حماية شواطئنا ، كذلك اذا استطاع طيرانهم ان يساعد في الدفاع عن حيفا وتل ابيب ، فان علينا ان نقبل الخطة المقترحة وأن نتولى نحن بداية العمليات ، على شرطأن تلحق بنا القوات الفرنسية والبريطانية في ظرف يومين اثنين ، وان تحتل منطقة القناة » ·

· · · · · ·

· · · · · ·

« وفي صباح يوم ٢١ اكتوبر وصلت طائرة من فرنسا لتقلنا لاجتماع باريس ··· اننا سوف نسافر في المساء ، وسوف تكون هذه رحلة الى القرار ·

لقد مضى الوقت واستنفذت كل جوانب المناقشة ··· ما بقي هو المفاوضة من أجل رسم حدود التعاون العملي بين الاطراف ، واصدار قرار نهائي ·

وكان اثنان من أعضاء الوفد الفرنسي السابق قد قدما على الطائرة التي جاءت لتقلنا ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا دخل الاثنان الى مكتبي · كان مجيئهما الى اسرائيل غير متوقع ، ولكن غرضهما كان واضحا : كان المطلوب هو أن تبدأ المفاوضات حتى من قبل أن نصل الى باريس ··· كان الموضوع الرئيسي هو « المبرر » أو « السيناريو » ـ على حد التعبير الذي كان يستعمله اعضاء الوفد الفرنسي ··· ان بريطانيا لم تكن قد تزحزحت عن موقفها ، وقد جاء زوارنا برجاء ان نقبل ، وكان قولهم انهم يعرفون أن الاقتراح البريطاني ليس أفضل الاقتراحات بالنسبة الينا، ولكنه كان في رأي البريطانيين الاساس المعقول الوحيد الذي يمكن لبريطانيا ان تتعاون بمقتضاه ··· انها سوف تشترك في الحملة اذا استطاعت ان تظهر في مظهر الوسيط الذي يتدخل ليعيد النظام · وكانت المناقشة حامية ، وقد سألتهم عما اذا كان السلاح الجوي الفرنسي سوف يهب لمساعدتنا اذا ما تعرضت مدننا للقصف خلال الساعات الأربع والعشرين الاولى ، وعندما تكون طائراتنا كلها مشغولة فوق ميدان القتال ؟ وكان ردهم بالسلب ، واضافوا أن بريطانيا تعترض على هذه الفكرة لانها ـ في رأيها ـ سوف تفسد « السيناريو » · وعند هذه النقطة انفجرت غضبا من المنطق نفسه ومن كثرة ترديد كلمة « السيناريو » ، وقلت لهم أن « شكسبير » كان كاتب سيناريو عبقري ، ولكني اشك في أن أحدا في مجلس الوزراء قد ورث مكانته ·

وقد قلت لهم انه فيما يتعلق بي ، فاني لا أستطيع أن أؤيد اقتراحا بقيام شركة ، يقوم احد أطرافها بكل العمل في حين يجيء الشريكان الاخران ليتظاهرا بالعمل ضده · واذا كان علينا ان نقاتل المصريين وحدنا ، فان لنا في هذه الحالة أن نقرر متى وكيف نقوم بذلك محكومين بما يناسبنا ، ولست اتصور كيف يمكن ان نترك الطائرات المصرية تضرب تل أبيب لان طائراتنا سوف تكون مشغولة لتمهيد الطريق للغزو البريطاني الفرنسي لمنطقة القناة؟ لقد كان من غير المعقول في رأيي أن شركاءنا لا يجيئون لمساعدتنا لكي لا يفسد « السيناريو » · وقد سألني الوفد الفرنسي عما اذا كانت هذه المشكلة يمكن حلها بوضع مجموعة من الاسراب المقاتلة الفرنسية التي يمكن ان تشترك في العمليات في حالة الضرورة ، « بالتحديد في حالة الدفاع عن المدن الاسرائيلية ضد هجوم من الجو » ؟ وكان ردي ان ذلك اقتراح جديد يستحق البحث · وفي الحقيقة فقد كان لدي حل أكثر بساطة · اننا سوف نقوم بهجومنا البري المقترح على نطاق صغير نسبيا ، وسوف يكون جزء منه على مقربة من قناة السويس · ان هذا قد لا يحفز المصريين على رد سريع بضرب المدن

الاسرائيلية حتى لا نرد نحن بالمثل ، ولكن هذا العمل قد يكون مبررا للبريطانيين والفرنسيين · وفي نفس الوقت فقد قلت أنني ما زلت متمسكا بالحصول على مساعدة جوية فرنسية في حالة الضرورة · وتوجهنا قبل الغروب الى المطار لتأخذ الطائرة الى فرنسا ، وكان وفدنا على النحو التالي:

بن جوريون ومرافق له ، شيمون بيريز ، مدير مكتبه مردخاي بارأون ، وانا · وفي السيارة في طريقنا الى المطار قلت لبنجوريون عن مهمة الاثنين من الوفد الفرنسي اللذين جاءا مع الطائرة·

وعندما سمع بن جوريون أنهم ما زالوا في باريس يلحون علينا في قبول الخطة البريطانية ، اراد ان يلغي الرحلة · وعندما وقعت عينا بن جوريون على عضوي الوفد الفرنسي قرب الطائرة كان يحاول السيطرة على مشاعره بصعوبة ، وقال لهما : « اذا كنتم ما زلتم تفكرون في اقناعنا بالمقترحات البريطانية ، فان الفائدة الوحيدة لهذه الرحلة هي انها تتيح لي الفرصة للتعرف على رئيس وزرائكم » ·

وحالت سحب كثيفة غطت وسط فرنسا دون نزولنا الى باريس ، فرجعنا الى مارسيليا للتزود بالوقود ، ثم عدنا مرة اخرى الى باريس ، وظللنا نحلق فوق المطار حتى استطاع الطيار أن يجد فجوة بين السحب فهبط في مطار « فيلاكوبلاي » يوم ٢٢ اكتوبر ، بعد سبع عشرة ساعة من الحياة في الطائرة » ·

. . . . . .

. . . . . .

« واستضيف « دافيد بن جوريون » مع مرافقه في فيلا بقرية سيفر ، في ضواحي باريس ، حيث جرت كل المحادثات فيما بعد ، في حين ذهبنا — « شيمون بيريز » و « موردخاي بارأون » وأنا — الى فندق في باريس ، وبعد بضع ساعات من الراحة ، بدأ اجتماعنا الاول في الساعة الرابعة بعد الظهر وقد دعى لحضوره من الجانب الفرنسي كل من رئيس الوزراء « جي موليه » ، ووزير الخارجية « كريستيان بينو » ووزير الدفاع « بيرجس مانوري » · وكان وفدنا يتألف من « بن جوريون » و « شيمون بيريز » وانا ، واستمرت محادثاتنا حتى الساعة السابعة مساء · وكانت بداية الاجتماعات مناقشة عامة حول الاوضاع الدولية ، ثم اقتربنا من الموضوعات الاساسية في محادثاتنا حينما بدأ « بنجوريون » يقدم اقتراحا من جانبه عن اعادة ترتيب الاوضاع في الشرق الاوسط عامة · قال ان الاردن ليست قابلة للبقاء كدولة مستقلة ، وانه يجب تقسيمها بحيث يذهب الجزء الشرقي من الاردن الى العراق ، بشرط تعهده باعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ، واما غرب

الاردن فيجب أن يصبح اقليما ذا سيادة ذاتية كجزء من اسرائيل · وأما لبنان فيجب أن يتنازل عن المناطق الاسلامية فيه لكي يضمن استقراره في المناطق المسيحية · وبمثل هذه الترتيبات في بناء الشرق الاوسط الجديد فان بريطانيا تستطيع ان تمارس نفوذها على العراق ، الذي سوف يضم شرق الاردن ، كذلك فان سيطرتها قائمة في المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية · وأما فرنسا فسوف يكون لبنان منطقة نفوذها ، وربما سوريا كذلك ، مع احتفاظ فرنسا بعلاقة خاصة باسرائيل · وفي نفس الوقت فلا بد من تدويل قناة السويس ، ووضع مضايق تيران تحت السيطرة الاسرائيلية · ولم يكن ذلك قابلا للتنفيذ فورا ، ولكن بن جوريون كان يرى أن محاولات يجب أن تبذل لاقناع الولايات المتحدة وبريطانيا بتاييد هذه الاهداف · وكان « بن جوريون » يرى ان الموقف الراهن — وهذا الاجتماع بالذات — فرصة مناسبة لدراسة مستقبل الشرق الاوسط بقصد الوصول الى سياسة مشتركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واسرائيل · واقترح « بن جوريون » انه لا داعي للاسراع في ترتيب حملة عسكرية ، واننا يجب أن نعطي أولوية لبحث الممكنات السياسية · كان يعتبر ان الوقت ناضج لاعادة التقييم ، فبريطانيا تقف وسط حطام سياستها في الشرق الاوسط ، حيث تمكن ناصر من تأميم القناة ، وحيث فازت العناصر المعادية لبريطانيا في انتخابات الاردن » ·

· · · · · ·

· · · · · ·

« واصغى الفرنسيون باهتمام لآراء بنجوريون ، ولكنهم لم يكونوا يريدون لشيء أن يحولهم عن الموضوع العملي المحدد الذي اجتمعنا لبحثه، وهو موضوع الحملة العسكرية ضد مصر ·

وكان رئيس الوزراء الفرنسي يرى أنه من الصعب اقناع الامريكيين للعمل بالقوة لاسقاط ناصر ، وقال ان مشكلة حلفاء امريكا الاوروبيين أن امريكا متأخرة عنهم في فهم مشاكل أوروبا بفجوة زمنية مقدارها سنتان· في الحرب العالمية الاولى لم يتحقق الفهم الامريكي الا سنة ١٩١٧ ، وفي الحرب العالمية الثانية لم ينضموا الينا سنة ١٩٣٩ ، وتاخروا الى نهاية سنة ١٩٤٠ · وهكذا فان تنبههم الى خطورة ما اقدم عليه ناصر بتأميم قناة السويس لن يستقر في عقولهم قبل سنتين ، وفوق ذلك فان الامريكيين يبدون اكبر اهتمام بعلاقاتهم مع الاتحاد السوفيتي · وكان « كريستيان بينو » وزير الخارجية اكثر صراحة من « جي موليه » ، فقد حذر بن جوريون من انه ، وهو يحاول حل كل المشاكل مرة واحدة ، لن يحل شيئا · وكان رأيه انه لا الولايات المتحدة ولا بريطانيا على استعداد الان لبحث قضايا كبيرة الى هذا الحد · وقال « بينو » أن ايدن شديد الحماسة لعمل ضد

مصر ، ولكنه يواجه صعوبات كبرى ، وهو يواجـه معارضة في البرلمان من جانب حزب العـمال ، وايضا من داخـل حزبـه ، بـل ومن داخـل مجلس الوزراء، وأنه كلما طـال التأخيـر ضعف موقفـه ، بينمـا على العكس من ذلك . موقف ناصـر يزداد قـوة ، كل يـوم ، وتتوثّـق صلاتـه بالاتحـاد السوفييتي . وكان رأيــه أن هـذا هو وقـت العمـل وإلا أفلتـت الساعـة الملائمــة وأشار « بينــو » إلــى ثلاثــة عوامـل تؤيّـد ضـرورة الحركـة بسرعة :

● أولها فني ، ذلك انه بعـد اكتوبر سيبدأ الموسم العاصف في البحــر الابيض ، وتصبح عمليات الانزال مستحيلة ·

وكانت بقية العوامل سياسية ·

● فمن ناحية ، فان الولايات المتحـدة ـ في عشية انتخابات الرئــاسة القادمة في نوفمبر ـ لن تجد وقتا للاهتمام بالشرق الاوسط ، ولا بــد مــن استغـلال هذه الفرصة لبدء العـمليـات ·

● ومن ناحية أخـرى ، فان الاتحـاد السوفيتي مشغول بالقلاقل داخـل اوروبا الشرقية ، وبالذات في بولندا ، مما يقيد حركته ·

وحاول « بنجوريون » مرة اخـرى أن يلفت نظر الفرنسيين الى ضرورة حل المشاكل الكبرى مرة واحـدة بدلا من حلهـا بالتقسيط · وأضاف أيضـــا انه لا بد من اجراء محادثات صريحة مع بريطانيا للتأكــد مــن حســن نواياها ، كما أصر عـلى أن يكون من أهم اهدافنا قلب نظام ناصر ، والعثـور على نظام اكثر اعتدالا في مصر · واما الثالث فهو اعادة ترتيب اوضـــاع الشرق الاوسط ، وقال أننا اذا كنا سنعـطي الاولوية للمحادثات مع بريطانيا وقلب ناصر ، فاننا يجب أن نقوم بذلك فـي اطار تصوراتنا لمستقبـل الشرق الاوسط · وطلب وزير الخارجية الكلمة مرة اخـرى ليلح على ضرورة التركيز على تفاصيل حملة السويس · وتبعه وزير الدفاع « بيرجس مانوري » الــذي أوضح انه اذا لـم تبدأ الحملة في خـلال أيام فان فرنسا قد تضطر الى التراجع عنها ، ففرنسا لا تستطيع ان تستبقي عددا من بواخرهــا المعــدة لنقـل الجنود عاطلة ، ولا تستطيع الاحتفاظ بالقوات التي حشدتها معطلــة · وامــا فيما يتعلق بمخاوف اسرائيل ، فان بيرجس مانوري قال انه ـ كوزير للدفـاع في فرنسا ـ يستطيـع أن يضمن أن بوارج الاسطول الفرنسي سوف تحمــي الشاطيء الاسرائيلي ، بـل وسوف تساعـد في أعـمال الدفاع الجـوي، وأبدى استعداده فوق ذلك للموافقة على تمركز وحدات من السلاح الجوي الفرنسي في اسرائيل لتقوم عند اللزوم بمهام الدفاع الجوي » ·

. . . . . .

. . . . . .

« وفي الساعة السابعة مساء وصل وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد ومعه مسئول كبير من وزارة الخارجية البريطانية ، ولم يأت سلوين لويد الى غرفة اجتماعاتنا مباشرة ، وانما بدلا من ذلك ذهب اليه الوفد الفرنسي ، حيث اغلقوا على انفسهم باب غرفة اخرى ، وراحوا يسمعون من الفرنسيين تفاصيل الموقف الاسرائيلي ، وعاد الفرنسيون الينا بعونهم واستأنفنا حديثنا ، وكنا قد وصلنا الى ما بدا لنا الان وكانه طريق مسدود ، فقد كان « بن جوريون » على غير استعداد لقبول وجهة النظر البريطانية ، وقال انه من الافضل لنا ان نعود الى اسرائيل في الصباح · وقال « بيرجس مانوري » من ناحيته انه سوف يبحث جديا في مسألة فك تعبئة قوات السويس اذا لم نصل الى قرار قبل نهاية الاسبوع ·

وعاد « كريستيان بينو » وقرأ جدولا بآخر المقترحات البريطانية ،وكانت كما يلي :

- تبدأ اسرائيل العمليات العسكرية ضد مصر ·

- توجه فرنسا وبريطانيا انذارا الى كل من مصر واسرائيل تطلبان فيه انسحاب كل منهما عن منطقة القناة ·

- يبدأ ضرب المطارات المصرية فور انتهاء مدة الانذار ·

وتقرر ضرورة اجراء محادثات اخرى مع البريطانيين ، وفي هذه المرة دعينا الى حضورها ، وتولينا – بن جوريون وانا – تمثيل اسرائيل ، واستمر هذا الاجتماع الثلاثي الاول لمدة ساعة ونصف الساعة ، ثم استأنفناه مرة اخرى بعد عشاء سريع ، وانضم « شيمون بيريز » الى وفدنا بعد العشاء، واستمر اجتماعنا حتى منتصف الليل ، ثم خرج « سلوين لويد » متوجها الى لندن لينقل مقترحاتنا الى رئيس وزرائه ·

كان الاجتماع الذي فرغنا منه اجتماعا غريبا ، ففي ملاحظاتهما الافتتاحية اظهر كل من « سلوين لويد » و« دافيد بنجوريون » تشددا حادا ، ومع ذلك فان كل منهما ابدى قبل نهاية الاجتماع مرونة ظاهرة · وربما كان وزير خارجية بريطانيا رجلا ودودا ولطيفا وجذابا ، ولكن اذا كان الامر كذلك فلقد ابدى مقدرة عبقرية على اخفاء فضائله ، فلم يكن ممكنا ان يكون سلوكه اكثر عداء ، وكانت تصرفاته كلها تنطق بالقرف من المكان ومن الصحبة ومن الموضوع · كانت ملاحظاته الاولى اشبه بأسلوب تاجر يساوم للحصول على اكثر ما يمكن باقل ما يمكن ، ووصل الى حد ان يقول

لنــا أنه في الحقيقة يعتقد بامكانية الوصــول الى اتفاق بشأن قناة السويس في ظرف عشرة أيام ، وقال أن محادثاته مع وزير خارجية مصر « محمــود فوزي» في نيويورك كانت مثمرة ٠ وكان لنا ان نسأله اذا كانت الامور مواتيــة وطيبــة الــى هــذا الحــد ، فلمــاذا جاء الى هنــا ؟ وأجاب هو بدون ان نسألـــه ، ان خشيتهم الوحيدة هي ان اتفاقا سلميا لن يؤدي الــى اضعاف ناصــر بــل يقويه في الواقــع ، وبما أن حكومة جلالة الملكة ترى أن ناصر يجب أن يذهب ، فانها كانت مستعدة للاشتراك في عمل عسكري طبقا للخطـــوط المتفــق عليهــا بينها وبين فرنسا ، وهذه الخـطوط تتطلب قيام الجيش الاسرائيلي بغزو سيناء، وبضرورة وصول وحدات منه الى جوار منطقة قناة السويس في ظرف ثمانيـــي واربعين ساعة ، واضاف « سلوين لويد » ان الخبراء الفرنسييــن قد اقنعــوا الخبراء البريطانيين بمقدرة الجيش الاسرائيلي على القيام بهذه المهمة ، وفي وقت ما من هــذه الثماني والاربعــين ساعة يصدر الانذار البريطاني الفرنسي بأمرهم بالانسحاب بعــيدا عــن القناة ، فاذا رفضت مصر فان الهجوم البريطانـــي الفرنسي ينطلق لاحتلال منطقة القناة ، ولاسقاط ناصر ٠

وكان رد « بن جوريون » بالرفض ، وكان رفضه قاطعا وحــادا ، وقـــال انه سبق ان رفض خطة مماثلة لما عرضه « لويد » الان ٠٠٠ ان اسرائيــل لــم تكن متشوقة لان تدمغ بالعدوان ، ولا مشوقة لاستلام انذار بالانسحـــاب بعيــدا عن منطقة القناة ، وأوضح « بنجوريون » أنه اذا قامت اسرائيل بمهاجمة مصر وفقا للخـطة المعروضة ، فان مصر قد ترد بضرب المدن الاسرائيلية ٠ ومــن ناحية اخرى فان اسرائيل ، وهي تحارب وحدها في المرحلة الاولى مــن الحملة، لا تستطيــع أن تستبعــد احتمال مجيء متطوعــين سوفيت أو تشيك لتدعــيــم القوات الجوية المصرية ٠ وهكذا كان رد « بنجوريون » بأن اسرائيل لا تستطيع ان تبدأ وحدها حربا ضد مصر لا الان ولا في اية مرحلة لاحقة ٠ وبــدا لـــي ان « بن جوريون » قد شرح ما نحن على غير استعداد لعملـــه ، وطلبـــت الاذن منه لكي اشرح ما نحــن على استعداد لعمله ٠ وقدمـــت الخطـــوط العريضة لخطتنا ٠٠ قلت أننا مستعــدون للقيام بغــارة واسعــة النطاق ضد مصر ، وعلى سبيل المثــال فاننا في الساعــة الخامسة بعــد الظهر من اليــوم المحدد للخطة سوف تبدأ بدفع قوة اسرائيلية عبر الحــدود المصريـــة للقيـــام بعــمل محدود ، ويمكننا فوق ذلك أن نضمن وصــول جزء من هذه القوة الى قرب قناة السويس عن طريق اسقاطها بالمظلات وراء الخطـــوط المصريـــة ، وفـــي نفس هذه الليلة تجتمع الحكومتان البريطانية والفرنسية لتطلبا مـــن المصريين سحب قواتهم من منطقة القناة لان وجــود هــذه القوات يؤثــر عــلى مرونـــة الحركة الضرورية في قناة السويس ، ويمكن للحكومتيـــن طلــب نفس الشيء من اسرائيل ، على ان يكون طلبها الينا الا نتقدم عبر القناة ، ثــم نقبــل نحـــن،

وبما أن عبور القناة ليس ضمن نوايانا بحال من الاحوال ، فان طلبهما الينا لن يكون له أي معنى عملي ، وأما اذا رفضت مصر الاستجابة الى نداء الانسحاب فان القوات الجوية لبريطانيا وفرنسا يجب أن تبدأ ضرب المطارات المصرية فجر اليوم التالي ... ولاحظت ان خطتي لم تكن « صدمة » لسلوين لويد ، ولا كانت حتى مبعث دهشة من جانبه ، وراح يحثني على ضرورة أن لا يكون عملنا المسلح داخل نطاق ضيق ، وانما يجب ان يكون « عملا حقيقيا من اعمال الحرب » والا فانه لن يكون كافيا لاصدار انذار تشترك فيه بريطانيا ، بل وقد تبدو بريطانيا أمام العالم بمظهر المعتدي ، وهو ما ترفضه بريطانيا « لان لها أصدقاء ما ـ مثل البلاد الاسكندنافية ـ الذين لا ينظرون برضى الى بريطانيا في دور البادىء بالحرب » .

ولم يكن في مقدوري ان التفت الى ناحية « بن جوريون » بينما كان «سلوين لويد » يهذي بهذه الحجج المبتكرة ، وتصورت ان « بن جوريون » يوشك ان يقفزمن جلده ، ولكني لاحظت أنه سيطر على غضبه ، وأن سمعت صوت دمدماته المكتومة ، الى جانب صوت مقعده الذي راح يحتك بالارض بعنف وهو يتحرك عليه الى الامام والى الخلف » .

. . . .

. . . .

« وتدخل « بيرجس مانوري » في الحديث بعد « سلوين لويد » ، فعاد يؤكد وعد فرنسا بتقديم مساعدة جوية الى اسرائيل ، ومضى « بيرجس مانوري » اكثر من ذلك فاقترح ان تتولى اسراب من المقاتلات الفرنسية مهامّها في الدفاع عن اسرائيل من اللحظات الاولى للمعركة ، وذلك من قواعد قبرص .
وجمع « سلوين لويد » زمام تردده ليقول انه لا يوافق على اقتراح « بيرجس مانوري » . وكان ذلك اكثر مما يحتمل بنجوريون الذي سأل « سلوين لويد» عما اذا كانت حكومة صاحبة الجلالة قد فكرت في الخسائر التي يمكن أن تلحق باسرائيل وبالمدن الاسرائيلية خلال يومين تقف فيهما اسرائيل وحدها في ميدان القتال .

وابدى « سلوين لويد » ضيقه من مثل هذا السؤال الذي لا محل له وقال انه جاء الى باريس وهو يظن انه سيناقش الخطة طبقا لما تم عليه الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا ، ولكنه يجد نفسه الان امام مقترحات جديدة . وبرغم ذلك ، وبرغم تحفظاته الظاهرة ، فقد كان واضحا ان « سلوين لويد » لم يستبعد مقترحاتنا تماما ، فقد عاد يسألني عن حجم القوة الاسرائيلية التي سوف تعبر الحدود المصرية ، وبدون ان ادخل في ارقام ، فقد اكدت له ان ما ننوي القيام به سوف يكون « عملا حقيقيا من اعمال الحرب » . وخلال الحديث قال « سلوين

لويد » انه قد يكون ممكنا ضغط الفترة الواقعة ما بين دخولنا في الحرب ولحاقهم بنا ، اي انهم يستطيعون اصدار الانذار صباح اليوم التالــــي اذا بدأنا نحن في الليلة السابقة ، اي بعد ١٢ ساعة ، وبما أن مدة الانذار سوف تكون اربعـــاً وعشريـن ساعة فمعنى ذلك انهم سيكونون في الميدان وراءنا بست وثلاثين ساعة ·

وعندما تركنا « لويد » قرب منتصف الليل عائدا الى لندن ، فلقد راودنـي الشعور بانه من الممكن التوفيق بين الخطتين اذا كان الاطراف يريدون ذلك · ولم يكن « بينو » بادي السعادة بنوع التقرير الذي يمكن ان يقدمه « سلوين لويد » الى رئيسه « ايدن » ، وهكذا استطاع ان يحصل لنفسه بالتليفون على دعـــوة للذهاب الى لندن ليقابل « ايدن » بنفسه مساء اليوم التالي ، وكانت نيته ان يعود الى باريس بعد المقابلة لاجتماع نهائي » ·

. . . .

. . . .

« كان « بن جوريون » قد سمح لي بان اقدم خطتي ، ولكني كنت ادرك انه سمح بذلك حتى لا يربط نفسه بشيء قبل ان تتضح امامه كل الحاقائق والمواقف· ومن هنا فقد كان حريصا طوال المناقشة علىان يشير الى خطتنـــــا بوصفهـــا « خطة ديان » ، وكانت خشيتي ان يكون تحفظه اكثر من مجرد موقف تكتيكـــي ازاء بريطانيا وفرنسا · وقبل ان اذهب الى الفراش رحت اراجـــع البرقيـات المرسلة الينا من اسرائيل ، وكانت احداها تخطرنا بان رئيس الوزراء المحتمـــل لتشكيل وزارة جديدة في الاردن قد يكون سليمان النابلسي ، وهو فلسطينـــــي معاد للبريطانيين ، سبق له ان اعلن عن نيته في الغاء المعاهدة البريطانية الاردنية كخطوة تسبق انضمام الاردن الى القيادة المصرية السورية المشتركة · وكانت هناك برقية اخرى تخطرنا بان خطوات قد اتخذت لتنسيق العمل بين الجيـــوش، وان هناك اليوم مؤتمرا لرؤساء اركان حرب مصر وسوريـا والاردن تحت رئاسة عبد الحكيم عامر · ولم يكن يعزيني عن هذه الانباء الا معرفتي بان « سلوين لويد» سوف يجدها في انتظاره على مكتبه في لندن تشجعه وتقويه ·

وكان علينا ان نزود « بينو » في رحلته الى لندن بصيغة نهائية ، ولكـــن « بن جوريون » لم يكن قد استقر قراره بعد · كان مجروحا من احساسه بـــان اسرائيل مرفوضة كشريك على قدم المساواة ، وكان ذلك موقف بريطانيا الـــذي راحت فرنسا تقترب منه ، وقد احزنه تردد زعماء فرنسا في مناقشة سياسةالشرق الاوسط معه · واجتمعنا في حجرته نبحث عما اذا كانت هناك مقترحات نستطيع تقديمها الى « بينو » قبل سفره ، واقترح « بيريز » ان نبعث بباخرة اسرائيليـــة من حيفا الى بورسعيد ، على اساس ان المصريين سوف يمنعونها يقينــــا مـــن

دخول قناة السويس · ورأى « بيريز » ان ذلك قد يكون مبررا كافيا لتدخل بريطاني فرنسي نلحقهم نحن فيه ، واستقبل « بن جوريون » الفكرة بصمت · وعدنا الى موضوع خلافاتنا مع البريطانيين ، وقلت لـ « بن جوريون » انه لا ينبغي لنا ان نعتبر دخولنا في الحرب بست وثلاثين ساعة قبل حلفائنا كارثة لا نستطيع مواجهتها ، ورد « بن جوريون » بانه يلاحظ ان البريطانيين لا يطلبون منا فقط ان نبدأ الحرب وحدنا ، ولكنهم يطلبون منا ان ندخل بقوة كبيرة وان نصل الى منطقة القناة · وكان رأيه ان وحدات المظليين الذين يمكن ان نقذفهم وراء خطوط العدو قد يجري تطويقهم ، وابدى مخاوفه بان تصبح خسائرنا كبيرة ، وقلت له انه اذا جاء اليوم الذي نحارب فيه وحدنا ، فان خسائرنا سوف تكون اكبر بكثير·

وعدت الى تحليل خطة عملياتنا امامه ، وكان رأيي انها تعطينا اكبر قدر من الامان ، وفي نفس الوقت تفي بالمطالب البريطانية · كان افتراضي اننا بعد الغروب في اليوم المحدد سوف نلقي كتيبة مظلات بالقرب من القناة في مكان يسمى متلا ،وفي نفس الليلة يتقدم لواء ميكانيكي لاحتلال نقط الحدود المصريةعند النقب والقسيمة ، ثم يندفع هذا الطابور الميكانيكي في اليوم التالي ليحتل التمد ونخلفي طريقه الى متلا لكي ينضم الى كتيبة المظلات في الممر ·

وطبقا لهذه الخطة،فاننا لن نضع سلاحنا الجوي في المعركة في اليوم الاول، وفيما عدا اسقاط المظليين فاننا يمكن ان نتصرف بطريقة لا توحي الى المصريين اننا بصدد عملية كبيرة ، لتقليل رد فعلهم ، اي اننا لن نهاجم المطارات المصرية ولن نشتبك في معارك جوية الا اذا هوجمت قواتنا البرية ، وبهذه الطريقة فان المعارك في اليوم الاول سوف تكون محدودة تماما ، وهذا سوف يشجع المصريين على اعتبار عمليتنا وكانها مجرد غارة واسعة النطاق لا ينبغي عليهم ان يردوا عليها بالحرب الشاملة ، وفي هذه الحالة قد لا يعبرون حدودنا ، وقد لا يقصفون مدننا ومطاراتنا ·

كان رايي ان هذه الخطة سوف ترضي البريطانيين لا نها تتضمن كل العناصر التي طلبوها :

قواتنا سوف تعمل بالقرب من القناة ، فممر متلا يبعد ثلاثين ميلا عن السويس ، ثم ان القوات سوف تكون كبيرة لدرجة تسمح لها بان تقوم بما يسميه البريطانيون « عملا حقيقيا من اعمال الحرب » ، فهي تشتمل على لواء مدرع وكتيبة مظلات ومجموعة اسراب جوية ، ثم ان احتلال المواقع المبينة في خطتنا في الليلة الاولى كان يمكن اعتباره ايضا بداية طبية لعمل جيشنا ، لان هدفنا السياسي الاول من المعركة كان الوصول الى شرم الشيخ عند الطرف الجنوبي لسيناء · وبعد تدخل حلفائنا فسوف يصبح علينا ان نندفع في اتجاه الجنوب ·ولم اكن اتوقع ان يقوم المصريون بهجوم مضاد في الليلة الاولى ، حتى يستطيعوا

تقدير نوايانا ، ومعنى ذلك ان مدة بقائنا وحدنا في ميدان القتال لن تزيد على يوم واحـــــد » ٠

. . . . . .

. . . . . .

« كان « بن جوريون » يستمع الى ما قدمت له من تفاصيل الخطة ، ولم يبد اي تعليق ، وسألته عما اذا كان ينبغي ان اقدم مقترحاته الى « بينو » ، فوافـق على اساس ان ابين انها ما زالت اقتراحات مني لا تربطه بشيء نهائي ، ولكـــي يجعل هذا المعنى واضحا فانه ذهب الى سريره بينما ذهبنا ــ بيريز وانا ــ للاجتماع بـ « بينو » و « بيرجس مانوري » وكان غياب « بن جوريون » تأكيدا لحقيقـــة ان مقترحاتي لم تصبح بعد رسمية ٠ وعرضت خطتي ومعها قائمة بطلبـــات اسرائيل الاضافية مما تستلزمه هذه الخطة ، وعندما انتهيت طلب منـي « بينو » ان اعيد مقترحاتي لكي يأخذها كتابة ، وعندما فرغ من ذلك اعاد قراءتها علـي قائلا انها سوف تكون مرجعه عندما يتحدث الليلة مع « ايدن » ، ولفت نظره الى ان هذه كانت مقترحات من جانبي لم تحظ بعد بالتصديق النهائي مـــن « بـن جوريون » ، وأشار « بينو » بيده وقال « اعرف ٠٠ اعرف طريقتكم في العمل » ، وحسدته على ثقته بنا ٠ وتركنا « بينو » الى لندن ، وعدت مع « بيريز » الـــى فندقنا ٠

. . . .

. . . .

« وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من اليوم التالي ٢٤ اكتوبر دعينا ــ شيمون بيريز وانا ــ الى مقابلة « بن جوريون » لمشاورات اخيرة ، وحين دخلنـا الى الفيلا التي كان يقيم فيها وجدناه جالسا يستمتع بشمس الخريف فـي ركـن منها ، وطلب مني ان اعيد عليه تفاصيل خطة العمليات التي اقترحها ، وكنـت احتاج الى خريطة ، ولم تكن هناك خريطة ، وطلبت قطعة من الورق ، ولم نعثـر على قطعة ورق قريبة ، واعطاني « شيمون بيريز » علبة سجائره ، ورسمت عليها المثلث الشهير لسيناء ، ورحت اشرح خطتي ، واخرج « بن جوريون » من جيبـه ورقة كان قد سجل عليها بعض الاسئلة استعدادا لاجتماعنا وبينما كـان يقـرأ اسئلته ، بدأت اشعر بالراحة ، كان الان يسأل عن « كيف » ؟ و «ماذا» ؟ و«متى» اذن فهو يقترب من قبول الخطوط العريضة لاقتراحاته ويسأل الان عن التفاصيل، ويمكن تصور اسئلته من الاجابات التي اعطيتها :

● ساعة الصفر للجيش الاسرائيلي يمكن ان تكون ٥ مساء يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ٠

● التدخل البريطاني الفرنسي في العمليات يجيء يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر ·

● فور رفض مصر الانذار البريطاني الفرنسي يبدأ ضرب المطارات المصرية فجر يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر ، وفي يوم الجمعة ٢ نوفمبر تنزل على الشواطىء المصرية مجموعة لواءين من القوات الفرنسية ·

● طبقا لما فهمت فان حجم القوات البريطانية والفرنسية سوف يكون في حدود اربع فرق من المشاة والمدرعات ، واربعمائة مقاتلة ، ومائة وعشرين قاذفة قنابل ·

● لا اعرف اذا كان في نيتهم السيطرة على جانبي القناة ، او الاكتفاء بالشاطىء الغربي فقط ·

● فيما يتعلق باحتمال زحفهم على القاهرة اذا اصبح ذلك ضروريا ـ لا اعرف ·

● قال لنا الفرنسيون ان قواتهم سوف تبقى مع القوات البريطانية في منطقة قناة السويس ، ولن يسمحوا للقوات المصرية بالعبور الى الشرق او للقوات الاسرائيلية بالعبور الى الغرب ·

● فيما يتعلق بخططهم لمستقبل سيناء ، فكل ما اعرفه هو ما قاله لي « سلوين لويد » الذي كان بجانبي على العشاء : « آمل ان لا تراودكم احلام في استغلال الفرصة بضم سيناء » ·

● لا استطيع ان اقطع بما اذا كان نظام ناصر سوف يسقط ويقوم بدلا منه نظام جديد ·

● فيما يتعلق باستعداد بريطانيا لضمان حياد الاردن والعراق ، فان « سلوين لويد » قال لي ان بريطانيا لا تحبذ قيام اسرائيل بهجوم ضدهما ، ولكن اذا هوجمنا من الاردن ورددنا على الهجوم بالمثل ، فان بريطانيا لن تتدخل ·

● فيما يتعلق بالسماح لنا باحتلال مضيق تيران ، فان الفرنسيين اجابونا بقولهم « بكل تأكيد » ، ثم اكدوا لنا ان ان البريطانيين لا يهمهم اذا كنا نحتل اية مناطق في سيناء شرق القناة · وقد اخبرني سكرتير « سلوين لويد » ان البريطانيين لا يمانعون في اجراء تعديلات محدودة على الحدود ضمن اطار الحملة ·

● فيما يتعلق بحجم القوات التي يمكن اسقاطها بالمظلات قرب قناة السويس يوم بدء العمليات ، فإنها يجب ان لا تقل في رايي عن كتيبة، مع انني اعتقد ان البريطانيين سوف يلحون في أن تكون في حجم لواء ·

● فيما يتعلق بقطاع غزة ورفح ، فاننا سوف نؤخر احتلالهما حتى نعطي القوات المصرية فترة لهضم الاحداث التي تقع في منطقة قناة السويس ·
وانتهت مشاوراتنا في الساعة الثانية بعد الظهر ···

و في الساعة الرابعة بعد الظهر عاد « بينو » من لندن ، ودعينا على الفور الى غرفة الاجتماعات ، واعلن علينا « بينو » ان وفدا بريطانيا سوف ينضم الينا في ظرف ساعة واحدة ، وانه يعتقد بامكانية الوصول الى اتفاق نهائي · لقد قابل « ايدن » ووجده ــ كما كان يأمل ــ اشد حماسة من « لويد » ·

ولخص لنا « بينو » نتائج محادثاته في لندن على النحو التالي :

● فيما يتعلق بالمبرر الذي يطلبه البريطانيون ، فقد قال لنا انهم اصروا على ان تكون عمليتنا الاولى في الحرب « عملا من اعمال الحرب الشاملة » ·

● وافق البريطانيون على تقديم الجدول الزمني ، بحيث يدخلون المعركة مساء يوم ٣٠ اكتوبر ·

● وافق البريطانيون على اعادة صياغة الانذار بحيث يتضمن فقرة تطالب بوقف اطلاق النار ، بحيث يصبح اقدام الطيران المصري على قصف اهداف اسرائيلية وكأنه خرق لشروط الانذار ·

● بالاضافة الى ذلك فقد تقرر ان يحوى الانذار طلبا بالسماح للقوات البريطانية والفرنسية بدخول منطقة قناة السويس ·· وكان لا بد ان يرفض المصريون الموافقة على ذلك ، وكان هذا معناه انه اصبح مستحيلا على مصر ان تقبل الانذار ·

● حذفت كلمة « انذار » واستُعيض عنها بكلمة « نداء » ، اي ان اسرائيل لن يطلب منها سواء في الصياغة او في المضمون غير ان توقف اطلاق النار وان تبتعد عن القناة » ·

. . . .
. . . .

« وفي الساعة الرابعة والنصف وصل الوفد البريطاني ، وكان مكونا من مستر « لوجان » الذي كانوا قدموه لنا في اليوم السابق على انه سكرتير « سلوين لويد » ، وجاء معه كرئيس للوفد « سكرتير آخر » هو « باتريك دين » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية · وكان تخفيض الوفد البريطاني الى هذا المستوى من التمثيل ملفتا للنظر ، ولكني من ناحية عملية لم اعتبر ان غياب«سلوين

لويد» خسارة كبيرة ٠

وبدأ « بينو » الاجتماع بعرض كل المسائل كما وافق عليها الاطراف ، واثار « بن جوريون » مسالة مساعدة بريطانيا للاردن اذا ما هاجم اسرائيل تضامنا مع مصر ، ثم اضاف فأعلن نوايانا فيما يتعلق بالاحتلال الاسرائيلي لمضايق تيران التي وصفها بانها « قناة سويس اسرائيل » ٠ وسألنا البريطانيون عن خطتنا للعمليات ، ولم اشأ ان افضي بتفاصيل كثيرة ، وقلت اننا سوف نفي بالتزاماتنا في الزمان وفي المكان وبحجم القوات ٠ وفي الساعة الخامسة بعد الظهر شكلت لجنة صياغة محدودة شاركت فيها نيابة عن اسرائيل ، وعندما انتهت اللجنة من اعمالها بدأنا نسمع في غرفة مجاورة دقات الالات الكاتبة ٠

كانت مبادىء ونصوص الاتفاقية التي توصلنا اليها كما يلي :

● في مساء يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ تقوم القوات الاسرائيلية بشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية ، بهدف الوصول الى منطقة قناة السويس في اليوم التالي ٠

● عندما تعرف الحكومتان البريطانية والفرنسية بهذه التطورات ، فانهما سوف توجهان يوم ٣٠ اكتوبر نداء بالتوازي الى الحكومتين المصرية والاسرائيلية يتضمن المعاني التالية :

الى حكومة مصر :

ـ وقف اطلاق نار كامل ٠

ـ سحب كل القوات المسلحة الى مسافة عشرة اميال بعيدا عن قناة السويس

ـ القبول بصفة مؤقتة باحتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية فرنسية ، وذلك لضمان حرية المرور في القناة لكل البواخر من كل الامم ، والى حين وصول ترتيبات نهائية مضمونة ٠

الى حكومة اسرائيل :

ـ وقف اطلاق نار كامل ٠

ـ سحب قواتها المسلحة مسافة عشرة اميال الى الشرق من القناة ٠

● تخطر الحكومة الاسرائيلية بان الحكومتين البريطانية والفرنسية قد طلبتا الى حكومة مصر ان توافق على الاحتلال المؤقت للنقط الرئيسية على قناة السويس بواسطة قوات بريطانية فرنسية ، واذا رفضت اي من الحكومتين هذا

النداء ، او اذا تأخرت في اعلان موافقتها عليه خلال اثنتي عشرة ساعة ، فان القوات البريطانية الفرنسية سوف تتخذ الاجراءات الضرورية للتأكد من قبول طلباتها ·

● ان حكومة اسرائيل لن تكون مطالبة بقبول شروط النداء المرسل اليها في حالة ما اذا تأخرت الحكومة المصرية في قبول النداء الذي سوف تتسلمه ·

● اذا لم تستجب الحكومة المصرية الى شروط النداء في الموعد المحدد فان القوات البريطانية الفرنسية سوف تقوم بالهجوم على القوات المصرية في الساعات الاولى من صباح ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ·

● للحكومة الاسرائيلية ان تبعث بقواتها لاحتلال الشواطىء الشرقية لخليج العقبة وجزر تيران وصنافير ، لكي تضمن حرية الملاحة في الخليج ·

● ان اسرائيل لن تقوم بمهاجمة الاردن في فترة العمليات ضد مصر ، واذا حدث ان قام الاردن بمهاجمة اسرائيل خلال هذه الفترة ، فان الحكومة البريطانية لن تساعد الاردن » ·

· · · · · ·
· · · · · ·

« كان « بن جوريون » متوترا ، ولم يكن يبذل اي مجهود لاخفاء توتره · وقرأ المواد المكتوبة في الخطة بعناية فائقة ، واعاد قراءتها ، وكان يفتل حواجبه بشدة وهو يتمتم لنفسه بكل كلمة في الاتفاقية · ثم راح يطوي الورقة بعناية ووضعها في الجيب الداخلي لجاكتته ·

كانت الاهمية القصوى للاتفاقية هي مجرد وجودها · لقد حددت خطوات كل طرف من الاطراف في تمثيل العملية ، وحددت اهداف كل منهم ·

وفي موضوع الاهداف ، فلم يكن هناك توازن بين الاهداف البريطانية الفرنسية من السيطرة على قناة السويس لضمان حرية الملاحة فيها ، وبين هدف اسرائيل من السيطرة على خليج العقبة وجزر تيران وصنافير لضمان حرية الملاحة في هذا الممر المائي · كان الفارق الاساسي هو ان الاحتلال البريطاني الفرنسي لمنطقة القناة قد وصف بانه مؤقت ، واما احتلال اسرائيل لشواطىء خليج العقبة فانه لم يوصف بانه مؤقت ·

وخرجت من قاعة الاجتماع وذهبت الى غرفة « بن جوريون » ، وكتبت برقية عاجلة جدا الى مدير العمليات في الجيش الاسرائيلي ، نصها :

« سوف تنفذ العملية قادش باسرع وقت · تتم التعبئة على الفور · تأكد من سرية التعبئة . إبدأ بتنفيذ خطة الخداع لخلق الإنطباع بأن التعبئة موجَّهة

ضد الاردن بسبب دخول قوات عراقية اليه · سوف نغادر هنا منتصف الليل · نصل صباح الغد » ·

وعندما عدت الى قاعة الاجتماع وجدت الكل واقفين حول المائدة يشدهم جو من التوتر العصبي لا يعرفون كيف يخلصون انفسهم منه ، ولا الى اين يتجهون · لم يكن التخطيط لهذه العملية من النوع الذي ينتهي بتلامس الاقداح وشرب الانخاب ، وعلى اي حال فقد كان هناك احساس بان عملا مفيدا قد تم انجازه ، ولكن كل المشتركين فيه يريدون الان ان يخرجوا من القاعة التي أبرموه فيها ، لان جوها اصبح اثقل مما يستطيعون احتماله ··· وكان البريطانيون هم اول الخارجين بعد ان تمتموا بعبارات غير مسموعة قصدوا ان تكون تعبيرا مرحا في الوداع ، ولكن احدا لم يضحك » !

□

وهكذا تنتهي رواية « ديان » ··· اعترافاته الكاملة عن فصل « التواطؤ » ضمن قصة السويس ·

وربما يعنيني هنا سؤال واحد :

ـ لقد رأينا من كل ما رواه « ديان » مبلغ حرص اسرائيل على ان لا تواجه حربا وحدها مع مصر ··· ورأينا اصرارها على ان يكون غيرها معها قبل ان تخطو خطوة واحدة ·

والسؤال الذي يلح علي الان :

ـ هل كانت اسرائيل وحدها عندما تحركت سنة ١٩٦٧ ··· ومن كان معها؟

ويلفت انظارنا هنا انه عندما تولى الكونجرس الامريكي عملية التحقيق في مغامرات وكالة المخابرات المركزية الامريكية في العالم ، فان احدا لم يقترب من نشاط هذه الوكالة في الشرق الاوسط ·

لقد جرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص كوبا ·

وجرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص شيلي ·

وجرى التحقيق ، ونشرت نتائج التحقيق ، فيما يخص فيتنام ·

واما الشرق الاوسط ، فلا تحقيق ، أو على الاقل لا نشر ، وانما صمت كامل مطبق ·

وفرغ السناتور تشرش رئيس لجنة الكونجرس للتحقيق في نشاط وكالة المخابرات الامريكية من تحقيقاته ، وكان اول شيء في برنامجه بعد انتهاء التحقيقات ان يقوم بزيارة لاسرائيل !!

الحديث السادس عشر :

صورة عامّة لمعارك السويس

وجاءت الحرب يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ·

بدأ تنفيذ معاهدة « سيفر » بعد اربعة ايام من توقيعها ، ففي الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك لواء ميكانيكي اسرائيلي في اتجاه منطقة الكونتيلا، ومع اخر ضوء تم اسقاط كتيبة مظلات اسرائيلية في منطقة سدر الحيطان في ممر ميتلا ·

وعرف جمال عبد الناصر بنبأ الهجوم من بيان رسمي اسرائيلي اذيع من تل ابيب ، يعلن قيام وحدات عسكرية اسرائيلية بمهاجمة الكونتيلا ·

كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد ، وسلمت اليه برقية وكالة « يونايتد برس » تنقل البيان الرسمي الاسرائيلي ، وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها الى عبد الحكيم عامر ، وكان يحضر حفل عيد الميلاد ، وخرج الاثنان من القاعة المليئة بالاطفال ، وتوجها الى غرفة مكتب عبد الناصر ، ومن هناك راح عبد الحكيم عامر يتصل بمقر القيادة العسكرية المصرية في كوبري القبة ، ولم تكن الوحدات المصرية في الميدان قد ابلغت بعد عن حدوث شيء ·

□

هل توقع عبد الناصر في تلك الساعات حجم العملية ··· او هل جال في ذهنه احتمال « التواطؤ » ؟

اكاد اقول انه حتى تلك اللحظة كان يستبعد من ذهنه احتمالات التواطؤ ، ثم ان الطريقة التي بدأت بها العملية لم تنقل اليه الاحساس بانه امام شيء خطير ·

كانت لديه تحفظاته التي تجعله يقطع بان بريطانيا بالذات لديها من الروادع ما يصدها عن الاشتراك مع اسرائيل في عمل عسكري ضد مصر ·

وكان تحت تصور ان مشكلة قناة السويس ــ بعد مناقشات مجلس الامن وموافقته على النقاط الستّ ــ في طريقها الى حل سياسي عندما يجتمع الدكتور محمود فوزي مع سلوين لويد وكريستيان بينو في جنيف بحضور همرشولد ،

وكان مقررا لهذا الاجتماع يوم ٢٩ اكتوبر ··· يوم بداية الهجوم الاسرائيلي ·

واتذكر انني كنت مساء يوم ٢٩ اكتوبر في فندق مينا هاوس ضيف عشاء

مبكر على سفير اليونان في القاهرة وقتها ، ووصلت الى فندق مينا هاوس ، ثم اتصلت كالعادة بمكتبي اسأل عن اخر التطورات ، وعرفت بالبيان الاسرائيلي، وقرىء علي في التليفون نصه ·

واتذكر انني من كابينة التليفون في مينا هاوس طلبت خطا خارجيا وأدرت بيدي رقم تليفون مكتب جمال عبد الناصر، وكان هو الذي رد علي، وكانت الساعة حوالي السابعة والنصف ، وقال لي ان بيانا اسرائيليا ثانيا قد صدر هذه اللحظة وفيه اشارة الى ان القوات الاسرائيلية تعمل بالقرب من قناة السويس ، وكانت هذه العبارة قد لفتت نظره ، ولم تكن الاخبار قد جاءت بعد عن نزول قوات مظليين في سدر الحيطان ، وكرر في التليفون مرتين تعجبه من رنين عبارة « منطقة قناة السويس » في البيان الاسرائيلي ، وسألته « اذا كان يريدني ان اذهب اليه ؟ » وكان تعليقه « عندما تفرغ من عشائك مر علي » ·

وعدت الى السفير اليوناني ورويت له اخر الانباء ، وكان تقديره ان العملية لا تزيد عن ان تكون واحدة من تلك الغارات الاسرائيلية على مراكز الحدود المصرية ، وربما كان نطاقها هذه المرة اكبر ، تعبيرا عن غيظ اسرائيل من قرب تسوية ازمة قناة السويس مع بريطانيا وفرنسا ·

ولم يدخل تفسير السفير اليوناني في عقلي ، وبعد دقائق وجدتني اقول له بصراحة انني سوف اتركه وحده لعشائه ، اما انا فاشعر انه لا بد لي ان اذهب الى حيث استطيع متابعة ما يجري ·

وحاول الرجل اقناعي بالبقاء لعشاء سريع ، واصررت وخرجت وخرج معي هو الاخر في اللحظة التي كان عشاؤنا يدخل فيها قاعة الطعام الشرقية في مينا هاوس القديم ، ولا اعرف ماذا قال الذين جاءوا بالعشاء فوجدوا الذين طلبوه يهرولون الى باب الخروج !

وذهبت الى بيت جمال عبد الناصر ، ولكنه كان قد غادره متوجها الى القيادة العامة للقوات المسلحة ، تاركا لي اشارة بان الحق به هناك ·

وفي القيادة العامة كانت الصورة تتضح ، فقد بدات التقارير تتوالى عن حجم قوة الهجوم على الكونتيلا ونخل وتمد ، كما ان معركة حامية الوطيس كانت تدور في سدر الحيطان ، فقد اصطدمت كتيبة مصرية بكتيبة المظلات الاسرائيلية التي نزلت في ممر ميتلا ، وكان موقف المظليين الاسرائيليين في منتهى الحَرَج ، وكانت خسائرهم عالية جدا وباكثر مما هو محتمل ـ طبقا لمذكرات موشى ديان نفسه ·

□

كان الموقف العسكري في سيناء مكشوفا لان القوات المصرية قد امـــرت بالانسحاب منها عندما كان التهديد البريطاني الفرنسي بالنزول في منطقة قناة السويس قائما ، وعندما كانت ازمة السويس على اشدها في الفترة ما بيـــن اغسطس الى منتصف اكتوبر ١٩٥٦ ٠

كان جمال عبد الناصر يخشى مع وجود قوات كبيرة في سيناء ان تتبعثـر قوة الجيش المصري بين الصحراء ومنطقة القناة ، ثم ان يتم عزل قوات سينـاء اذا وقع انزال بريطاني فرنسي في بور سعيد ، وهكذا لم يكن باقيا في سينـــــاء غير ثمانـي كتائب ، اثنتان في ابو عجيلة ، واثنتان في رفح ، واثنتان في العريش، وكتيبة واحدة في ممر ميتلا (ذهبت في اخر لحظة) ، وكتيبة في شرم الشيخ ٠

واعتقد ان احتمال التواطؤ كان ما زال بعيدا عن الاذهان ، حتى عندمـــا اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة تلك الليلة في كوبري القبة برئاسة جمال عبد الناصر ، والدليل على ذلك هو ان القرار في تلك الليلة كان هو « ملاقـــاة الهجوم الاسرائيلي في وسط سيناء في منطقة بير روض سالم ، وتوجيه الضربة الرئيسية اليه هناك بواسطة الفرقة الرابعة المدرعة » ، التي كانت قد بدات تتحرك في اتجاه قناة السويس تعبرها تحت الظلام !

وكان جمال عبد الناصر حتى ظهر يوم ٣٠ اكتوبر ـ الثلاثاء ـ ما زال يستبعد التواطؤ ، فقد اتصل بي ظهر اليوم يطلب مني ان اتوجه الى مقابلة السفير الامريكي « ريموند هير » وانقل اليه على لسان الرئيس ان « طائرة بريطانية مـن طراز كانبيرا شوهدت قبل ساعة فوق منطقة بحيرة البردويل ، ومن الواضح انها كانت تحاول القيام بعملية استطلاع فوق ارض المعركة ، وان مثل هــــذا التصرف مثير للشكوك والريب » ٠

وفعلت ما طلبه مني جمال عبد الناصر ، ولكني تركت السفير الامريكـــي « ريموند هير » وراسي مليء بالوساوس ، فقد سمعت منه ان امرا قد صـــدر اليه من واشنطن بترحيل كل الرعايا الامريكيين من مصر حفاظا على سلامتهم ، ونقلت ما عرفت الى جمال عبد الناصر ، وهكذا فاني لم ابدد شكوكـــا بـــدأت تساوره ، وانما اضفت الى الشكوك ٠٠٠ شكوكاً !

وفي الساعة الرابعة لم يبق مجال للشك ، فقد جاء الانذار البريطانــــي الفرنسي يطلب الى مصر ان تبتعد بقواتها عشرة اميال الى الغرب من القنـــاة ، وان تسمح بنزول قوات بريطانية فرنسية تحتل المراكز الرئيسية في منطقة قناة السويس ، حتى يتم الوصول الى تسوية سلمية تضمن حرية الملاحة لجميـــــع الدول ٠

□

وكان يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر يوما من اعظم الايام في حياة جمال عبد الناصر ٠

كانت الكتائب المصرية في ابو عجيلة ورفح والعريش تقاتل معركة رائعة، واستطاع موقع ابو عجيلة وحده ان يوقف تقدم اللواء الاسرائيلي المدرع السابع، وان يكبده خسائر عالية ، واضطر ديان بنفسه ان يذهب الى قيادة اللواء المدرع السابع ليتعجل قيامه بمهمته ، وهي اقتحام ابو عجيلة ، بل ان ديان ــ طبقا لما يقوله هو نفسه في مذكراته ــ عزل قائد اللواء السابع وعين قائدا جديدا له٠

وكانت القوات المصرية تتدفق الى سيناء لملاقاة الهجوم الاسرائيلي وضربه

طبقا للخطة في منطقة بير روض سالم ، وكانت الفرقة المدرعة الرابعة طليعة هذه القوات الزاحفة الى سيناء ٠

وكان قد رفض الانذار البريطاني الفرنسي ٠

وكانت السفارة البريطانية في القاهرة منقسمة على نفسها ٠ كان السفير السير « همفري تريفليان » ــ لورد تريفليان فيما بعد ــ يعتقد ان عبد الناصر سوف يقاوم الى النهاية ٠

وكان المستر « تريفور ايفانز » المستشار الشرقي فيها يعتقد ان مجرد توجيه انذار بريطاني فرنسي سوف يرغم جمال عبد الناصر على التراجع ، واذا اصر على المقاومة فان المظاهرات سوف تخرج الى الشوارع لتسقط النظام المصري من اساسه ، وتجيء بنظام جديد يستطيع البريطانيون والفرنسيون ان يتعاملوا معه ٠

وفرضت قيود على السفارة البريطانية ، فلم تكن على اتصال بما يجري في « البلد » ــ على حد قول « تريفور ايفانز » لي فيما بعد ــ وكان قد اصبح سفيرا في الجزائر ، ولكن ذكريات تلك الايام كانت تشده دواما الى الحديث عنها ٠

وكانت الحراسة قد فرضت ايضا على الرعايا البريطانيين ، تحسبا لكل احتمال ٠

واتذكر واقعة صغيرة تبدو بعيدة عن الحوادث ، ولكنها اكثر من غيرها تعطي صورة لثبات جمال عبد الناصر ذلك اليوم وقوة اعصابه ٠

ففي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاربعاء ٣١ اكتوبر اتصل بي السفير الامريكي « ريموند هير » يقول لي :

ـ انني اسف لازعاجك في هذه الساعات بطلب يبدو سخيفا ، ولكني اتصور انك تستطيع فهمي ··· انت تعرف الاستاذ كرسويل » ·

وقلت انني اعرف الاستاذ كرسويل واتابع عمله الجليل في دراسة الاثار الاسلامية في مصر بالتعاون مع جامعة اوكسفورد ·

وقال ريموند هير :

ـ ان « كرسويل » وضع تحت الحراسة شانه شان كل الرعايا البريطانيين، وقد جاءني الان ، وهو يخشى على مكتبته وعلى اوراقه في بيته بحي الجمالية ، الذي يقيم فيه من خمسين سنة ، وهو يعتقد ان الحراسة قد لا تقدر ما يفعله ، وقد تضيع كتبه واوراقه وجهد خمسين سنة ، وقد جاءني يعرض ايداع مكتبته بصفة مؤقتة في الجامعة الامريكية في القاهرة ، ويمكن ان يتم ذلك باشراف الحراسة ، ولكن المهم ان تحفظ هذه الذخيرة الاسلامية من الضياع ، حتى تنجلي الظروف » ·

وقلت لريموند هير انني سافعل كل ما في وسعي ، وقال لي انه سوف يبعث الي بالاستاذ كرسويل ليشرح لي الموضوع ·

وترددت قليلا : ان احدا لن يسمح لاحد في هذه اللحظات ، الا اذا عزز ما يقوله بأمر صريح من جمال عبد الناصر ، فهل استطيع ازعاج الرجل في هذه اللحظة بمثل هذه القضية ، ولكني في نفس الوقت كنت اعتقد بالقيمة الكبرى لمكتبة كرسويل واوراقه ، فماذا اصنع ؟ »

وغالبت ترددي وطلبت جمال عبد الناصر ، ولكنه كان مشغولا بموعد مع السفير الاندونيسي في القاهرة جاءه يحمل رسالة من الرئيس احمد سوكارنو، وتركت له رجاء بان يتصل بي فور فراغه من المقابلة ·

وفي الساعة السادسة الا دقائق قليلة جاء من يقول لي ان الاستاذ كرسويل ـ عمره وقتها ٨٢ سنة ـ وصل وهو يطلب مقابلتي ·

وفجاة دوت صفارات الانذار ··· كان الطيران البريطاني ـ باسطول ضخم من قاذفات « الكانبيرا » ـ قد بدأ يقصف المطارات المصرية حول القاهرة، واستمرت الغارة نصف ساعة ، ثم اعلنت صفارات الامان ، ودعوت الاستاذ كرسويل ليجيء الى مكتبي ، ودخل الرجل يتعثر في خطاه ، ويقف امامي وقبعته العتيقة في يد وعصاه التي يتوكأ عليها في يده الاخرى ··· ثم يتلعثم ويقول بصوت خفيض مرتعش :

– اني حزين من اجل بريطانيا يا سيدي » ·

وراح الرجل يشرح لي يائسا قصة خوفه على مكتبته ومجموعة اوراقه·

ودق جرس التليفون لاسمع صوت جمال عبد الناصر يقول لي ما معناه « لقد انكشفت العملية بكل ابعادها الان ··· نحن امام تواطؤ صريح ··· غريبة ، لم يخطر لي مطلقا ان ايدن يمكن ان يشترك في لعبة مع اسرائيل · كيف لم يخطر لي ؟ لقد سمعت ازيز الطائرات وانا جالس مع السفير الاندونيسي ، وكان صوت قاذفات ، وتركته الى سطح البيت ، وشاهدت القصف على مطار الماظة ··· كانت الطائرات قاذفات بعيدة المدى ··· « كانبيرا » بريطانية في الغالب ··· وعلى العموم فلا احد يملك في المنطقة قاذفات بعيدة المدى غير الانجليز » ·

وتوقف جمال عبد الناصر لحظة ،ثم قال لي :

– كنت قد سالت عني ··· فهل هناك شيء ؟ »

قلت :

– كان هناك شيء ، واظن انه قد فات اوانه ، وان كنت ما زلت اتمنى ان تفعل شيئا فيه » ·

وسالني ، وقلت له ، وكان رده بسرعة :

– انني موافق ، ولا اريد ان تضيع مكتبة على هذا النحو الذي تصفه في سراديب الحراسة ، ولك ان تتصل بالدكتور القيسوني – وزير المالية المشرف على اجراءات الحراسة في ذلك الوقت – وتنقل اليه موافقتي » ·

وتحدثنا في امور اخرى ، واتفقنا على ان الحق به في القيادة العامة للقوات المسلحة بعد قليل ·

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى الاستاذ كرسويل اقول له :
– لقد تم انقاذ مكتبتك واوراقك » ·

وكان الرجل لا يصدق اذنيه ، وقلت له ان الذي كان معي على التليفون هو جمال عبد الناصر ، وقد نقلت اليه طلبك ووافق عليه » ·

ونظر الي كرسويل ، وفي ثوان كانت الدموع تملأ عينيه ، وسالني :

– في هذه اللحظة التي كان دوي القنابل فيها يملا اذنيه ؟ هل كانت لديه القدرة في هذه اللحظة على ان يسمع نداءواهيا هو في الحقيقة نداء

الحضارة ٠٠؟ انني لا اريد مكتبتي واوراقي لنفسي ، ولكني اريدها ان تبقى لانها تضم اكبر جهد انساني مركز حول الآثار الاسلامية في مصر » ٠

واستطرد كرسويل يقول :

ـ ما زال الشرق قادرا على ان يعلمنا المدنية رغم ادعاءاتنا في الغرب ٠٠٠ سوف يعرف الناس يوما ما حدث هذه اللحظة ،وسوف يعلمون من هم الهمج البرابرة ، ومن هم المتحضرون المتمدنون » !

□

وكان جمال عبد الناصر في مقر قيادة القوات المسلحة في كوبري القبة يواجه مواقف بالغة العنف ٠

دخل هو الى القيادة وفي ذهنه ان الانسحاب الكامل من سيناء ضروري حتى لا تقع كارثة كان يخشاها ويتحسب لها ، وكان عبد الحكيم عامر يعارض قرار الانسحاب من سيناء ، وحاول عبد الناصر ان يتكلم بهدوء في بداية الامر ويقول لعبد الحكيم عامر :

ـ الا ترى ان استمرار تدفق قواتنا على سيناء معناه اننا نجري باقصى سرعة لكي نضع انفسنا في فخ ؟

ان قواتنا سوف تجد نفسها والاسرائيليون امامها والانجليز والفرنسيون وراءها ، ولا بد من تجميع القوات كلها في منطقة قناة السويس والى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا ، وبعدها يكون امر اسرائيل سهلا » ٠

ويقاوم عبد الحكيم عامر لاسباب عاطفية قرار الانسحاب ، ويصر جمال عبد الناصر ، ويبعث الاشارات موقعة منه الى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء يأمرهم فيها بالانسحاب٠

ويتوافد جمع من اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ومن الوزراء الى مبنى القيادة ، ومن بينهم صلاح سالم ـ يرحمه الله ـ ويرى صلاح سالم ان الاصرار على رفض الانذارمع بداية التدخل العسكري البريطاني الفرنسي هو امر لا يمكن لمصر ان تحتمله ، ويقول لجمال عبد الناصر :

ـ ان بريطانيا وفرنسا اعلنتا انهما لا تعاديان الشعب المصري وانما معركتهما معك انت ، وانا ارى انك قدمت لمصر خدمات عظيمة واجدك اليوم مطالبا بخدمة اخرى سوف يذكرها لك التاريخ ، وهي ان تذهب الى السفارة

البريطانية فتسلم نفسك وتنقذ البلاد من اهوال التدخل البريطاني الفرنسي ،فضلا عن اسرائيل » ٠

ويصعق جمال عبد الناصر لهذا الاقتراح ، ويقول « انه لو كان الامر متعلقا به شخصيا لفعل ذلك فداء لمصر ، ولكن الامر اكبر من ذلك ٠٠٠ فهو الان امر ارادة مصر المستقلة وكرامتها ٠ »

ثم يترك جمال عبد الناصر هذا كله ، ويلتفت الى تنظيم مقاومة للغزو ، وكانت خطته على النحو التالي :

١ ـ ان الكتائب الاصلية الثمان التي كانت موجودة في سيناء من الاصل عليها ان تقاوم مهما كان الثمن ، وحتى الى اخر رجل واخر طلقة ، لمدة ثمانية واربعين ساعة ، وذلك حتى توقف تقدم الجيش الاسرائيلي في سيناء ، فلا تشتبك مع القوات المتدفقة عليها بينما هي الان تحاول الانسحاب عائدة الى غرب قناة السويس ٠

٢ ـ على كل القوات المتدفقة عبر قناة السويس الى الشرق ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، ان تكمل انسحابها من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة ، مهماكان الثمن ، وعليها ان تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا ، لتكون مستعدة لمواصلة القتال مع العدو على الجبهة الرئيسية للمعركة٠

٣ ـ تعطيل الملاحة في قناة السويس ، ونسف بعض السفن المحملة بالاسمنت فيها وسط المجرى الملاحي ، ووضع كل غزاة القناة امام امر واقع جديد ٠

٤ ـ على الطيران المصري ان لايشتبك مع العدو لان المعركة غير متكافئة، وليس مهما تدمير الطائرات المصرية ، وانما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين ، وعددهم محدود ، واذا تمكن العدو من اصطيادهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها ، وقتلهم ، فسوف تمر عشر سنوات قبل ان يكون لمصر طيارين قادرين على العمل ، والاوضاع الحالية لا تترك للطير ن المصري فرصة، فامامه قرابة الف طائرة بريطانية فرنسية اسرائلية، وليس لمصر اكثر من مائة وعشرين طيارا مدربا ، ولسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوما وتبقى اسرائيل امامنا ، ولا نستطيع ان نواجهها بغيرطيارين ٠

٥ ـ الاستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الاحتلال ، حتى لو توقفت الحرب المنظمة واستطاعت قوات الغزو ان تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري٠

وتم ما طلبه جمال عبد الناصر ٠

● استطاعت الكتائب المصرية الثمان في سيناء ان تقا ل وان تصمد في قتالها على مدى الثماني والأربعين ساعة المطلوبة منها، ولم تستطع القوات الاسرائيلية ان تتقدم على محاور سيناء الاربعة الا بعد ان توقفت مقاومة هذه الكتائب ـ بعد الموعد المقرر لها ـ وبدأ انسحابها ، وكان رأي قادتها انها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، خصوصا وانها ابلت في القتال بلاء حسنا، وهكذا كان الامر لها « كل رجل على مسؤوليته » ٠

● عادت القوات التي كانت تتدفق على سيناء ،وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، وكان الطيران البريطاني الفرنسي قد ركز عليها لتدميرها اثناء انسحابها ، ولكنه لم ينجح الا في اصابة بعض مركباتها الخفيفة ، واما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة الى مواقعها الجديدة .

● تم تعطيل قناة السويس ، وتوقف شريانها الحيوي عن الضخ ، ووجد الذين كانوا يحاولون ضمان حرية الملاحة في القناة ان القناة توقف نبضها ٠

● ابتعد الطيارون المصريون عن سماء المعركة امام تفوق لا قبل لهم به، وهو كفيل بالقضاء عليهم جميعا واحدا واحدا ٠

● كان الاستعداد لمواصلة الحرب الشعبية على قدم وساق ، واختار جمال عبد الناصر موقعا في وسط الدلتا قرب طنطا ليكون مقر قيادته في حرب كل الشعب ضد الغزو ، اذا كانت هناك ضرورة لذلك ٠

□

وقال لي الجنرال اندريه بوفر ـ وكان نائب قائد القوات البرية في الحملة البريطانية الفرنسية ـ وما قاله لي كان تعزيزا لما ذكره في كتابه عن حرب السويس :

ـ كنا نحن الفرنسيين في صراع مع زملائنا البريطانيين في قيادة قوات الغزو ٠ كنا نشعر ان قيادتهم السياسية مترددة في اتخاذ قراراتها ، ولم يكن الهدف السياسي من المعركة واضحا امام الجنرالات ٠

كنا نشعر ان القرارات بطيئة ، وان القوات اقل من حجم المهمة المطلوبة منها ، ولقد جاء وقت شعرنا فيه أن قرار مصر باستمرار المقاومة قد قلب التوازن في الخطة رأسا على عقب ، فقد كانت الخطة موضوعة وفي تصور الموجهين لها سياسيا ان الظروف لن تضطرنا الى تكملتها لان الجبهة المصرية الداخلية سوف تبدأ في التهاوي والانهيار ٠

وهكذا ، فان مجرد القرار المصري بمواصلة الحرب واجهنا بالحقيقة التي كنا نحاول ان نتجنبها اعتمادا على وعود السياسيين لنا ـ وهي حقيقة ان قواتنا غير كافية لاحتلال منطقة قناة السويس والتقدم بعدها الى القاهرة ٠

ولم ترتفع معنوياتنا بعد نزولنا في بور سعيد ، فقد كنا ندرك ان تلك مجرد خطوة على الطريق ، وان اي جيش مهاجم يستطيع ان ينجح فيها لانه كان يوجه قبضته ووراءها كل قوته الى نقطة محددة ومحدودة على جبهة العدو ، ولكن المهم هو الخطوة الثانية بعد الخطوة الاولى ٠

وهكذا استطيع ان اقول :

ان حملة السويس فشلت عسكريا في نفس اللحظة التي قررت فيها مصر رفض الانذار البريطاني الفرنسي ، وحمل السلاح مهما كان الثمن ٠

انكم بهذا القرار فهمتم جوهر الحرب المحدودة في عصرنا الحديث ٠

ان الحرب صراع ارادات ٠

ولم يعد مهما في العصر الحديث ان يفرض طرف بالقوة المسلحة ارادته كاملة على الطرف الاخر ٠٠٠ ذلك مفهوم فات اوانه في العصر النووي ٠٠٠ الان مجرد ان يتمكن طرف من منع طرف آخر من فرض ارادته عليه، فإن ذلك يعني انه انتصر ٠٠٠ وذلك ما فعلتموه في السويس ٠

انكم لم تفرضوا ارادتكم علينا ٠٠٠ ولكنكم اثبتم لنا اننا لا نستطيع فرض ارادتنا عليكم ٠

وهكذا تعثرت الحملة ٠

ثم وقعت على الارض تماما بما طرأ بعد ذلك من تطورات سياسية ! »

الحديث السابع عشر :

القصة الحقيقيّة

لنسف أنابيب البترول في سوريـا

فشلت حملة السويس عسكريا لسببين :

اولهما ـ الارادة المصرية المستعدة لمسئوليات وتضحيات القتال الى النهاية .

وثانيهما ـ انه نتيجة لذلك ، ولان خطة الغزو كانت تعتمد على انهيار المقاومة المصرية امام عنف الانذار البريطاني الفرنسي ـ فان حجم القوات التي احتشدت للغزو اصبحت أصغر من المهمة المطلوبة منها ... اي ان حجم الارادة المصرية أثبت انه اكبر من حجم القوات المكلفة بقهرها .

وفوق ذلك ، طرأ على الموقف عنصران كان لهما الاثر الكبير في الحسم النهائي لقصة السويس الهائلة .

كان العنصر الاول هو : عملية نسف محطات ضخ البترول في سوريا فجر يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

وكان العنصر الثاني هو : الانذار السوفيتي الذي صدر بتوقيع بولجانين مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

□

ونبدأ اليوم بالعنصر الاول بينهما ، وهو نسف محطات ضخ البترول في سوريا ـ ولعلها الان اول مرة تروى فيها القصة بكل تفاصيلها .

ولا بد لكي توضع التفاصيل في اطارها العام من نظرة سريعة على المشرق العربي في ذلك الوقت ، وكيف بدت صورته .

كان المشرق العربي في ذلك الوقت يعيش صراعا مزدوجا ومتداخلا :

● صراع بين الاسرتين الحاكمتين الكبيرتين في المشرق في تلك الايام ، وهما السعودية في الرياض ، والاسرة المالكة الهاشمية في بغداد .

● وصراع اخر بين القوى الجديدة في العالم العربي ـ عبد الناصر والبعث والتيارات التقدمية بصفة عامة ـ وبين القوى التقليدية في العالم العربي ـ الاسر المالكة والاسر الاقطاعية والراسمالية .

وكانت صعوبة الموقف في هذا الصراع المزدوج بين القوى التقليدية وبعضها ، وبين القوى التقليدية والقوى الجديدة ـ ان الخطوط كانت متداخلة لاسباب عملية

او تكتيكية ، ومن ذلك مثلا ان الاسرة المالكة السعودية في ذلك الوقت كانت حليفا لجمال عبد الناصر ، استعانت به ضد اعدائها التقليديين من الهاشميين ، واستعان هو بها ضد حلف بغداد ٠

وكالعادة ، فان سوريا كانت مسرح كل صدام بين القاهرة وبغداد ، وفيها انعكست كل المتناقضات ، وكانت دمشق هي الجائزة الكبرى ، ومن يصل الى قلبها يكن النجاح حليفه ، والعكس بالعكس ٠

وكان الحكم في دمشق تجسيدا لمتناقضات العالم العربي والصراعات المزدوجة والمتداخلة فيه ٠

فقد كان رئيس الجمهورية ، وهو شكري القوتلي ، الذي عاد الى قصر الرئاسة بتأييد الرياض والقاهرة ـ يحكم بأحزاب عراقية الهوى، وفي الحقيقة فان الحكم كله كان مجرد واجهة شفافة لجماعات من الضباط الشبان امسكت بالسلطة الحقيقية في عاصمة الامويين ، وراحت توجه الحوادث من وراء ستار شفاف ، وكان معظم هؤلاء الضباط الشبان الاقوياء من العناصر الجديدة في العالم العربي المتاثرة اما بجمال عبد الناصر واما بتعاليم حزب البعث ٠

وكان هؤلاء الضباط الشبان هم القوة الحقيقية في الجيش السوري ، فقد كانوا هم قادة الوحدات العسكرية ، واما الضباط القدامى من عصر الانتداب الفرنسي فقد كانوا بعيدين عن الوحدات ، يفضلون العمل في المكاتب ، توفر لهم الراحة وتحقق لهم المزايا التي يطلبونها ٠

وكان الضباط الشبان هم الذين تولوا في الواقع مهمة حماية سوريا من كل مخططات حلف بغداد ، واليهم في الحقيقة يرجع الفضل في فشل كل عمليات غزو سوريا من الخارج او من الداخل ، وهي عمليات اشتدت وتعاظم خطرها من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٨ ، حينما سلم هؤلاء الضباط مسئولياتهم الى دولة الوحدة التي قامت في تلك السنة ٠

□

ويمكن القول الآن ، وباطمئنان يستند على الوثائق السرية لحلف بغداد ، انه كانت هناك خطة للقيام بعملية انقلاب في سوريا تتوافق مع غزو مصر ، وكان هدفها ان تمنع اشتراك الجيش السوري في المعركة مساندا لمصر ، الى جانب الهدف الدائم وهو السيطرة على قلب دمشق ٠

واستطاع الضباط الشبان في الجيش السوري ان يحصلوا على هذه الخطة التي وضعت ووقعت بحضور الملحق العسكري العراقي في مدينة بعلبك اللبنانية ، واستطاعوا احباطها ، وفوق ذلك تقدموا منها الى عملية نسف محطات ضخ

البترول ، وكان المقدم عبد الحميد السراج قائد الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية) ، هو ابرز هؤلاء الضباط الشبان في الجيش السوري ، وكان دوره في هذه العملية هو اظهر الادوار ، وربما بسببها كان ما لاحظه الناس جميعا من مكانة خاصة لعبد الحميد السراج في نفس جمال عبد الناصر ، وهي مكانة ظلت له الى آخر يوم ·

وندخل الى وقائع ما حدث ···

. . . .

. . . .

كان رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي قد سافر الى موسكو صباح يوم الثلاثاء ٣٠ اكتوبر ، وكان قبل سفره قد اتصل تليفونيا بجمال عبد الناصر في القاهرة ليسأله عن الاخبار على الجبهة بعد بداية التدخل الاسرائيلي في الليلة السابقة ، ويسأله عما يطلبه من الجيش السوري ، وقال له جمال عبد الناصر « انه يطلب منه مواصلة سفره كما كان مقررا الى موسكو . ثم انه لا يريد من الجيش السوري الا ان يكون متنبها للاوضاع في دمشق حتى تنجلي الامور وتتضح الصورة كلها » ·

. . . .

. . . .

وكانت الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية) بقيادة المقدم عبد الحميد السراج ترى جزءا من الصورة يثير قلقها ·

كان عبد الحميد السراج يأخذ ميثاق الدفاع المشترك والقيادة المشتركة بين مصر وسوريا والاردن ، وهو اتفاق وقع قبل العدوان الاسرائيلي بأيام قليلة ، مأخذ الجد ·

وكان للشعبة الثانية مكتب اتصال نشيط في قبرص راح يبعث بمعلومات عن حشود بريطانية كثيفة تتجمع في قبرص ·

وفوق ذلك ، فقد كان بعض مندوبي هذه الشعبة الثانية قد شاهدوا ضباطا فرنسيين بملابسهم الرسمية في مطارات اسرائيل ·

وبعد الانذار البريطاني الفرنسي مساء يوم ٣٠ اكتوبر ، وبعد سفر شكري القوتلي ، تحققت مخاوف الشعبة الثانية ، وهكذا ذهب عبد الحميد السراج الى مكتب قائد الشعبة الثالثة في الجيش السوري ، وهي شعبة الحركات ، ليسأل قائدها عما ينوي عمله تطبيقا لميثاق الدفاع المشترك الذي لم يكد الحبر يجف على ورقه ، وقال له رئيس الشعبة الثالثة انه لا يستطيع تحريك اية قوات الا بعد

اعلان حالة الطوارىء وحالة الحرب ، ذلك لان القرار سياسي ، ثم ان هنـــاك مشاكل ادارية لا يمكن ان تحل على غير ذلك الاساس ، ومنها مشاكل معاشـــات الميدان ، الى آخـــره ٠٠٠

وخرج عبد الحميد السراج من مكتب قائد الشعبة الثالثة الى مكتب القائد العام للجيش السوري في ذلك الوقت ، وهو اللواء توفيق نظام الدين ، واعاد عليه سؤاله ، ثم تطورت المناقشة الى اقتراح بأن يذهب قـــادة الجيش الى رئيس الجمهورية بالنيابة ، وهو السيد ناظم القدسي ، يسألونه عما يجب عمله ٠

كان ناظم القدسي يقيم في فندق « اوريان بالاس » في دمشق ، وفيه قابـــل ضباط الجيش من القادة وهو يرتدي «الروب دي شامبر» يسألهم عما يريدون ، وحين سمع منهم ، فوجئوا جميعا بجوابه ، فقد قال لهم «نحن وقعنا اتفاقا مع مصر ضد اسرائيل ، ولنفرض ان هناك عوامل جديدة ، افليس الواجب علينـــا ان ننتظر ؟ »

ثم اقترح ناظم القدسي تأجيل اي قرار في هذا الموضوع لفترة ٤٨ ساعة ٠

. . . .

. . . .

وعاد عبد الحميد السراج الى مكتبه في الشعبة الثانية مكتئبا ليجد اشارة تخطره بظهور قطع بحرية امام ميناءي اللاذقية وبانياس وهو نهاية احد خطوط الانابيب التي تنقل البترول من العراق الى البحر الابيض المتوسط ٠

وهكذا ، طرح خط الانابيب نفسه على فكر عبد الحميد السراج ، وخطر لـه اجراء يمكن القيام به دون انتظار ، فدعا احد ضباط لواء البادية من اصدقائه ، وطلب اليه ان يذهب على الفور وان يقوم بايقاف عمل اجهزة اللاسلكي في محطات الضخ الثلاثة الواقعة في الاراضي السورية ، وذلك بحجة ان هذه الاجهـــزة اللاسلكية قد تعطي اشارات للقطع البحرية التي ظهرت امام الموانىء السورية ، وخشية ان يكون هناك ترتيب لانزال على الشاطىء السوري ٠

ونفذ الضابط مهمته ، وتوقفت اجهزة اللاسلكي ٠٠٠ وتوقف ضخ البترول في نفس الوقت، لان العملية كانتتدار كلها بين المحطات الثلاث بواسطة اللاسلكي٠

. . . .

. . . .

كان عبد الحميد السراج في مكتبه حين تلقى مكالمة تليفونية تطلب اليـــه

التوجه لمقابلة السيد صبري العسلي رئيس الوزراء في مكتبه بسراي الحكومة ·

وعرف عبد الحميد السراج ان رئيس الوزارة كان قد استقبل قبل استدعائه له سفير الولايات المتحدة ـ وهو القائم بالاشراف على المصالح البريطانية في سوريا ، ومعه مدير شركة خطوط الانابيب ، كما ان المقابلة حضرها السيد مجد الدين الجابري وزير الاشغال ·

ولم يكن عبد الحميد السراج في حاجة الى اية معلومات مخابرات تفضي اليه بسر استدعاء رئيس الوزراء له ·

وحين دخل عبد الحميد السراج الى مكتب رئيس الوزراء ، لم يكن معه غير مجد الدين الجابري وزير الاشغال ·

ولم ينتظر صبري العسلي حتى يجلس عبد الحميد السراج ، وانما بادره قائلا « ان السفير الامريكي كان عنده الان ، وانهم قلقون على توقف الضخ نتيجة توقف محطات اللاسلكي » ، واستطرد رئيس الوزراء يقول « لو شعر الانجليز ان شيئا قد حدث للخط ، فانهم سوف يقومون بعملية انزال على المحطات وعلى الخطوط ليضمنوا تدفق البترول » ، ولم يسكت رئيس الوزراء ، وانما مضى يقول « هل نقدر نحن على الانجليز ؟ ··· هل نقدر نحن على الامريكان ؟ »

وقال عبد الحميد السراج « انه فعلا امر بتوقف محطات اللاسلكي بعد ان ظهرت قطع بحرية امام سوريا ، وقد امر بتوقف هذه المحطات لفترة مؤقتة يستطيع فيها ان يجد موظفين سوريين يحسنون الانجليزية ليجلسوا بجوار عمال الاشارة في المحطات اللاسلكية ويتأكدوا انه ليس فيما تبعث به اشارات الى القطع البحرية التي ظهرت امام الموانيء السورية » ·

وتدخل مجد الدين الجابري وزير الأشغال ليقول : إنه «يستطيع ان يجد في البرق والبريد عددا من الموظفين السوريين يحسنون الانجليزية ، وانه يمكن ارسالهم الى محطات اللاسلكي ليقوموا بالرقابة على رسائلها » ، وقال عبد الحميد السراج « انه يرحب بهذا الحل على ان يكون الموظفون المكلفون هذه المهمة من عناصر يمكن ان يثق الجيش بها» .

وتساءل السيد صبري العسلي رئيس الوزراء « هل استطيع ان أعدهم بأن المحطات سوف تستأنف عملها ـ وكذلك الضخّ ـ في فترة ثمانٍ واربعين ساعة ؟»

. . . . . .

. . . . . .

وعاد عبد الحميد السراج الى مكتبه ليجد اشارة صادرة عن قيادة الجيش

الى شعبة العمليات تضع لواء البادية تحت تصرف وزارة الداخلية ليتحول الى قوة لحراسة خط الانابيب ··· وبدأ عبد الحميد السراج يفكر :

ان تدخل الجيش السوري في المعركة لنصرة مصر يصعب تحقيقه بالظروف السياسية السائدة في سوريا الان ··· فهل يمكن مساعدة مصر بوقف ضخ بترول العراق عبر الاراضي السورية الى البحر الابيض ؟ ان بترول العراق هو الذخيرة التي تعتمد عليها بريطانيا عسكريا واقتصاديا ، فهل يمكن لهذه العملية ان تساعد موقف مصر ؟

وواصل عبد الحميد السراج تفكيره ···

··· ان نسف خط الانابيب في موضع واحد او في عدة مواضع لا يكفي . لان اصلاح اي عطب في الخط ممكن في ظرف ساعات قليلة ···

··· ثم ان ذلك قد يؤدي الى تدخل بريطاني على شكل انزال يحمي عمليات اصلاح الخط ·

··· واذن . فالمطلوب هو عمل اكبر من ذلك ···

··· عمل يدمر تماما ، ولفترة طويلة ، عملية ضخ البترول عبر الاراضي السورية ··· ثم عمل يلغي فائدة الانزال حين يتأكد ان العطل كبير لا تكفي لاصلاحه ساعات ولا ايام ، ولا حتى اسابيع ···

ماذا لو جرى تعطيل المحطات ذاتها ··· نسفها من اساسها ؟

. . . .

. . . .

واستدعى عبد الحميد السراج ضابطا مهندسا صديقا له كان قد انتدبه لتدريب عدد من افراد الشعبة الثانية على العمليات الفدائية ، وكان اسمه المقدم هيثم الايوبي ·

وتحمس هيثم الايوبي للفكرة ، ولكنه قال انها تحتاج الى ثلاثة اطنان من الديناميت ، والى وسائل نقل وحراسة لتامين المهمة المطلوبة ·

ولجأ عبد الحميد السراج الى صديق آخر في مخازن الجيش حصل منه على ثلاثة اطنان من الديناميت ·

ثم لجأ الى صداقات اخرى له في قوة البادية ، وامكن ترتيب ثلاث سيارات، وقوة حراسة صغيرة ، ثم يقود القافلة كلها هيثم الايوبي ، ثم تتوجه القافلة بحذر

على طريق محطات الضخ ، واخرها في دير الزور ، على بعد سبعمائة وخمسين كيلو مترا من دمشق ، وتقوم بنسف المحطات من اساسها واحدة بعد الاخرى .

ونفذت الخطة وسط مصاعب ، أولها مخاطر التحرك بهذه الكمية من الديناميت على طريق غير مسفلت ، وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تم نسف المحطة الاولى في « تدمر » ، وفي الساعة الرابعة من الفجر تم نسف المحطة الثانية ، وفي الساعة السابعة صباحا كانت المحطة الثالثة في دير الزور قد تحولت الى حطام وانقاض .

وتلقى عبد الحميد السراج اشارة باللاسلكي من هيثم الايوبي ان العملية تم تنفيذها بنجاح ، وذهب السراج الى بيته لينام !

. . . .

. . . . . .

لم يكد عبد الحميد السراج ياوى الى فراشه حتى كان هناك طارق يدق باب بيته بعنف ، ويدعوه الى مقابلة قائد الجيش في رئاسة الاركان .

لقد حاولوا ان يتصلوا به تليفونيا ، ولكن تليفونه لم يكن يرد . وهم يطلبونه على عجل ولامر بالغ الاهمية .

وذهب عبد الحميد السراج الى القيادة ، فوجد قائد الجيش ممتقع الوجه يقول له « ان الوعد الذي قطعناه لرئيس الوزراء لم ينفذ ، وهو الان يطلبك في سراي الحكومة » .

وتوجه عبد الحميد السراج الى مقابلة السيد صبري العسلي ليجد معه وزير الاشغال السيد [illegible] الجابري ، [illegible]
ـ ان الضخ ما زال معطلا . فأين الوعد ؟»

وقال السراج « اننا كنا ملتزمين بموعد وبعثت مساء امس برسول من دير الزور الى اقرب محطة ضخ ، وابلغني قبل قليل ان هناك فيما يبدو عبثا بالانابيب ، والاتصالات التليفونية بالمنطقة صعبة ، تكاد تكون مستحيلة ، ولكننا نحاول بكل وسيلة ان نتثبت مما حدث » !

وصرخ رئيس الوزراء بأعلى صوته ، وهو يتناول طربوشه ويضعه على رأسه :

ـ عبث بالانابيب ؟... عبث بالانابيب ؟... كيف ؟... انا مستقيل » !

ورد عبد الحميد السراج بهدوء قائلا :

ـ سيدي ... ما شاني انا باستقالتك ... انا مجرد ضابط مقدم بالجيش،

وليست لي صلاحية ان اقبلها او ارفضها ... فضلا عن صلاحية ان اسمـــــع بعزمــك عليها » .

وتفجر الموقـــف .

. . . .

. . . .

ودعا السيد ناظم القدسي رئيس الجمهورية بالنيابة الى اجتماع في مكتبـه لبحث الموقف ، ودعى مجلس الوزراء وقيادة الجيش الى حضوره ، وسئل عبد الحميد السراج ، وكرر قوله بأن الصورة ليست واضحة امامـه لصعوبة المواصلات، وانه لم ينم الليل كله في متابعة مهام عمله في الشعبة الثانية، وبينها موضوع خط الانابيب ، وهو الان يحاول معرفة تفاصيل كاملة عما نقل اليه عن وجود عبث بالخطوط ، ولكن الصورة لم تكتمل .

وبدأت مباراة في التشدد بين وزير العدل السيد مصطفى الزرقا ووزيـر الداخلية السيد احمد قنبر .

كان رايهما ان الامور لا يمكن ان تسير على هذا النحو ... وانه لا بد من اتخاذ اجراءات رادعة ... وانه لا بد من شنق عشرة او عشرين لكي يلتزم كل انسان حده ولا يتجاوزه .

ثم اتخذ المجلس قرارا « باتخاذ كافة الوسائل ووضع امكانيات الجيـــش والدولة لاصلاح اي عبث يكون قد وقع لخطوط انابيب البترول » .

واحس ناظم القدسي رئيس الجمهورية بالنيابة ان عبـــد الحميد السراج ساكت ، لا ينبس ببنت شفة ، وراوده شعور بأن رئيس الشعبة الثانية يعرف اكثر ممـــا يقول .

وهكذا خرج ناظم القدسي من قاعة المجلس ، وطلب الى امين عام القصـر الجمهوري ان يدعو عبد الحميد السراج الى مقابلته على انفراد في غرفة مكتبه. وتوجه عبد الحميد السراج الى مكتب ناظم القدسي الذي ساله :

ـ ما هو الموضوع بالضبط ؟»

وقال عبد الحميد السراج :

ـ يا فخامة الرئيس هؤلاء الناس الذين يموتون في بور سعيد ، اليس لهم حق علينـــا ؟!»

وقال ناظـم القدسي :

ـ كان الله في عونهم ··· ولكن ما يشغلني الان هو خط الانابيب » ·
وقـــال السراج :

ـ ان الخط سليم ··· ولكن العبث في محطات الضخ » ·

وقال ناظـم القدســي :

ـ مــاذا جرى للمحطات ؟»

ورد السراج باختصـــار قائـلا :

ـ طارت ··· طارت ! »

وتساءل ناظـم القدسي :

ـ طارت ؟·· كيف طارت ؟ »

ورد السراج :

ـ نسفت من أساسها ، ولا يمكن اصلاحها قبل شهور » ·

وغطى ناظم القدسي وجهه بكفيه ، واستند بكوعه على المكتب ، واستغـرق في الصمت مكتفيا بنفخ الهواء بشدة من بين شفتيه ·

ثم رفع رأسه ، ونظر للسراج ، وساله :

ـ وما العمل الان ؟ »

وقـــال السراج :

ـ ما تراه يا فخامة الرئيس !

وقال ناظم القدسي انه لا يجد الان شيئا يمكن عمله الا محاولة كسب الوقت لتدبر الموقف وعواقبه ، ونهض من على مكتبه فتوجه الى قاعة اجتمـاع مجلس الوزراء وقيادة الجيش ، وعبد الحميد السراج وراءه ، ثم جلس ناظم القدســي ليقول انه « قبل اتخاذ اي قرار فلا بد من تقرير عن مدى العبث الذي لحق بالخطوط ، وانه يرشح قائد الشعبة الثانية ـ عبد الحميد السراج ـ ليذهب بنفسه ويتحقق مما حدث » ·

والتفت القدسي الى السراج يقول له : « تاخذ الان طائرة وتذهب » ·

وكان عبد الحميد السراج يريد هو الاخر ان يكسب وقتا ، فقال :

ـ فخامة الرئيس ، ان كل من يعرفني يعرف انني مصاب بالجيوب الانفية،

وركوب الطائرة يقتلني من العذاب ، وذلك فانني استأذنك في الذهاب بالسيارة».

وكان معنى ذلك ان المهمة تقتضي يومين كاملين .

. . . .

. . . .

وخرج عبد الحميد السراج يبحث عن اللواء حافظ اسماعيل الذي كـان رئيسا لهيئة اركان حرب القيادة المشتركة ، وكان في دمشق لبعض الامور المتعلقة بالتنسيق بين الجيش المصري والسوري ، وعثر عليه فعلا وهو يتناول غذاءه في مطعم سقراط في وسط دمشق ، واقترب منه يقول له :

ـ ابعث الى الرئيس في القاهرة بأننا نسفنا محطات ضخ البترول » .

ثم توجه عبد الحميد السراج الى طريق صحراء الشام الكبرى في طريقه الى دير الزور . ووصل ليجد محطة الضخ امامه انقاضا وحطاما . وشاهد احد المهندسين الانجليز واقفا بقرب الانقاض والحطام لا يكاد يصدق ما يرى وقال له :

ـ اظن ان اصلاحها ممكن في أيام ؟

وقال المهندس الانجليزي بمزيج من الارتياع والبأس

ـ أيام ؟.. لو استطعنا اصلاحها في ستة شهور ، لكان ذلك معجزة »

وكان ذلك اسعد ما سمعته أذنـا عبد الحميد السراج منذ بدأت عملية العدوان على مصر .

□

كان تعطيل الملاحة بنسف باخرة محملة بالاسمنت في قنـاة السويس ... خطوة أولـى .

ثم كان « طيران » محطات ضخ البترول عبر سوريا بنسف المحطات الثلاث على الارض السورية من أساسهـا .

كان ذلك كله معناه توقف بترول الشرق الاوسط كله عن اوروبا الغربيـة وعـن بريطانيـا .

ولم تكن هناك بعد ناقلات بعيدة المدى تستطيع الدوران حول رأس الرجـاء الصالـح .

وبدأت القيادة العسكرية البريطانية اجراءات طوارىء لمواجهة نقص

الوقود ، ثم بدأت الاجراءات بسبب نقص الوقود تطبق على الحياة المدنية في بريطانيا وفي اوروبا الغربية كلهـا ٠

وبدأ الجنيه الاسترليني اول واكبر نزول له في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وفي يوم واحد بلغت خسائر الاسترليني في اسواق العملة الدولية ما يزيد على عشرة بلايين جنيه ٠

وذهب هارولد ماكميلان وزير الخزانة البريطاني يقـول لرئيس الوزراء أنتوني ايـدن :

لا بد من البحث عن طريق آخر يكفل عودة الملاحة للقناة بأسرع ما يمكن ويضمن اصلاح خط الانابيب عبر سوريا باسرع ما يمكن ، والا ساءت العواقب واضطررنا الى مواجهة افلاس كامل » ٠

ونظر اليه ايدن بدهشة ـ كما يروي ماكميلان نفسه في مذكراته ـ وقال له :

ـ اما كنت انت اكبر المتحمسين لضرورة ان نتصدى بالقوة لناصر ؟ »

وقال ماكميلان ببرود انجليزي مشهور :

ذلك صحيح ٠٠٠ ولكن الظروف تغيرت الان !! »

الحديث الثامن عشر :

الانذار السوفيـاتي المشهور سنة ١٩٥٦ ...
الى اي مـدى كانت جدّيته ؟!

لقد ثار جدل طويل حول اهمية وجدية الانذار الذي وجهه الاتحاد السوفيتي في الساعة الاولى من صباح يوم ٦ نوفمبر ، وحول وقع هذا الانذار على الاطـراف الثلاثة الذين وجه اليهم ، وعن تأثيره على تصرفاتهم اللاحقة عليه ··· وما زال بعض هذا الجدل أصداء تتردد في الاجواء السياسية للمنطقة حتى اليوم ·

كان الانذار في الحقيقة انذارين ··· أولهما موجه الى بريطانيا وفرنسـا بنفس الصيغة ،

وكان الثاني موجها لاسرائيل بصيغة تختلف !

● كانت اهم عبارة في الانذار الموجه الى بريطانيا وفرنسا كما يلي :

« ان قناة السويس استعملت كمبرر فقط من اجل شن حرب عدوانية مدبرة ضد الامة العربية بقصد تصفية الاستقلال الوطني لدولها ··· وانني لاتساءل في اي موقف تجد فيه بريطانيا (او فرنسا) نفسها اذا هوجمت بواسطة قوى اكبر منها تملك أنواعا حديثة من أسلحة الدمار الشامل ؟ ان هذه القوى الكبيرة لـن ترسل اساطيلها البحرية او الجوية لتقتحم الشواطىء البريطانية (أو الفرنسية)، وبدلا من ذلك فانها تستطيع ان تستعمل وسائل اخرى كالصواريخ مثـلا · واذا استعملت الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا ، فانكم بالتأكيد سوف تسمون ذلـك عملا بربريا ، ومع ذلك فأي فارق بين هذا وبين غزوكم لمصر ···» ·

● وكانت اهم عبارة في الانذار الموجه الى اسرائيل كما يلي :

« ان حكومة اسرائيل تلعب بأقدار العالم وبأقدار شعبها بطريقة مجرمـة وغير مسئولة ، وهي تحصد الكراهية ضد دولة اسرائيل من جانب كل الشعـوب الشرقية ، ومثل ذلك لا يمكن الا ان يترك اثره على مستقبل اسرائيل ، ويضـع موضع التساؤل أحقية وجودها ذاته كدولة · ان حكومة الاتحاد السوفيتي تتخذ الان خطوات تكفل وضع نهاية للحرب وردع المعتدي ، وعلى الحكومة الاسرائيلية ان تعيد تقدير موقفها قبل ان يفوت الاوان ، ونحن نأمـل في ان الحكومـة الاسرائيلية سوف تعي تماما وتقدر معنى هذا التحذير الذي نوجهه » ·

· · · · · · ·

· · · · · · ·

دارت وما زالت المناقشات تدور حول اهمية وجدية هذا الانذار الذي صدر

بتوقيع الماريشال بولجانين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ·

● هـــل كان الاتحاد السوفيتي يعني ما يقـول ؟

● هل كان العالم فعلا على شفا الهاوية امام احتمال الحرب النوويـــة بالصواريـــخ ؟

● هل كان لهذا الانذار اثره على أطراف التواطؤ والعدوان الثلاثي ؟

والى اي مدى لعب هذا الانذار دوره كعامل بين العوامل التي قادت قصة السويس الى نهايتها التي وصلت اليهـا ؟

☐

اعتقد ـ وبنظرة متجردة ـ ان السؤال الاول من هذه الاسئلـــة الثلاثة ـ وكذلك السؤال الثاني ـ يتعلقـــان باعتبارات يصعب على اي باحث في الوقت الراهن ـ وربما للابد ـ تقديرها، لأنها اعتبارات تتعلق بصميم النوايا السوفيتية، والسياسة السوفيتية لا تتحدث عن نواياها ولا تكشف عن عوامل صنع القـــرار السياسي في الكرمليـن ·

وهكذا ، فاننا لا نستطيع ان نقطع بما اذا كان الاتحاد السوفيتي جادا ؟ كما لا نستطيع الجـزم بما اذا كان العالم عقب صدور هذا الانذار يقف فعلا علـى شفا الهاوية امام احتمال حرب نووية بالصواريخ ؟

لكن السؤال الثالث مما يمكن الان الاجابة عليه ···

اي أننا الان نستطيع ان نعرف اثر الانذار على أطراف التواطؤ ـ والعدوان ـ الثلاثي ، ونستطيع ان نعرف المدى الذي لعبه هذا الانذار ودوره كعامل بين العوامل التي قادت قصة السويس الى نهايتها التي وصلت اليهـا ·

· · · · · ·
· · · · · ·

ولعلي ازعم ان هذه هي النقطة الحاسمة في اهمية وجدية هذا الانذار ·

ان اي انذار ـ مهما كانت النوايا الحقيقية لاصحابه ـ تقاس أهميته وجديته بالطريقة التي أخذها به هؤلاء الذين وجه الانذار اليهم ـوليس هنـاك معيـــار آخر فيما اظـــن ·

ذلك ان الانذار يؤدي دوره كاملا اذا استطاع ان يؤثر في مواقف الذيـــن

وجه اليهم ، بصرف النظر عن النوايا الدفينة في قلوب وعقول الذين قامـــوا بتوجيهـــه ٠

أي اننا اذا اخذنا بسوء الظن ، وقلنا ان الاتحاد السوفيتي لم يكن جادا الى النهاية في تهديده ، ولكن بريطانيا وفرنسا واسرائيل خدعت جميعا واعتبـــرت الانذار جدا لا هزل فيه ، وتصرفت على هذا الاساس ، اذن فان هذا الانـــذار يكون قد ادى دوره بمنتهى الاهميـــة والجديـــة !

□

ومن حسن الحظ ان امامنا الان وثيقة نادرة تكشف وبطريقة لا خفاء فيها ولا غموض تاثير الانذار السوفيتي في اسرائيل ـ بالتحديد ـ ومن خلال ذلك فان تاثير الانذار السوفيتي في لندن وباريس يصبح ظاهرا هو الآخر امام عيوننا ٠

والوثيقة التي اعنيها ليست سرا ، وانما هي دراسة علمية ضخمة عـــن « عملية صنع القرار في السياسة الخارجية لاسرائيل » كتبها الاستاذ « مايكـل بريشر » ، وهو واحد من أكبر اساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة ،وقد جاءت دراسته في قرابة الف وثلثمائة صفحة صدرت في مجلدين ، وقد اعتمـدت هذه الدراسة على وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية كما انها اعتمدت على مقابلات شخصية اجراها الاستاذ « مايكل بريشر » مع « بن جوريون » و « جولدا مائير » و « موشي ديان » و « شيمون بيريز » و « ابا ايبان » ، وغيرهم من قادة اسرائيـــــل ٠

واستاذن في الاستشهاد بفقرات طويلة من هذه الدراسة ، ومعظمها يقع ما بين صفحة ٢٨٤ الى صفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من هذه الدراسة ، وهي صفحات خصصها « مايكل بريشر » لدراسة دور « العامل السوفيتي » في صنع القرار الاسرائيلي الذي اعلنت اسرائيل بمقتضاه قبولها الفعلي للانذارالسوفيتي الذي كان يطلب وقف اطلاق النار فوراً والانسحاب من الاراضي المصرية ٠٠٠ والا ؟!

. . . .

. . . .

يقول الاستاذ « مايكل بريشر » ما نصه :

« لقد بدأ « العامل السوفيتي » يؤدي دوره بين العوامل المؤثرة في صنـــع القرار الاسرائيلي حين وصل انذار بولجانين ، الذي احست القيادة الاسرائيلية انه عنيف ، الى جانب انه مهين ٠ ولم يكن في استطاعة اي صانع قرار ان يتجاهل مثل هذه الرسالة من قوة عظمى ، وعلى اي حال فان « بن جوريون » على وجـــه

التحديد لم يحاول ان يقلل من خطورة هذا الإنذار ، ولذلك فانه قرر ارسال وفد عالي المستوى الى باريس للتشاور ، وكان الوفد يضم جولدا مائير وزيرة الخارجية وشيمون بيريز مدير وزارة الدفاع ، وقد تقرر سفرهم في الساعة الواحدة صباحا ، وصلوا الى باريس الساعة السابعة من صباح يوم ٦ نوفمبر·

وقد اجتمعوا فور وصولهم الى باريس بكل من وزير الخارجية كريستيان بينو ، ووزير الدفاع بورجيس مانوري» ·

· · · · · ·

· · · · · ·

وينقل الاستاذ « مايكل بريشر » بعد ذلك شهادة « شيمون بيريز » – وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي – عنوقائع الاجتماع الاول بين الوفد الاسرائيلي والوفد الفرنسي ·

وفي هذه الشهادة يقول « شيمون بيريز » بالحرف ما يلي :

« لقد وجدنا الفرنسيين منقسمين في آرائهم حول معنى التهديد السوفيتي، ولكنهم كانوا ابعد ما يكونون عن الهدوء ، وقد عبر لنا وزير الخارجية « كريستيان بينو » عن مشاعره ازاء الموقف بقوله :

– ان فرنسا مستعدة ان تقتسم مع اسرائيل كل ما تملك ، ولكنها لا تستطيع ان تقدم لاسرائيل ما لا تملكه ··· وبمنتهى الامانة فاننا لا نملك الوسائل التي ندافع بها عن انفسنا ضد الصواريخ ، واذا هاجمكم الاتحاد السوفيتي ، وحتى اذا اردنا مساعدتكم بكل ما نملك من قوة فنحن امام الصواريخ في وضع الاعزل لاننا لا نملك سلاحا مضادا للصواريخ · »

· · · · · · ·

· · · · · · ·

ويستطرد « شيمون بيريز » في شهادته التي قدمها « لمايكل بريشر » :
« كان وزير الخارجيةالفرنسي صورة مجسدة للقلق ، وكان واضحا انه ياخذ التهديد السوفيتي بجدية بالغة ، ووجد من واجبه ان يقول بوضوح « انني اقترح ان لا تقللوا من اهمية تحذير بولجانين» ·

ثم راح وزير الخارجية الفرنسي « كريستيان بينو » يروي لنا القصة التالية :

« كان مستشار المانيا الغربية كونراد اديناور في باريس ، وكان يزور رئيس الوزراء الفرنسي « جى موليه» في مكتبه حينما وصل الانذار السوفيتي ·

ولاحظ رئيس الوزراء الفرنسي ان ضيفه الالماني قد ابدى قلقا شديدا من صيغة الانذار ومعناه ، ولم يشأ « اديناور » ان يترك المسألة للانطباعات ، بل قال لرئيس الوزراء الفرنسي :

« ارجوكم ، كصديق لفرنسا ان تنظروا في هذا الموضوع بدون اية محاولة لخداع النفس ··· ان الامريكيين لن يهرعوا لمساعدتكم بالرغم من حلف الاطلنطي » ·

وكانت كلمات المستشار الالماني مبعث قلق شديد لرئيس الوزراء الفرنسي الذي كتب على الفور برقية الى السفارة الفرنسية في واشنطن يطلب فيها استطلاع رأي الحكومة الامريكية على اعلى المستويات في الانذار السوفيتي ·

وطلب سفيرنا في واشنطن « هرفيه الفان » موعدا عاجلا مع الرئيس الامريكي « دوايت ايزنهاور » ، وذهب لمقابلته ·

ان سفيرنا ـ طبقا لتقريره الذي قرأته قبل دقائق من قدومكم هنا ـ دخل فوجد « ايزنهاور » شاحب الوجه وعصبي المزاج الى ابعد درجة ، وقد كرر للسفير الفرنسي اكثر من مرة قوله « يجب ان تنسحبوا من مصر ··· لا سبيل امامنا الا ان نلتزم بميثاق الامم المتحدة » ، ثم نظر الرئيس الامريكي الى السفير الفرنسي وقال له بصوت مشحون :

« اسمح لي ان اقول لك هذا يا سيدي السفير ··· انني اعتقد ان الحياة مثل سلم بدايته على الارض وطرفه العلوي يصعد الى السماء ··· وانا قريب من نهاية السلم ··· واريد ان اقابل خالقي بايد نظيفة لم تلوثها جريمة حرب نووية عالمية » !

. . . .
. . . .

ويستطرد « شيمون بيريز » في شهادته التي قدمها « لمايكل بريشر » :

ـ بعد ان انتهى اجتماعنا وعدت الى السفارة الاسرائيلية ، اتصل بي وزير الدفاع الفرنسي « بورجيس مانوري » تليفونيا ،وقال لي :

« سوف اقول لك رأيا يختلف عما سمعته من كريستيان بينو ـ وزير الخارجية ـ انني اظن ان الانذار السوفيتي مجرد « تهويش » ، لانهم لن يتورطوا في حرب عالمية ، ومع ذلك فهذا هو رأيي الشخصي فقط ، واذا اردتم ان تضعوه في اعتباركم فخذوه باعتباره رأيا شخصيا فقط ! »

. . . .
. . . .

يقول الاستاذ « مايكل بريشر » :

« من الغريب ان بن جوريون كان ميالا بشكل ماالى رأي بورجيس مانوري، ولكن موقف الولايات المتحدة جعله يعيد النظر في موقفه ·

وكان اكثر ما ضايق بن جوريون ـ على حد قوله لي ـ هو ان لهجة الانذار السوفيتي الى اسرائيل كانت تختلف عن لهجته الى بريطانيا وفرنسا ··· ففيما يتعلق باسرائيل كانت هناك نبرة احتقار واضحة ، وكان التهديد موجها الى اساس وجود الدولة !

وبدأت الحكومة الاسرائيلية تتلقى طول مساء ٦ نوفمبر وصباح ٧ نوفمبر اشارات بالغة الخطر :

● تلقت الحكومة تقريراحولته اليها السفارة الاسرائيلية في باريس ،وكانت قد تلقته من المخابرات الفرنسية نقلاعن وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وكان التقرير بتوقيع « بوهلن » سفير الولايات المتحدة في موسكو ، وكان يقول في تقريره ان « الاتحاد السوفيتي ينوي توجيه ضربة قاصمة لاسرائيل تسويها بالارض » ·

● ثم تلقت الحكومة معلومات عن اسقاط طائرة بريطانية من طراز «كانبيرا» فوق الاراضي السورية ، وكان تقدير المخابرات الاسرائيلية ان ذلك يعني شيئا واحدا ، وهو ان « السوفيت يتولون الان تشغيل محطات الرادار في سوريا » ·

● ثم جاءت معلومات من السفارة الاسرائيلية في تركيا مؤداها ان هناك طائرات سوفيتية تعبر المجال الجوي التركي بسرعة فائقة ، وعلى ارتفاعيات شاهقة ، ثم ان الحكومة السوفيتية طلبت الى الحكومة التركية السماح لبعض بوارجها بالمرور عبر الدردنيل من البحر الاسود الى البحر الابيض ·

● وبعثت السفارة الاسرائيلية في لندن تقول ان هناك حالة طوارىء عسكرية في بريطانيا لمواجهة احتمال ظهور طائرات وغواصات سوفييتية بقرب الشواطىء البريطانية ·

● وكتب الياهو ساسون سفير اسرائيل في روما رسالة الى بن جوريون يقول له فيها ان نظيره السوفيتي اكد له عزم الاتحاد السوفيتي على توجيه ضربة لاسرائيل ·

● ثم جاءت الكلمة الاخيرة من واشنطن على شكل خطاب من الرئيس الامريكي ايزنهاور الى بن جوريون يقول له فيها :

« يجب ان اقول لك صراحة ـ يا سيدي رئيس الوزراء ـ انه لو صحت التقارير التي تصلنا عن رفضكم الانسحاب ، فان ذلك موقف سوف يؤدي الى ادانتكم · وسوف يكون من دواعي اسفي ان تضطرنا سياسة اسرائيل ـ التي يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة ـ الى اتخاذ موقف يؤثر في التعاون الودي القائم بيننا » ·

وقد وصل هذا الخطاب ومعه تعليق من ابا ايبان الذي كان في واشنطن ، يطلب من بن جوريون تقدير خطورة الموقف « ازاء وجود شواهد على خطط سوفيتية ضد اسرائيل » !

□

وبعد منتصف الليل ، صباح ٨ نوفمبر ، كان بن جوريون في حالة اعياء كامل ، ولكنه في تلك الساعة ـ كما يقول الاستاذ مايكل بريشر ـ جلس ليكتب قراره الاستراتيجي بقبول الانذار ، وقد اختار ابلاغ ايزنهاور به ليأخذ الولايات المتحدة الى جانبه في التطورات المحتملة خلال الساعات الخطيرة القادمة ·

وكتب بن جوريون الى ايزنهاور يقول له بالحرف الواحد :

« انك سوف تجد اسرائيل مستعدة دائما للقيام بدورها المتواضع الى جانب الولايات المتحدة الامريكية من اجل تعزيز العدل وتقوية السلام العالمي »·

وبعثت « جولدا مائير » برسالة الى الجمعية العامة تفيد قبول اسرائيل لمبدأ الانسحاب ، وذهب « ابا ايبان » لابلاغ « همرشولد » ، وتولى « كيدرون » المندوب المناوب الاسرائيلي في الامم المتحدة ابلاغ القرار الاسرائيلي الى نظيره السوفيتي « سوبوليف » بالتليفون !

ويقول « مايكل بريشر » انه سال عددا من ابرز الشخصيات في اسرائيل ، ومن المتصلين بعملية صنع القرار السياسي فيها ، سؤالا واحدا ومحددا ، عن السبب الذي دعا « بن جورون » الى اتخاذ القرار بقبول الانسحاب من الاراضي المصرية ·

وكانت ردودهم ، كما سجلها في صفحة ٢٩٠ من المجلد الثاني من دراسته، على النحو التالي :

جولدا مائر : انني مقتنعة بانه تصرف كرد فعل « للعامل السوفيتي » ·

بيريز : تسالني عن السبب في قراره ؟ ·· انه التهديد السوفيتي ·

ايبان : الانباء الخطيرة التي جاءت مساء ٧ نوفمبر وطوال يوم ٨ نوفمبر

عن استعدادات سوفيتية لاستعمال القوة ·

ايتان (وكيل وزارة الخارجية الدائم) : الانباء الموثوق بها يوم ٨ نوفمبر عن المخاوف من احتمال قيام الاتحاد السوفيتي بهجوم جوي على اسرائيل في اليوم التالي اذا لم يتلق المندوب السوفيتي الدائم اخطارا من المندوب الاسرائيلي بان اسرائيل قبلت الانسحاب · »

ويقول « مايكل بريشر » :

ـ ان « بن جوريون » كان استثناء من هذا الاتجاه العام في القيادة الاسرائيلية ، وكان استثناء غريبا ملفتا للنظر ، فقدقال لي :

« لم يكن يهمني ما قاله بولجانين او ما يحتمل ان يفعله · لقد كان اهتمامي كله بموقف الامريكيين · فقد كنت اعلم قوة وسائل الضغط التي يملكونها علينا ، بما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب · انني كنت مهتما اكثر بالامريكيين » ·

وكان للصحفي الاسرائيلي الشهير « بارزوهار » تعليق على كلام « بن جوريون » سجله « مايكل بريشر » ، فقد قال « بارزوهار » :

ـ ان « بن جوريون » كان مذعورا من السوفيت ، ولكنه فضل ان يستسلم للأمريكيين ! »

ثم يروي «مايكل بريشر » انه سأل « بن جوريون » : كيف يوفق بين خطابه الحماسي الملتهب الذي اعلن فيه ضم سيناء وقطاع غزة الى اسرائيل ، وبين قراره بعد ذلك بقبول الانسحاب ، مع ان بين الموقفين فترة زمنية لا تزيد على ست وثلاثين ساعة ؟·

وكان رد « بن جوريون » بالحرف الواحد كما سجله «مايكل بريشر » :

ـ لقد كان تقدمنا في سيناء سريعاً ··· كان انتصارنا سريعا جدا يا مستر بريشر ··· وقد كنت سكران بخمر النصر ·· كنت سكران بخمر النصر يا مستر بريشر ! ·»

□

وهكذا نرى الانذار السوفيتي سنة ١٩٥٦ في حجمه الحقيقي ، وبالقياس الى تاثيره لدى من صدر للتاثير عليهم ، وهذا هو القياس الوحيد الصحيح ، بصرف النظر عن النوايا كما اوضحت ·

● وربمـا قائل يقـول :

ـ ان الانذار السوفيتي لم يجيء الا على اساس استمرار المقاومة المصرية. وفشل الغزو البريطاني الفرنسي ، فشلا عسكريا وفشلا سياسيا ٠.

وردي :

ـ ان هذا صحيح ، فلقد كانت المقاومة المصرية هي العامل الحاسم في الموقف كله ، فلم تكن هناك جدوى من انذار سوفيتي يجيء بعد عشرة ايام من وقوف مصر وحدها امام جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل ـ لو ان مصر استسلمت امام الانذار البريطاني الفرنسي في اعقاب التدخل الاسرائيلي ، او لو ان مصر استسلمت امام قوات الغزو التي اقتحمت بور سعيد ـ لما كانت هناك جدوى من الانذار السوفيتي لانه سوف يجيء متأخرا كثيرا جدا عن وقته ٠

● وربّ قائل يقول ايضا :

ـ ان الانذار السوفيتي جاء بعد ظهور موقف امريكي يقف موقف التحفظ من عملية غـــزو مصر ٠

وهـــذا صحيح ٠

ولكن علينا ان نتذكر الاسباب الحقيقية للتحفظ الامريكي ، وهي اجمالا تتلخص فيما يلـــي :

١ ـ رأت الولايات المتحدة ان أسلوب الغزو بالقوة المسلحة ليس الاسلوب الامثل للخلاص من جمال عبد الناصر ٠٠٠ بل ان هذا الاسلوب يمكن ان يحوله اما الى اسطورة بطل في حالة نجاحه ، واما الى اسطورة شهيد في حالة فشله ٠

٢ ـ رأت الولايات المتحدة ـ وقد اخفى حلفاؤها نواياهم عنها ـ انه ليس من حق اصدقائها ان يتصرفوا من وراء ظهرها ، طالما انهم لا يملكون القوة الكافية للدفاع عن انفسهم بدونها ، وما داموا قد فعلوا ذلك فعليهم اما مواجهة الخطر الى النهاية ، واما تجرع كأس المهانة الى الثمالة !

٣ ـ رأت الولايات المتحدة ، واستراتيجية العصر وقتها تقوم على سياسة الردع النووي الشامل ، انها لا تستطيع مواجهة خطر تصادم نووي مع الاتحاد السوفيتي بسبب مغامرات حمقاء لحلفائها في ظروف ليس فيها ما يعرض الامن الامريكي في صميمه ٠

وهذا كله صحيح ، ولكن يبقى ان الانذار السوفيتي كان هو السندان الذي هبط على المطرقة ، وحطم كرامة اطراف التواطؤ ـ العدوان ـ الثلاثي ٠

● ورب قائل يقول :

ـ لم يجىء الانذار السوفيتي الا بعد ان تبلور رأي عام عالمي وقف في الامم المتحدة بحزم ضد العدوان واطرافه ، وادانهم ودمغهم بجريمتهم ، وعلى اســاس هذا الموقف العالمي تصرف الاتحاد السوفيتي تعبيرا عن طلب الحق والعدل على نطاق الدنيا بأسرهـــا ٠

وهذا صحيح ، ولكنه المنطق الطبيعي في اي تصرف دولي ، فان اي تصرف دولي يكتسب شرعيته في المجتمع الدولي بمقدار تعبيره عن اتجاه عام سائـــد، يتخطى القارات والمحيطـــات ٠

الحديث التاسع عشر:

الحرب مستمرّة بوسائل اخرى !

عندما توقف القتال واعلنت دول التواطؤ ـ العدوان ـ الثلاثي انها مضطرة الى سحب قواتها من الاراضي المصرية ، كانت الحرب ما زالت مستمرة بوسيلة أخرى ، على حد تعبير « كلاوزفيتز » أستاذ علم الاستراتيجية العظيم ٠

كان كل ما حدث هو أن التركيز تحول من ميادين القتال الى ساحات العمل السياسي ، وأبرزها في ذلك الوقت ساحة الامم المتحدة ٠

كان جمال عبد الناصر يدرك انه انتصر ، وكان يقدر تقديرا متوازنا اهمية العوامل التي أدت الى انتصاره ، وترتيبها في ذهنه على النحو التالي :

١ ـ المقاومة المصرية المسلحة واستمرارها تعبيرا عن الارادة المصرية ٠

٢ ـ التضامن العربي الهائل لشعوب الامة كلها مع مصر ، والذي كان نسف خطوط البترول في سوريا رمزا عمليا له ٠

٣ ـ الانذار السوفيتي وتاثيره على الذين وجه ضدهم ٠

٤ ـ موقف الولايات المتحدة في رفض تقديم أي مساندة لحلفائها الغربيين واسرائيل في مواجهة مخاطر الانذار السوفيتي ٠

٥ ـ التعاطف العالمي الواسع المدى مع الشعب المصري ٠

ولكن جمال عبد الناصر في لحظة انتصاره كان يعي تماما ان كل انتصار مهدد ما لم يفرضه أصحابه الى النهاية ، ليصلوا به الى النتيجة الوحيدة التي تعبر عنه ، وهي انسحاب القوات المعتدية كلها ، من جميع الاراضي التي احتلتها ٠

هكذا ، فان جمال عبد الناصر لم يسارع الى دق طبول الفرح ، والى اقامة الزينات ، والى مواكب الاحتفال والابتهاج ٠

كان يفهم طبيعة الصراعات الحديثة ، ويعرف ان النصر معلق بحيث تكون أهداف الصراع ٠

ان هدف الصراع لم يكن وقف اطلاق النار ، ولا تعهد المعتدين بالانسحاب ٠

ولكن هدف الصراع هو كامل التراب الوطني ، وانسحاب المعتدين فعلا ، وليس مجرد التعهد بالكلمات ٠

كان يدرك أن انتصاره يتحقق في كماله وجلاله حين تعود كل الارض ، وحين تتم كل مراحل الانسحاب ·

وقبل ذلك فان الخطر محدق ومحيط ،واذا لم يتنبه أصحاب النصر الى جوهر انتصارهم ، فان ليلة الفرح مهددة بأن تتحول هي نفسها الى ليلة المأتم !

ومن هذا الفهم لطبيعة الصراعات الحديثة ، ومع انتقال المعركة الى ساحة الامم المتحدة ودهاليزها السياسية ، حدد جمال عبد الناصر أولوياته على النحو التالي :

١ ــ تثبيت وقف اطلاق النار ·

٢ ــ بدء الانسحاب ومواصلة اتمامه في أسرع وقت ·

٣ ــ تأكيد السيادة المصرية حتى على الارض الواقعة تحت الاحتلال ، وحتى ازاء الامم المتحدة التي تحملت بمسئولية الاشراف على تدابير وقف اطلاق النار وعمليات الانسحاب ·

٤ ــ تأكيد سيطرة مصر على القناة ، حتى لا يتحول ضباب الحرب الى فرصة تتمكن فيها القوى الكبرى من سرقة ملكية القناة أو ادارتها تحت أية دعاوي تتعلل بها ·

٥ ــ استغلال فرصة العدوان والتقدم بعدها خطوة نحو استعادة ثروات مصرية ــ غير قناة السويس ــ جرى نهبها في عصر النفوذ الاستعماري في مصر ·

□

واذا لاحظنا اتجاه تحركات جمال عبد الناصر بعد توقف القتال مباشرة ، لوجدنا أن أول خطوة له كانت هي اختيار « جنراله العتيد » في الامم المتحدة ليحمي القلعة المصرية فيها ، ويقود التقدم منها ·

هكذا قرر جمال عبد الناصر ارسال الدكتور محمود فوزي الى الامم المتحدة ، وأول مهامه مطلبان من جمال عبد الناصر :

- تثبيت وقف اطلاق النار ·
- الانسحاب من أول خطوة الى آخر خطوة بأسرع ما يمكن ·
- ثم نجده بعد ذلك يخلق أزمة بدا لكثيرين انه لا مبرر لها ، وهي

الازمة الخاصة برفض اشتراك كندا ضمن قوة الطوارىء الدولية ، ونجد برقية منه ـ قبل وصول فوزي الى نيويورك ـ يشرح فيها وجهة نظره لهمرشولد ـ السكرتير العام للامم المتحدة ـ قائلا له « انه لا يطمئن الى اشتراك كندا في قوة الطوارىء الدولية ، لان كندا احدى دول الكومنولث البريطاني ، ثم ان ولاءها للتاج البريطاني الذي له السيادة عليها ، وحكومة صاحبة الجلالة ممثلة التاج البريطاني طرف في العدوان ، ولا يمكن ان يعهد اليها بطريق مباشر أو غير مباشر بمهمة الاشتراك في حفظ السلام » ٠

وفوجىء ليستر بيرسون ـ رئيس وزراء كندا ـ بالطلب ، وراح يسعى بكل الوسائل لدى همرشولد ولدى جمال عبد الناصر مباشرة لكي تشترك كندا في قوة الطوارىء ، مؤكدا حياد بلاده واستقلالها في قرارها السياسي ، قائلا أن عدم اشتراكها في القوة سوف يعتبر لطمة لها ، خصوصا وأنها احدى الدول التي تقدمت بالاقتراح الاصلي لانشاء أول قوة سلام في التاريخ .

ووافق جمال عبد الناصر في النهاية بشروط ٠

ولكن هدفه الحقيقي لم يكن كندا ، وانما كان تثبيت سيطرة مصر حتى على الاراضي المحتلة التي ستدخلها قوات الطوارىء ، وأن يتم ذلك من أول لحظة ٠

● ثم نجد أن جمال عبد الناصر يرفض رفضا كاملا أن تقوم بريطانيا وفرنسا بأية عمليات في تطهير القناة ، سواء بمعداتهما أو برجالهما ٠

وبعد استحكام الازمة ، يقبل جمال عبد الناصر معدات بريطانيا وفرنسا ، ولا يقبل رجالهما ، ويقبل المعدات وعليها علم الامم المتحدة ، ومقصده الحقيقي تثبيت سلطة مصر على كل ما يخص قناة السويس ٠

● ثم نجد جمال عبد الناصر يثير فجأة قضايا التعويضات عن الحرب وأضرارها ، وهو يعلم مقدما أنه لن يحصل على اي شيء ، ولكنه يثير الموضوع لهدف عنده ، وأن يختصم ما يعتقده حقا لمصر من ممتلكات الرعايا البريطانيين والفرنسيين في مصر ٠

ومرة أخرى ـ في هذه الاحاديث الممتدة ـ اترك المجال لرسائل محمود فوزي من نيويورك الى جمال عبد الناصر ، بحيث تتولى الوثائق نفسها رسم بعض ملامح الحركة المصرية في تلك الظروف الحافلة ٠

□

نيويورك ٢١ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمـــود فـــوزي

قابلت همرشولد مرتين اليوم ، ثـــم :

١ ـ ذكر في شأن انسحاب القوات المغـــيرة :

أ ـ انه مواصل بمنتهى الحـــزم والسرعـــة جهوده للاسراع بانسحــــاب تلك القوات ـ وذكـــر أنه سلـــم لبينــو ، وجولدا مائير ، ولويد ، أربعـــة أسئلة طالبا أن يتسلـــم الـــرد عـــليها في وقت لا يتأخـــر عـــن الاربعـــاء ٢١ نوفمبـــر ١٩٥٦ حتى يستطيع أن يتقدم الى الجمعـــية العـــامة بتقريره في هـــذا الشـــأن تنفيذا لقرارها الخاص بالانسحاب ، وذلك فـــي وقـــــت لا يتعـــدى الخميس او الجمعـــة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، عـــلى أبعـــد تقدير ٠

ب ـ انه تم الاتفاق مساء أمس عـــلى أن تدخـــل بعـــض وحدات قوة الامم المتحـــدة الى بورسعـــيد ، وأن هـــذا سيتبعـــه غـــيره ، مما يساعـــد على سرعة الانسحاب ، وأضاف أن لويد مؤيد تماما لفكرة الانسحاب ، وأن بينو ليس لـــــه في هـــذا شأن يعتد بـــه ٠

جـ ـ ذكر انه يلاقي مقاومة عنيدة من اسرائيل في شأن الانسحاب ، وانــــه دارت بينه بهـــذا الصدد وبين جولـــدا مائير مشادة حامية مساء أمس ٠

٢ ـ حدثته عما جاء ببرقيتكم ٧٣/٧٤/٧٥ فذكر انه مسارع الى اتخـــاذ ما يلـــزم هذا الصدد ، وأن دخـــول وحـــدات من قوة الامم المتحـــدة بورسعيد سيسهل عـــمل هـــذا بالنسبة لهـــا . وأنه طلب من اسرائيل أن يدخـــل الى منطقة غـــزة مراقبون عـــلى أن تتبعـــهم وحدة من قوة الامم المتحـــدة ، وأضـــــاف أن التقارير التي لديه عـــن غـــزة سيئة جدا ٠

٣ ـ تحدث عـــن الخطوط الرئيسية التي ينوي أن يسير عـــليها في تقريـــره عـــن القوة الدولية وتطهير القناة ، وأعلمني أنه متحـــدث بمثـــل هذا مع لويـــد ، وفي أثناء اجتماعـــنا الثاني مساء اليوم سلمني نسخـــة من نص التقريرين ، كما يرجح أن يطبعـــهما ويوزعـــهما صباح الغـــد ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ ، ولا ينتظـــــر همرشولد ان يكون هـــذان التقريران موضع مناقشة طويلة ٠ وسنرسل النصيـــن باكر ببرقيتين مفتوحتين ٠

٤ ـ أعـرب عـن أسفه لان موضوع المجر يشوش على موضوع مصر فـي هـذه الايام ٠

فوزي»

. . . . . .
. . . . . .

نيويورك ٢١ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمـود فـوزي

زارني شبيلوف ومعـه نائبه وتحدثنا على الاخص في موضوع العـدوان على مصر ، وتلاقت آراؤنا بشأنه ٠ واعـرب شبيلوف عـن تأييد حكومتـه التام لمصر في موقفها وفيما يتصل بوجوب انسحاب القوات المغيرة حالا وانسحاب قوة الامم المتحـدة بعـد ذلك ، وتعـويض مصر عـلى ما أصابها من أضـرار ، وعـدم البحث في قضيتي قناة السويس وفلسطين في الوقت الحاضر ، وأن عملية تطهير القناة يجب ان لا تبدأ الا بعد انسحاب القوات المغيرة ، ولما اتصـل الحديث بما قيـل من أن فرنسا تسعـى لعـقد مجلس الامن للنظر في قضيتـي القناة وفلسطين اتجه رأيانا الى اعتبار هـذه حيلة يقصد بها تحويل القضية مـن نطاق الجمعـية العـامة حيث المجـال واسع لمصر ومن معـها الى حيز مجلس الامن الضيق ٠ وتكلم شبيلوف قليلا عـن قضية المجـر ، واعـرب عن ارتياحـه لان مصر تتخـذ فيهـا موقفا وديا نحـو روسيا ٠ وكل ما طلبه الوفد الروسـي من وفـد مصر فـي هـذا الشأن هـو الامتناع عـن التصويت ، وهـو مـا يسير عليه الوفد المصري فعلا ٠

. . . . . .
. . . . . .

فوزي»

نيويورك ٢٣ نوفمبـر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمـود فـوزي

متابعة لحديثنا التليفوني مساء اليوم قابلت اليوم همرشولد وحدثته مـن جديد في شأن الاسراع بانسحـاب القوات المعتدية ، وأن من الضروري البـدء بمناقشة التقرير الخاص بهـذا الامر ، واتخـاذ قرار في شأنه قبل مناقشتـه ، واتخـاذ قرار فـي شأن تقريري السكرتير العـام عـن قوة الامم المتحـدة وعن

تطهير القناة • كذلك حدثته عن فكرة تحديد مدة الانسحاب فقال ان هذا على الارجح ما لا يمكن الحصول على أصوات كافية له • وذكر همرشولد انه بجانب ما يجري في الجمعية العامة ، انه من ناحيته والحكومة الامريكية من ناحيتها سيبذلان جهدا متصلا وضغطا بشدة على الدول الثلاث للتعجيل بالانسحاب • وانه يأمل ان يسفر ذلك كله عن نتيجة مرضية في وقت قريب ، وأن يشمل منطقة غزة • وأضاف انه مما يساعد على ذلك أن تستمر الحكومة المصرية في ابداء حسن استعدادها نحو تطهير القناة بشرط تمام الانسحاب •

وساحدثه صباح الغد عن موضوع زيادة قوات الامم المتحدة في بورسعيد •

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

أخبرني همرشولد مساء اليوم أنه بالاتصال مع عملية تطهير القناة في المسافة بين خط وقف اطلاق النار والقنطرة ـ قد يتجه رأى بريطانيا الى ان تعهد بهذه العملية الى الامم المتحدة وتزودها بالمعدات اللازمة وتطلب اليها القيام بذلك في الحال • وقد ذكرت لهمرشولد كرد فعل مبدئي أن القيام بتطهير القناة قبل الانسحاب يخل بمنطق الاشياء وتسلسلها الطبيعي وموازينها ، ولا يلقي منا الا المعارضة •

فيما يتعلق بالانسحاب ، كان هنالك اتجاه الى ارجاء التصويت على مشروع القرار الى يوم الاثنين ، ولكننا قاومنا ذلك وساعدنا همرشولد ،ولهذا حددت جلسة لصباح الغد ، بعد أن كان مقررا أن تكون الجلسة التالية يوم الاثنين • ولا زال هنالك عدد غير قليل من الخطباء في جلسة الغد ، ولهذا يشك في أن يتم التصويت في جلسة الصباح • على أن هناك وجهة نظر يقول بها في الحاج كريشنا مينون ، وارى انها تصلح كوجهة نظر ، وهي ابقاء المناقشة حية وقائمة حتى يوم الاثنين أو بعده كسوط على ظهور الدول المعتدية لدفعها في اتجاه الجلاء ومحاسبتها على التأخر فيه • والعمل سائر منذ الان على تقديم موضوع الانسحاب والتصويت عليه قبل التصويت على مشروع القرار الاخر الخاص بالقوة الدولية وتطهير القناة •

هذا وسنثير من جديد مسألة الفظائع التي ترتكب في بورسعيد وغزة ونطلب التحقيق فيها متخذين في هذا ما يلزم من الاحتياطات القانونية التي تستلزمها اعتبارات السيادة المصرية ٠

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

انتهزنا فرصة الهدوء النسبي يوم الاحد فاجتمعنا ، همرشولد وأنا ، اليوم لاستعراض الموقف ، وتناول الحديث :

أولا — قراري الجمعية أمس ، واتصل أكثر الحديث عنهما بجلاء القوات المعتدية وموعده ، وتبين من جديد أن همرشولد يشاطرنا وجهة نظرنا من وجوب الاسراع بالجلاء الى أقصى حد مستطاع ، وافهمته اننا سوف لا نكف ساعة عن المطالبة بتمام الانسحاب ٠ وذكر أنه سيقابل بعد الظهر سلوين لويد ويثير هذا الموضوع ثانية معه في ضوء حديثنا ٠ وانه يأمل أن نستطيع قريبا معرفة ما طلبت مرارا معرفته عن يوم تمام الانسحاب ٠ وأضاف أنه مما سهل وسيسهل جهوده في هذا الشأن أن مصر أعربت عن رغبتها الاكيدة في المسارعة بتطهير القناة ، وان كانت وضعت لبدء ذلك شرطا معقولا هو تمام انسحاب القوات المعتدية ، وأن مصر كذلك لم تغلق الباب في وجه الكلام نظريا في موضوع التطهير وانها بهذا دعمت الشعور بأنها جادة في رغبتها في المسارعة الى عودة الملاحة في القناة الى حالتها الطبيعية ٠ وأضاف أنه يرجو كذلك أن تسمح الحكومة المصرية بأن تقوم الامم المتحدة بعمل البحوث اللازمة في مصر والاتصال برجال الحكومة المصرية المختصين في هذا الشأن تمهيدا لبدء عملية التطهير عند تمام الانسحاب ٠ وأعلمني أنه بالاتصال مع قرار الجمعية امس بدأ فعلا في تنظيم جانب الدراسات التي تقوم بها السكرتارية في شأن تطهير القناة وسلمني ما سماه أوراقا داخلية مؤقتة للسكرتارية تشتمل على بعض الدراسات في هذا الشأن ، راجيا أن تعتبر مسلمة الي بصفة شخصية وغير رسمية ، اذ انها محاولة أولى للدراسة وليست بعد من وثائق الامم المتحدة ٠ وسأبعث بنص هذه الاوراق في برقية منفصلة وذلك لطولها ، وعند هذا حضر جنرال هويلر ، وهو حاليا أحد مستشاري البنك الدولي الفنيين وقد استعاره همرشولد وكان سابقا رئيس سلاح المهندسين في الجيش الامريكي وله سابق خبرة في بنما

وغـيرها بهـذا النوع من الاعـمال ، كذلك حضر مستر الفريد كاتسين ومستـر تورديه مساعـدا السكرتير العـام • قال هويلر انه ومساعـدوه قائمون بعـمل الدراسات النظرية هنا منـذ الان ، وانه يأمـل ان تسمح له الحكومة المصريـة بالسفر قريبا الى مصر لمتابعـة هـذا ولعـمل الدراسة التطبيقية تمهيـدا لبـدء عـملية تطهير القناة عـندما يحين وقتهـا • وقال هويلر انه من الجائز اذا أريد التعجيل بسير الملاحـة من جديد فـي القناة أن تنحـى بعـض السفن الغـارقة في القناة جانبا الى ان يحين الوقت لاخراجها مـن القناة كلية ، وتكلم بعض الوقت عـن مستقبل القناة من الناحية الهندسية ، وأشار الى حديثه في هـذا الشأن مع حلمي بهجت بـدوي وعـما تطرق اليه من الموازنة بين تعميق القنـاة وتوسيعـها وبين مد خـط أنابيب للبترول موازية للقناة ، واضاف أنه يـرى لزوم الاثنين ، خصوصا لما ينتظره من زيادة كبرى في حركة الملاحة بالقناة في المستقبل القريب ، ولان مد خـطوط الانابيب أقل جدا في تكاليفه من تعـميـق وتوسيع القناة ، ويمكن اتمامه في وقت قصير نسبيا ، ولهذا فهو يرى اتمـام الامرين وعـدم تفويت الافـادة منهمـا • كذلك أضاف أنه جاد في جمع المعدات اللازمة للتطهير وعـامل عـلى ارسالهـا الى مصر قريبا • وكان واضحا خـلال حديثه ، كما هو واضح خـلال حديث كثيرين ، مدى الاستعجال والتلهف لـدى الدول الغربية عـلى المسارعـة في تسيير حركة الملاحـة في القناة • وهذه بمثابة ورقة ثمينة وحيوية متى لعبت كما يجب ، ولا يجـوز التفريـط فيهـا • ولـم ادع اي ريب لدى همرشولد وهويلر وكل من اتحدث اليهم فـي هذا الشـأن ، ومن بينهم الجمعـية العـامة كما ذكرت لهـا فـي بياني يـوم الجمعـة الماضي ، في ان تطهير القناة لا يمكن عقـلا ولا عدلا ولا علميا ان يبدأ الا بعـد تمـام انسحاب القوات المعتدية ، هذا بالاضافة الى ما افهمته لهمرشولد من أنـه لا يجوز أن يذهب الى مصر أشخـاص ولا معـدات متصلة بعـمل تطهير القناة بدون اذن الحكومة المصرية ، ومن انه بينما لا نستطيـع ولا نختار أن نمانع في عـمل دراسات نظرية منذ الان بصدد تطهير القناة ، فانني لست متأكد من أن الحكومـة المصرية ستوافق عـلى القيام بعـمل دراسات تطبيقية قبل انسحاب القـوات المعتدية •

ثانيا ـ اتضح من الحديث أن همرشولد لا زال عـند اتفاقه معـنا فيـما يتصل بعـمل قوة الامم المتحـدة ، وبالتسلسل في حلقات تطبيق قرارات الامـم المتحـدة •

ثالثا ـ تحدث همرشولد عن الانباء التي ترد والخطابات التي توجه اليه في شأن معاملة اليهـود والفرنسيين والبريطانيين ، فذكرت لـه أن ما لدي مـن معلومات لا تؤيد تلك الانباء ، ان كل ما هنالـك ان بعض هـؤلاء اتخـذت ازاءهم اجراءات تحفظية اما لانهم خطرون على سـلام الدولة او للمحافظة عـلى سلامتهـم •

زارني همرشولد في المساء وذكر لي على الاخص امرين احدهما ان سلوين لويد قال له في مقابلة بعد الظهر أنه سيسعى لان تقرر حكومته يوما للانسحاب وتبلغه للامم المتحدة ، وأضاف همرشولد أنه فهم من كلام سلوين لويد ان هذا اليوم قد لا يكون قريبا الى الحد الذي تريده مصر ، وان سلوين لويد فهم منه تماما ان مصر لا توافق على بدء تطهير القناة قبل تمام الانسحاب ، والامر الثاني أن سلوين لويد ذكر له أمله في أن يستطيع ابلاغ الامم المتحدة عن ميعاد الانسحاب في مدة لا تتجاوز يومين ، وانه يرجو أن لا تتخذ الحكومة المصرية في هذه المدة أية اجراءات ضد الرعايا المذكورين ، وذلك تجنبا لاضافة صعوبات جديدة الى الموقف ٠ وقال همرشولد انه يتبنى هذا الرجاء ٠ وذكرت لهمرشولد أن هذه التسويفات التي لا تنتهي من الحكومات المعتدية في اتمام الانسحاب امر لا يمكن ان نقبله واننا لا نفهم هذا ، وكنا نفهم أن يقال لنا أن الانسحاب سيتم في مدة لا تتجاوز ثمانٍ واربعين ساعة بدلا من أن يقال لنا أنهم قد يخبروننا بعد ثمانية واربعين ساعة عن موعد تمام الانسحاب ، وان هذه الاساليب امتهان لعقول الناس واهدار لحقوقهم ٠

بالتوازي مع ما تقدم اتلقى تأكيدات عديدة صادرة من نيويورك وواشنطن ان الحكومة الامريكية بالغة الاهتمام بموضوع الانسحاب وعمل كل ما تستطيع في شانه ٠ وقد لا يكون هذا صحيحا ، ولكن لا يسعنا الا المداومة على حث الحكومة الامريكية والامم المتحدة على اتخاذ كل ما يلزم في هذا الشأن ٠

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

١ ــ ذكر لي كريشنا مينون في ضوء شعوره العام وما يسمعه من نواح عديدة ان خطر تجدد القتال في مصر لا زال قائما ٠

٢ ــ اخبرني ان زيارة نهرو هنا ستكون في ١٦ ديسمبر لمدة خمسة ايام يركز جهده اثناءها في العمل السياسي الهادىء اكثر مما يركزه في الخطب والحفلات٠

٣ـ تعلق بعض الاوساط هنا على زيارة نهـرو القادمة بانهـا ستساعـد عـلى المزيد من اتجاه الولايات المتحدة الى انتهاج سياسة اكثر تحررا واقـل ارتباطا بسياسة الدول الغربية الاستعمارية · وسنرى ·

٤ ـ ذكرت لكريشنا مينون وعـلى يونج اهمية مسارعـة نهرو بعـمل كـل ما يلزم في شأن تعجيل القوات المعتدية بالانسحاب وتحذير الحكومات الثلاث من تجديد القتال ، فوعـد بالاتصال بنهـرو في هـذا الشأن ·

٥ ـ أخبرني شبيلوف الذي سيسافر اليوم انه يعـد تجدد القتال في مصر بعيد الاحتمال ، ولكنه لا يقـول ان ذلك مستحـال ، ولا يريـد أن يخـطىء ثانية كمـا فعل حينما ذكر في اكوبر اعتقاده بأن بريطانيا وفرنسا لن تهاجما مصر ·

٦ ـ قال ان هزيمة بريطانيا وفرنسا لم تقتصر عـلى الميدان السياسي كمـا يذكر كثيرون بل تعدتـه الى الميدان العسكري ، لانهمـا كدولتين كبيرتين لـم تستطيعـا تحقيق اهدافهمـا العسكرية ·

٧ ـ قال انه يامـل اذا تجـدد القتال أن يكون استعـداد مصر قد احكـم وأن يكون عـلى رأس وحـدات الجيش المصري ضباط مفرسون يختارون من بيـن من ينتظر منهـم اجادة القتال والصمود هـم وجنودهم الى النهاية ، وأن يكـون المدنيون عـلى اكثر دراية مستطاعـة باستعـمال السلاح وبوسائل الدفاع ·

٨ ـ اعـرب عـن ارتياحه لليقظة التي تبديهـا مصر حتى لا تنقلب عـملية تطهير القناة ، ولو بواسطة الامم المتحـدة ، الى عـملية تدويـل لها ·

٩ ـ ذكر لي بوبوفتش انه لا يعتقد أن القتـال في مصر سيستأنف ، ولكنـه لا يستطيـع تاكيد ذلك بشكل قاطع ·

١٠ ـ استفهم في ابتسام (وبصفة شخصية) عما اذا كان الاتحاد السوفيتي يحرض مصر عـلى اتخـاذ مواقف متطرفة ، فقلت أن موسكو ترى أن يكـون اسلوبنا مزيجا من الحـزم والمرونة ، وامن عـلى كلامي حينما ذكرت أن القاهرة هي التي تقرر بطبيعـة الحال ما تفعـل ·

١١ ـ ذكر أن تيتو بالغ الاهتمام بالمسالة المصرية ، وأن يوجوسلافيا ليس لها في هـذا الشأن اعتراض ولا اطماع ، وانهـا تصدر فـي مساندتهـا مصر عـن اقتناع متحمس مع اتجاهاتها ومصالحـها وسياساتها ·

١٢ ـ ذكر لي همرشولد انه ملاحـق لندن وباريس وتـل ابيب باستمـرار في شأن التعجيل بانسحاب قواتهم ، وانـه مستعين في هـذا بواشنطن التـي

لا زال يجد منهـا تاييدا قويـا وتصميمـا في هـذا الشان · واضاف انه سيعاود الكلام مع لويد قبل سفر الاخير ظهـر اليـوم الى لندن ، وانه لا زال متفائلا ·

١٣ ـ تحدثت معـه فـي شان برقيتكم رقم ٧٧ ، وطلبت منه الاستفهام مـن الفرنسيين عـن نبأ الدبابات ، كما طلبت منه من جديد أن يعلمنا قدر استطاعتـه ما اذا كانت بريطانيا بدورهـا تنزل معـدات وقوات فـي مصر بدلا مما تدعـيه من بدء انسحابهـا ، فذكـر همرشولـد أنه سيطلب من فرنسا وبريطانيا اعـلامـه بالحقيقة ، وكذلك تكلمت في شان الدبابات الفرنسية ضمن خطاب اليوم المرسـل نصه ببرقية مفتوحة رقم ٢٨٣ · وقد علق كريشنا بعدي على هذا وايد طلبي بيانا عن حقيقته وفيما يتعلق ببرقيتكم الرمزية ذكر لي همرشولد أن تعليماتـه الاساسية والتي ما زالت قائمة لبيرنز ـ قائد قوة الطوارىء الدولية ـ هـي أن يدخل الى بورسعيد اكثر مـا يمكن من قوات الامم المتحدة في اوسع ما يمكن مـن مناطق في بورسعيد واضاف انهسيجدد هذهالتعليمات اليوم وينبئني بالنتائجتباعا·

١٤ ـ حدثني كما فعـل البعـض غـيره في شان ما يذاع ويكتب عـن معـاملة الحكومة المصرية للفرنسيين والبريطانيين واليهود في مصر ، وقال انـه لا يـود أن تنقلب هـذه المسالة وتكبر بحيث تلتهب وتفسد العـمل الانشائـي الذي تحاول الامم المتحـدة به اصلاح ما فسد بسبب العـدوان عـلى مصر ، كما لا يود لمصر ان تتخذ هذا الامر ذريعة للتشنيع ولتجديد العدوان عليها · واكون شاكرا لو تسلمت لعلمي البيان الوافـي عـن حقائق هذا الموضوع ، وما ترونـه في شان تناولـه هنا ·

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمـود فـوزي

حدثني نائب وزير خارجية السوفييت في غـياب شبيلوف في شان سوريـا ذاكرا أن القوتلي كان قد اعـرب للحكومة السوفيتية عـن بالغ انشغاله مـن اتجاهات عـدوانية عـديدة ، وعلى الاخص من جانب اسرائيل ، وان الوفـد السوري هنا اتصل بالوفـد السوفيتي وذكـر لـه تجدد وتواتر الانباء الخاصة بتجمعـات اسرائيلية كبيرة قرب الحـدود السورية ، وطلب اليه أن تتحـرى الحكومة السوفيتية هذا الامـر من جانبها · وان الحكومة السوفيتية قامت بهذا التحـري فأسفر عـن انه هنالك حقيقة تجمعـات اسرائيلة وسبابـات

ومعــدات كثيرة قرب الحــدود السورية ، خصوصا في منطقتــي الناصرة وطبرية، وان لم تكن قريبة منهــا الى درجة تتيح الفرصة لاتهامات مقلقة لاسرائيــــل ٠ وأضاف أن التجمعــات الاسرائيلية عــلى اية حــال قريبة من سوريا بدرجــــة خطيرة خصوصا بالنظر الى وسائــل الحرب الميكانيكية الحديثة ٠ كذلك اضاف أن الجو يهيأ الان في اسرائيل وفــي الولايات المتحــدة وبلاد أخرى عــديـــدة للقيام بعــمل عسكري في شأن سوريا بدعــوى أن الحالة فيها مقلقة ، وأن هنالك امتدادا للنفوذ السوفيتي في سوريا ٠ وقال انه قد يكون من الخير اثارة هــذا الموضوع من جديد امام الجمعية العامة لا أمام مجلس الامن ، وان يقدم في شأنه مشروع قرار لعــمل التحقيق اللازم ، ولكنه عــاد فقال أنه غــير واثـــق بتاتا من الحصول عــلى الاصوات الكافية ولا من قبول اسرائيل عــمل التحــقيق لديها ٠ وانني عــلى تشاور في هــذا مع الوفد السوري ولم نصل بعــد الــى رأي فيه حتى نسارع الى اقتراحــه عــلى حكوماتنا ، وقد يكون من ملابســات الموضوع ــ بجانب رغبة الحكومة السوفيتية في مد نفوذهــا بالشرق الاوســط وخلق متاعــب فيه لغــيرها ــ رغبتهــا في تحويــل الالتفات عــن مسألة المجــر، وذلك ما لم أذكره للوفود العربية ٠

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٣٠ نوفمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمـــود فـــوزي

ذكر لي همرشولد اليــوم :

انه تلقى من سلوين لويد رسالة بانه يواجه الان في شأن انسحاب القوات الانجليزية صعوبة لم يكن يتوقعــها كثيرا ، وهي أن هنالك اتجاها في مجــلس الوزراء الانجليز وفي البرلمان لابراز مسألة ما اذا كانت مصر بعــد انسحــاب القوات الانجليزية ستعــامل سفن انجلترا كما تعامــل سفن اسرائيل ٠وان سلوين لويد أشار في رسالتــه الى ما يذكره البعــض في لندن بهذه المناسبة من انكــم ادليتم بتصريح ذكرتم فيــه ان مصر الان في حالــة حــرب مــع انجلترا ، واضاف همرشولد انه بدوره لــم يكن يتوقــع قيام هــذه الصعوبة الاضافية التي يعتقد انه ما كان لها محــل الا بسبب ما يخلقه جو السياسة احيانا من مشاكــل غــير متوقعــة ــ كما اضاف انه مستعــد للمعــاونة عــلى ايجاد مخرج مـــن هذه الصعوبة او صيغة للتغلب عليهــا ٠ وذكــرت لــه ان اثــارة انجلتــرا هذه الصعوبة الان من شأنه ان يعقد الامور بلا لزوم ٠ واتفقنا علـــى ان نترك

الامر مؤقتا عند ذلك ونتيح الفرصة للتفكير وللاتصال بكم ، ويبدو لي انه اذا اتجهت الحكومة المصرية الى عدم التمسك بمعاملة السفن الانجليزية والفرنسية بعد انسحاب قوات البلدين كما تعامل سفن اسرائيل فقد يكفي ان تأذنوا لي باعلام همرشولد بهذا حتى ينهيه بدوره الى انجلترا ، وعند اللزوم الى فرنسا ، اذ أنني لا ارى من اليسير ان تصدر مصر تصريحا رسميا بهذا المعنى تحت ضغط وجود القوات الانجليزية والفرنسية في أراضيها . اكون شاكرا لو ابلغتموني بما تأمرون حتى ابلغه لهمرشولد في وقت قريب ، وبهذه المناسبة ذكر لي همرشولد انه حدث ممثل اسرائيل في شان تصريح بنجوريون الذي قال فيه أن اتفاقية الهدنة المصرية قد ماتت ، وهو التصريح الذي اشرت اليه في بياني امس امام الجمعية العامة ، فقال ممثل اسرائيل ان ذلك تصريح قيل أمام الكنيست ، وليس ارتباطا دوليا .

ذكر همرشولد ان سلوين لويد رجاه أن يدلي بتصريح يقول فيه أن الامم المتحدة سوف تستخدم المعدات اللازمة لتطهير القناة وتحصل عليها من حيثما لزم ، بمعنى أن استخدام المعدات الانجليزية جائز . وعلق همرشولد على هذا بقوله انه طلب غير مستساغ ، ولكن سلوين لويد عد الاستجابة اليه مما يسهل مهمته في اقناع الوزارة والبرلمان للتمشي مع فكرة انسحاب القوات . وانتهى الى القول بانه لا يميل الى اصدار البيان بالاسلوب الذي اقترحه سلوين لويد ، ولكن قد يستطيع تقرير حقيقة قائمة ، وذلك بأسلوب عادي كأن يذكر ان الامم المتحدة سوف تستخدم كل ما يلزم لها من معدات . واكد همرشولد من جديد انه على اية حال يجب ان لا يستخدم في تطهير القناة انجليز أو فرنسيون أو اسرائيليون .

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ١ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

زارني همرشولد وتحدثنا طويلا في هدوء الاحد .

ذكر أن البريطانيين والفرنسيين اتفقوا معه على أن يسلموه غدا مذكرتين فيهما أن الحكومتين ستنفذان قرارات الجمعية العامة عن الانسحاب الفوري ، وذلك من غير ذكر تاريخ معين للانسحاب . وان لويد سينهج نفس الاسلوب في البيان الذي سيدلي به بعد ظهر غد بمجلس العموم ، وقال انه

ىي تلك الحالة سيعلن من جهته أن هنالك تفاهما على الاسراع بالانسحاب بحيث يكون هدفه تاريخيا لا يتعدى ١٤ من ديسمبر ٠

وذكرت ان كل هذا غير مرض ، وان نفس تاريخ ١٤ لم يحز قبولا من مصر باعتباره تاريخا بعيدا ، وأن الانسحاب كان يجب ان يتم في وقت أقرب كثيرا ، وشاركني همرشولد في الاعراب عن الشعور ، وان كان أكد يقينه بأن الانسحاب البريطاني الفرنسي سيتم على أية حال في وقت لا يتعدى يوم ١٤ ٠ واضاف ان البريطانيين والفرنسيين ذكروا له انه ما دام قد تقرر الانسحاب وتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان أي تأخير قد يكون عبئا على الحكومتين واضرارا سياسيا بهما ٠ على أنه قبل أن يعاود الاتصال بالبريطانيين والفرنسيين ٠ في هذا لم يخبرني بالنتيجة ٠

حدثته في شأن انسحاب اسرائيل ، فقال أن الخطوة الاولى ستكون فعلا انسحاب أسرائيل مسافة غير كثيرة من منطقة قناة السويس ، وأن هذا لن ينسيه الاصرار على التنفيذ الكامل لقرارات الجمعية العامة ٠

حدثته من جديد في شأن عمل بيرنز ذاكرا أن هذا لا يتناول بأي شكل تطهير القناة أو التحقيق أو حفظ الامن أو غير ذلك من أعمال السيادة المصرية ، فوافق همرشولد على هذا ، كما وافق على ما ذكرته له من أن بيرنز اخطأ عندما عين كمساعدين له بعض الاشخاص المنتمين الى جنسيات غير مرغوب فيها كالفرنسيين والنيوزيلنديين والاستراليين ، وقال انه منبّه اياه الى ذلك والى وجوب تصحيحه ٠

ذكر أن الفريق والاستعدادات لتطهير القناة على اتم الاهبة للعمل فورا ، وأنه واثق من أن الحكومة المصرية سوف تؤيدهم وتيسر قيامهم بعملهم بسرعة ٠

اتصل الحديث بالنواحي القانونية في شأن اعتبارات السيادة المصرية، يجب ان تراعى بدقة كما يجب ابراز وقتية هذا جميعه ٠

فوافق على ذلك وقال أنه سيؤكده لستافروبوليوس رئيس الادارة القانونية بالسكرتارية ، واني من ناحيتي قد أكدته لعمر لطفي الذي يبحث هذه النواحي مع ستافروبوليوس ، وهو بحث سنسارع بارساله الى مصر بمجرد تمامه مبدئيا في نيويورك ، وذلك تمهيدا لحضور ستافروبوليوس الى القاهرة لاتمام البحث مع الجهة المختصة ٠

تحدث عن الفرنسيين والبريطانيين واليهود في مصر ، وسلم بأن الضجة التي أثيرت أخيرا حول معاملتهم لم تكن متمشية مع الحقيقة ٠

حدثته في شأن سوريا والاردن والعـراق وحالة عـدم الاستقرار في تلـــك النواحـي وما يقال عـن تدبيرات تركية واسرائيلية وغربية وسواها قد تسبـب تفاقما في هذه الحالة ، فقال انه من ناحيته منشغل واسف في نفس الوقت لقلة وتضارب الانباء التي لديه ، وانه رغـم ذلك عـامـل عـلى أن تساعــد لجهات المتصلة بهـذا الموضوع ، وعـلى الاخص امريكا ، في ان لا يفلت الزمام ولا يحصل انهيـار • وبهذه المناسبة أذكر أن ممثـل سوريا الدائـم لدى الامـم المتحدة أخبرنا انه تلقى من حكومتـه ما يفيـد بـأن المخاوف التي اعربت عـنهـا سوريا في المدة الاخيرة ، وفي برقية وزير خارجيتها أمس لهمرشولد ، ليس لهـا اساس كاف • كذلك أخبرنا أن رئيس الوفد الروسي بالنيابة لا زال يلاحق الوفد السوري لكي يثير هـذا مسالة سوريا من جديد ، وعـلق عـلى هـذا بـــأن قصد الوفد الروسي تحويل الالتفات عن مسالة المجر التي ستثار من جديد امام الجمعية غـدا • واننا عـاملون عـلى الاحتفاظ بطابع المودة والتعـاون مـــع الوفد الروسي •

زرت همرشولد في المساء لمتابعـة حديث الصباح •

أخبرني انه اتصل برئيس وفدي انجلترا وفرنسا، وعلم منهما انه صدرت تعليمات مبدئية لـ «كيتلي» ـ قائد قوات الغزو البريطاني الفرنسي ـ بان يتم الانسحاب في وقت لا يتعدى اليوم الذي سبق التفاهم عليه، وان هذه التعليمات سترسل غدا من جديد في نفس الوقت الذي يدلي فيه لويد ببيانه لمجلس العـموم • وانهمـا كذلك أعلمـاه ان حكومتيهما اكدتا الرغبة الان في اتمـام الانسحاب ، وان هـــذه الرغبة لن يعـوق تحقيقها اي عائق من الناحيتين البريطانية والفرنسية ، وأضـــاف همرشولد أنه بالاتصال مع هـذا وبدون أي تسليم منه باي ارتباط بين قوة الامم المتحـدة وبين القوات الانجليزية والفرنسية ، ولكن لكي يتفادى اي حجة بريطانية فرنسية لتأخير اتمام الانسحـاب فانه بمجرد ان ترد الانباء بادلاء لويد ببيانه ، وينتظر أن يكون هـذا غـدا بعـد الظهر في لندن وقبل الظهر في نيويورك ، فانه سوف يذيع البيان المرسل بالبرقية التي سترسل عقب الانتهاء من هذه البرقية •

وقد أبديت له ، وسلم من جانبه بأن هـذا ليس أحسن ما يمكن أن يكـــون ، لكنه لن يغـير شيئا في حقيقة ما سيحـدث فعـلا ، وأن الانسحاب البريطانـي الفرنسي سيتم في اعتقاده في وقت لن يتعدى ١٤ ديسمبر • اما فيما يتصـل بانسحـاب اسرائيل فقد أطلعـني عـلى نص كتاب سيوجهه صباح غـد الـــى جولدا مائير مجدداً الاستفسار عـن الانسحاب الاسرائيلي وتنفيذ قـــرارات الامم المتحـدة الخاصة بـه •

حدثته في شأن برقيتكم أمس فقال انه سيصدر الليلـة الى بيرنز تعليمـات

في هـذا تتضمن أيضا ان تكون الوحـدة التي سترسل يوغوسلافية ٠

حدثته في شان تعليماتكم التي جاءت بالبرقية الرمزية (٠٠٠) فذكـــر أن الدافع الرئيسي له الى اقتراح التغييرات التي رأى ادخالها هو عـدم رغبتـه في الاعتراف برباط رسمي بين قوة الامم المتحـدة والقوات المعتدية ، وهـذا ما أقره عـليه وأرى من الهـام ان يراعـي بدقة ٠ كما أقره لهـذا السبب عـلى أن تحـذف المقدمة ويحـل محلها كعـنوان كلمة « مفكرة » ٠

وان لا يكون الامر اعلانا يذاع ولكن مفكرة من ثلاث صور ، احداها لدى الحكومة المصرية والثانية لدى بيرنز والثالثة لدى القوات البريطانيـة الفرنسية ٠ ومن جهة أخـرى اقتنع همرشولد بالعـودة فيما عـدا هـذا الـى النص الاول الذي تم الاتفاق عـليه مع بيرنز ٠

وسيصدر تعليمات في هـذا الشأن الى بيرنز الليلة .

تحدثنا في شأن تطهير القناة ، وذكر ان « هويلـر » وعـددا من مساعـديه سيكونون في اثينا الثلاثاء ، وأنه يرجـو أن تأذن لهـم الحكومة بالسفر الـى مصر وتهيىء لهم سبيل الاتصال بالجهة التـي يراد أن يتحدثـوا اليها ، وأن تبرق بهـذا مباشرة الى سفارتنا في أثينا كسبا للوقت ويخطرنا به ، وسلـم همرشولد بلا تردد بانه يجب أن يظـل مفهوما انه لن يسمح ببـدء تطهيـر القناة الفعـلي الا بعـد تمـام الانسحـاب البريطاني الفرنسي ٠

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ٦ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محـمـود فـوزي

أولا : حدثني همرشولد أمس واليوم فيما يلي :

ا ـ فهم ان الحكومة المصرية طلبت مساعـدة ممثـل مدير هيئة اللاجئيـن بالقاهرة في شأن اليهـود الذين يـراد خروجهم من مصر ، وأبدى شيئا مـن الاستغراب لهذا الطلب قائلا انه نوع جديد ، وذكر انـه سيطلب الـى ممثل هيئة اللاجئين بعـض الاستفسارات في هـذا الشأن قبل أن يستطيـع اتخـاذ أي اجراء ازاءه ٠

ب ـ ذكر أن الحكومة المصرية طلبت ان يرحل الى مصر السيدات والاطفال من سكان غـزة ، وانه في حاجة الى مزيد من الوضوح فـي هذا الشان كذلك.

جـ ـ قال ان انسحاب الانجليز والفرنسيين سائر بسـرعة ، ولا ينتظـر ان يتأخـر عـن ١٤ ديسمبر ، وانه تحـدث اليوم من جديد طويلا مع وفـــد اسرائيل في شأن انسحـاب قواتهـا وينتظر بيانـا عـن هـذا غـدا ، كما يامـل أن يكون هـذا البيان خيرا مما يتوقـع البعـض . كذلك قال انه يشاطر مصـر تمسكها بالا تجني اسرائيل اي ثمرة لعدوانها والا تبقى غزة وتيران وصنافير في يـدها . وقـال أيضاً رداً عـلى ملاحظة على عـدد قوة الأمم المتحدة وما يبدو من انه كبير ، خصوصا بعـد الانسحاب البريطاني الفرنسي ، ان الفكرة هي التأثير عـلى اسرائيل وادخـال اكثر ما يمكن من قوة الامم المتحدة في غـزة وحول خط الهدنة.وكان قد حدثني هو و « بانش » عن الاتجاه للاتصال بالحكومة المصرية كي يضاف الى قوة الامم المتحـدة الحـالية ما يلـزم لابلاغها ٦ الاف.

د ـ تكلم عـن تطهير القناة فقال انه غـير ملق بالا لاي كلام عـن بدء التطهير فعـلا قبل تمام الانسحـاب الانجليزي الفرنسي ، من جهة .

ثانيا : ذكر في شيء من التـردد أن هنالك جنوب خـط وقف اطلاق النـــار بعـض سفن نرويجية صغيرة محجوزة ، ولكنها تستطيـع مواصلة سيرهـــا ، خصوصا وان بحارتها موجودون ، وأكد ان هذا لن يستتبع باي حال اي بدء لعـملية التطهير ذاتهـا .

وسألت عـن الموعـد الذي ينتظر فيه ان يقـدم الى الجمعية تقريره بمشروع تطهير القناة كما طلبت الجمعية بقرارها يوم ٢٢ نوفمبر ، فقـال انـه غير متأجـل هـذا ولا مستعـجل « هويلر » .

هـ ـ اشار الى حـل مسألة قناة السويس قائلا انه تسلم ردا من فـرنسا بأنها تقبل معـاودة البحث فـي ذلك من حيث انتهت الجهـود السابقة ومن غـير أي ذكر لاقتراحات الـ ١٨ . وأضاف انه يعتقد ان هـذا هـو موقف انجلتـــرا كذلك رغـم ظواهـر الاشياء ، وأن عـلى بريطانيا وفرنسا أن تختارا بين أحـد أمرين ، اماّ التنازل عـن اقتراحات الـ ١٨ ، والتحفظ بمعـاونة السكرتير العام، واما التمسك بهـذه الاقتراحـات والاستغـناء عـن معـاونة السكرتير العـام .

وذكر عـلى هامش هـذا انه بينما يحتمـل أن الوزارة الفرنسية باقية بعـض الوقت ، فان بقاء الوزارة البريطانية أمر اقـل احتمالا ، وان كان أحـد لا يستطيع التنبوء بالمستقبل . وعـاد الى الاشارة بمسألة القناة ذاكرا انه اذا أريد حلها

فعلا في وقت معقول فليست الجمعية العامة هي الاداة العملية لهذا الحل ٠

و ــ عمدت على اعداد مفكرة لمسألتي التحقيق والتعويض في شأن العدوان الثلاثي الاخير ، ووجدت منه تفهما طيبا ، على انني لم افض في تناول أسلوب او حتى مكان السير في هاتين المسألتين ، وخاصة الثانية منهما ٠

ثالثا ــ ذكر «بانش» ـمساعد همرشولد ـ ان اليهود بالغوا في وضع الالغام في المناطق التي كانوا فيها ، وأن السكرتارية لا تعلم بعد ما تم في شأن ابار البترول لان القوة اليوغوسلافية عاق سيرها فترة الالغام ، وأخرت وصولها الى مناطق الآبار ٠

رابعا ــ اجتمعت الوفود العربية أمس ، واجمعت على أن تقاوم كل محاولة لبحث مسألة فلسطين في الوقت الحاضر ٠

خامسا ــ ذكر لي السفير السعودي اليوم أنه قابل « رونتري » ــ وكيل وزارة الخارجية الامريكية ــ عدة مرات وحدثه في شأن سوريا ذاكرا له ضرورة التعاون العاقل حتى لا تنهار الامور في سوريا وحولها ، وأن المملكة السعودية تنصح بالا تجافي أمريكا سوريا ، وانه انبنى على ذلك أن ذهب السفير الامريكي في دمشق لمقابلة رئيس الوزراء ووزير الخارجية وابدى حسن استعداد حكومته ، كذلك قال السفير أنه تكلم مع « رونتري » في شأن فلسطين طالبا عدم المسارعة في حاولة طرحها للمناقشة ، كما تحدث اليه في شأن السويس ووجوب متابعة العمل على ارضاء مصر بالنسبة لها ٠ وابدى السفير أنه غير مرتاح على اية حال لموقف امريكا نحو القضايا العربية رغم ظواهر الامور التي توحي بعكس ذلك ٠

سادسا ــ قابلني كريشنا مينون ومعه علي جانج بحضور عمر لطفي، وقال انه يعتقد اذا استؤنفت المباحثات لحل قناة السويس فيجب أن تبدأ من أساس جديد غير قرار مجلس الامن يوم ١٣ اكتوبر والاسس التي لخصها همرشولد يوم ٢٤ أكتوبر ، وشجعت فكرة أن يكون استئناف المباحثات على اساس جديد ، كذلك دار الكلام عن مسألتي التحقيق والتعويض في شأن العدوان الاخير ، ولم تصل به الى رأي معين في خير اسلوب لتناول هاتين المسألتين٠ وذكر انه على اية حال لا بد اولا من انهاء ما سماه حالة الحرب بين مصر وبين انجلترا وفرنسا ٠

سابعا ــ قابلني نائب وزير خارجية روسيا اليوم وذكر لي ان حكومته بالغة الاهتمام بدراسة واتخاذ ما يلزم في شأن الامور الاقتصادية وما اليها مما طلبت حكومة مصر بحثه ٠ وتحدثنا في شئون سوريا وفلسطين والجزائر

والسويس والعدوان الثلاثي الاخير وما يتصل به من انسحاب وتحقيق وتعويض • ووجدت منه تفهما طيبا لوجهة نظرنا ولاسلوبنا ، وان كان أبدى ـ كغيره من القليلين الذين تحدثت اليهم في هذا الشأن ـ أن السير بمسألتي التحقيق والتعويض عن طريق الجمعية العامة سوف يعترضه حتما صعاب لا يستهان بها ، ومن بينها ما ينتظر من اتجاه واشنطن الى تصالحها البين مع بريطانيا وفرنسا ، ومن صوبة الحصول على الاصوات الكافية ، بجانب أن ما تقرره الجمعية خصوصا لمسألة التعويض لن يعدو ان يكون توصية ، على أنه وافق رغم هذا على وجوب مواصلة التفكير والبحث وعمل الاتصالات اللازمة في هذا الصدد •

ثامنا ـ طلب مني همرشولد الليلة ان تعطي تعليمات سريعة لسفارتنا باثينا بمنح التاشيرات للجنرال هويلر ومن معه لكي يتمكنوا من السفر الى القاهرة بسرعة •

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ١٢ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

فيما يتعلق بما طلبتموه من ضرورة الحصول على تعويض لمصر عن الخسائر التي لحقتها بسبب العدوان الاخير ، ارى بعد التفكير والتشاور :

١ ـ ان يستمر تمهيد الجو لهذا والاتصال مع الدول في شانه • وقد تحدثت فيه الى مدى مع المجموعة الافريقية الاسيوية اليوم • كذلك تحدثت فيه بعض الشيء مع وفود جديدة من بينها وفود الهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة •

٢ ـ ان يطلب الى الجمعية بحث هذا الامر ، ويقدم اليها مشروع قرار يتضمن فيما يتضمنه الاشارة الى العدوان وقرارات الجمعية الخاصة به ، والاضرار التي حدثت للاهالي والقناة وغزة وبور سعيد ، والى تعطيل الملاحة في القناة وايقاف الحركة في الموانيء المصرية • ويطلب فيه تكليف السكرتير العام ببحث هذه الامور وتقديم تقرير عنها للجمعية كي تتخذ بشأنه ما يلزم • وبينما لا ارى ان يحدد في مشروع القرار مبلغ معين ارى ان يشار فيه الى جسامة الخسائر التي تكبدتها مصر ، ويمكن بجانب هذا ان يذكر فيما يدلي الى الجمعية

به من بيان ان تلك الخسائر بلغت مئات كيثرة من ملايين الجنيهات • واذا فضل ذكر مبلغ ، فخير في رايي واصح فنيا ، ان يكون هذا فيما يدلي به من بيان وليس في مشروع القرار خصوصا وان المشروع يتضمن البحث وتقديم تقرير عن مقدار الخسائـــر •

ولم اكون بعد رأيا فيما اذا كان من الافضل في نفس الوقت توجيه مطالبـة مباشرة الى كل من بريطانيا وفرنسا ، وكذلك الى اسرائيل ان وجدنا الى هـــذا وسيلـــة •

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويـــورك ١٣ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فـــوزي

تحدثت اليوم مع همرشولد قبل سفري الى واشنطن حيث ساكون حتى مساء ١٤ الجاري ، ثم :

١ ـ كلمته في تصريح « هويلر » الذي اشرتم اليه في برقيتكم الي امس فكتب في الحال اليه برقية حازمة اللهجة نبهه فيها الى وجوب الامتناع عن مثل ذلك وعن كل ما لا يدخل بدقة في عمله الهندسي •

٢ ـ حدثته من جديد في شان رفع علم الامم المتحدة (محادثتكم التليفونيـة صباح اليوم) فذكر انه مسلم بوجهة النظر المصرية ، وبان اعلام الدول المشتركة في قوة الامم المتحدة لا ترفع الا ان اذنت بذلك الحكومة المصرية في ظـــــروف استثنائية كالاعياد الوطنية وسواها ، وبان علم الامم المتحدة وحده هو الـــذي يرفع في الاماكن التي توافق الحكومة على رفعه فيها •

٣ ـ اتصل الحديث بالدول المشتركة في قوة الامم المتحدة ، فقال انـــه تلقى من « بيرنز » ان الحكومة المصرية لا تعارض في البرازيل ، ثم وافق على ان يبعث من جديد « لبيرنز » للتحقق من هذا ، ولكني ذكرته انني اعلمه بصفة سرية عدم موافقة مصر على اشتراك باكستان للاعتبارات التي يعلمها والمتصلة بحلف بغـــداد وما اليـــه •

٤ ـ تكلم عن الانجليز والفرنسيين في مصر فقال ان الوفد البريطانـــي والفرنسي ذكرا له ان حكومتيهما تفضلا في الوقت الحاضر بعد اعادة التفكيـــر

ان لا يثار هذا الامر في الجمعية · كما ذكر له انهما تشعران بشيء من التحسين في هذا الشأن · على انهما اضافا امرين : احدهما ان الممثل البريطاني تلقى من حكومته استغاثة جديدة بشان الخبراء المحجوزين في مصر ، وذلك بالنظر على الاخص للمناقشة التي يحتمل ان تثار غدا في البرلمان حول هذ االموضوع · والثاني هو ان اسرائيل لا زالت تفكر في ان تثير في الجمعية موضوع اليهود ، وهو ما ذكر بمناسبته ان اسرائيل على اية حال سائرة في سياسة ملتوية قصيرة النظر ·

٥ ـ كلمته من جديد في مسالة اعمال التخريب والقتل الاسرائيلية في غزة وسيناء وسالته عن آخر ما لديه من انباء ، فقال انه تحدث مساء الامس مع وفد اسرائيل فأكد له هذا انه سيوافيه قريبا بقرار حكومته ان يتم انسحاب اسرائيل من معظم سيناء قريبا وان اسرائيل ستكف عن وضع الالغام ، ولكنه قال في استهتار انه لا يستطيع بعد التاكيد بان قوات اسرائيل ستكف عن اعمال التدمير الاخرى · وأضاف همرشولد انه مستمر في ضغطه على اسرائيل وانه يامل الا يضطر حاليا الى تقديم تقرير للجمعية عن عدم تنفيذ اسرائيل لقراراتها مما سوف يستتبع مناقشات طويلة جديدة وتعقيدا اضافيا للامور ، ولكنه سوف يفعل ذلك اذا اضطر اليه · وكنت قد اعلمته باتجاهنا الى اثارة هذا الامر في الجمعية اذا لم يتلاف بسرعة وحزم ·

وانتقل الحديث الى ما نشرته بعض الصحف من ان وزيرة خارجية اسرائيل قائمة بمفاوضته في مستقبل غزة ، فقال ان هذا لا اساس له بل هو يغاير الواقع وانه ملاحق اسرائيل على الدوام كي تجلو عن غزة بدون اي شروط·

٦ ـ تكلمنا عن الحالة الدولية وما جد عليها من انهيار اضافي حتى منذ مساء امس وما زاد وضوحا من انها تقارب بسرعة درجة الانفجار ، ولو انها غير ميئوس بعد تماما من تلافيها ·

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويورك ١٤ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيس

من محمود فوزي

قابلت « هوفر » مساء اليوم مع السفير ، وحضر الاجتماع « ميرفي » وكيل الخارجية بالنيابة ، و «راونتري» مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق

الاوسط ورئيس قسم مصر ، وتناول الحديث المواضيع الاتية :

١ ـ تكلمنا قليلا عن المجر فقال « هوفر » ان الحالة خطيرة وان روسيـا مضطرة للاحتفاظ بعدد كبير من فرق جيشها في بلاد شرق اوروبا ٠

٢ ـ تكلمنا عن الجزائر فذكرت له وجهة نظرنا وضرورة التعجيل في استقلال الجزائر ولو بحل يشبه ما كان بالنسبة لمراكش وتونس ٠ فقال « ميرفي » الـذي سبق له الاقامة حوالي اربع سنوات بالجزائر انه رغم ثوران العاطفة حول هـذه القضية من الجانبين فان عنده في ضوء متابعته للتطورات الاخيرة املا في الوصول الى تفاهم بشأنها بين الجزائريين والفرنسيين ـ واضاف « هوفر » انه لا يستطيع ان يتنبأ بالشكل الذي سيتخذه ذلك التفاهم ٠

٣ ـ تكلمنا عن قناة السويس ، فقال « هوفر » انه من الضروري جـدا الا يحدث اي تأخير في تطهير القناة ، ومن الاهم الا يربط التطهير بتمام الانسحاب للقوات البريطانية والفرنسية ، خصوصا وان بريطانيا وفرنسا قد ارتبطتـا ارتباطا جازما بانسحاب سريع ، وان اي شعور في العالم (وقد تأثرت ولا زالت تتأثر مصالحه بتعطيل قناة السويس) بأن هناك تأخيرا لا لزوم له في تطهيـر القناة بسبب صعوبات تقيمها مصر ، فان ذلك سينتج عنه حتما انقلاب الشعـور العالمي بين ليلة وضحاها من التأييد القوي لمصر الى السخط الشديـد عليها ٠ واضاف ان الانباء الآتية اليه تشعره بأن هناك صعوبات تقام من جانب مصر في طريق الاسراع بعمل التطهير وان من بين هذه الصعوبات عدم السماح لفريق الامم المتحدة بالذهاب بمعداته جنوبا لمتابعة عمله ٠ فقلت انني لا اعتقـد ذلـك وان المعلومات التي لدي لا تتضمن ان هناك اي تعطيل ، وانني حتى امس كنت اتكلم مع همرشولد في شأن تطهير القناة ولم يبد لي اي تشكك ، بل بالعكس جدد اعرابه عن الارتياح للمعاونة التي يلقاها هويلر وفريقه من الحكومة المصرية ـ كذلـك قلت ان طبيعة الاشياء قد تجنبنا جميعا من الوجهة العملية الدخول في اي جدل بهذا الصدد ـ اذ ان هويلر وفريقه سيحتاجون الى ايام عديدة لاتمام دراساتهـم النظرية والتطبيقية ، وان من المنتظر ان تكفي تلك الايام لانسحاب ما بقي مـن القوات الانجليزية والفرنسية واضفت الى هذا ايضاحا لمدى التساهل والتعـاون الذي تقدمت به مصر ـ واننا رغم اعتبارات الشعور العام الطبيعي بين المصريين في الظروف الحاضرة سمحنا بذهاب هويلر وفريقه وقيامهم بالدراسات التطبيقية ـ كما سمحنا بان يستخدم هويلر معدات من اية جهة ، ولا نـرى كيف يطلب ان تتجاهل الحكومة المصرية الاعتبارات السياسية الواضحة في هذا الشأن وتغض النظر عن الراي العام ومشاعر الشعب المصري ، وتسمح بأن يبدأ فعلا في عمليـة التطهير قبل ان يتم انسحاب البريطانيين والفرنسيين ٠ وسأل هوفر لماذا لم تسمح مصر بأن يبقى الفنيون البريطانيون مع المعدات البريطانية ما دام ذلك تحت لواء

الامم المتحدة ـ فقلت ان هذا الامر وسابقه متشابكان ـ وعلق هو على ذلك قائلا انه كان مهندسا طول حياته ويعرف كيف ان من العسير جدا الاطمئنان لحسن ادارة تلك المعدات الضخمة المعقدة برجال غير الفنيين المتعودين على ادارتها ٠ ولاحظنا انه لم يتكلم عن الحل المستقبل لمسالة قناة السويس ، ولم نتكلم نحن من جهتنا فيه ٠

٤ ـ تكلمنا عن فلسطين وذكرت انه من الخير الا تعالج مسالتها قبل الوقت المناسب وبعد التفاهم التام مع البلاد العربية جميعا ، ولم يبد كبير معارضة في هذا الشان ، وان كان قد ذكر ان حكومته كبيرة الاهتمام بحل هذه المسالة التي هي من الاسباب الرئيسية لعدم الاستقرار في جميع المنطقة ، وقال ان حكومته سوف يسرها تبين راي الحكومة المصرية في هذا الشان ـ وتساءل عما اذا كان الافضل علاج المسالة في الامم المتحدة عن طريق اقتراح كالذي قدمته الحكومة الامريكية، او بطريقة وضعها (تحت مظلة الامم المتحدة) مع التمهيد لحلها خارج الامم المتحدة اولا عن طريق اتصالات غير رسمية وجس نبض يقوم به فرد او مجموعة قليلة من الافراد من غير ان يكونوا وسطاء بمعنى الكلمة ، او لجنة رسمية ، حتى اذا ما بدا ان هناك آملاً للاتفاق على اسس للحل أمكن السير بالمسالة باجهزة الامم المتحدة التي يجب على اية حال ان يحتفظ دائما بالصلة بينها وبين القضية الفلسطينية ٠

٥ ـ تكلمنا عن الاضرار التي لحقت بالرعايا المصريين وبالممتلكات المصرية الحكومية والفردية ، وبالاقتصاد المصري عامة ، بسبب العدوان الاخير ، ولما ذكر هوفر كلمة المساعدة قلت له ، كما سبق ان قلت « للودج » في نيويورك ، ان مصر لا تطلب مساعدة لا رسميا ولا بشكل غير رسمي ، ولو ان الامر قد ينتهي الى ذلك ٠ واضفت ان هنالك ناحية اخرى هامة في كيف يجب تناول موضوع التعويض عن تلك الاضرار ، وذكرت انه حتى لو اثير في الجمعية العامة كما قد نضطر الى ان نفعل فان هذا لا يمنعاي محاولة لحلهذا الموضوع خارج الجمعية٠ كذلك اوضحت ما سبق ان اوضحته « للودج » في شان المظهر والاثر السيئين لقيام الولايات المتحدة بدور من يساعد المعتدين وينسى حتى ذكر مساعدة مصر وتعويض الاضرار البالغة التي لحقت بها ، فاجاب بان هذه نصيحة لها اهميتها ، ومع ذلك فان سياسة الولايات المتحدة تهدف الى تحقيق المصلحة الذاتية الامريكية المستنيرة ، وانها تنظر الى الشئون الاقتصادية لكل المنطقة كمجموعة متكاملة ، ولا تنظر الى دولة بذاتها ، ولم يبد رد فعل ازاء الوضع الخاص بمصر٠ وقال انه فيما يتعلق ببريطانيا ومساعدتها فانه مما استلزم هذا واوجب المسارعة اليه هو ان اكثر من ثلث تجارة العالم يقوم على اساس الاسترليني ، وان الامر اذن غير قاصر على بريطانيا ـ وقلت اننا لا نهدف الى الافساد بينكم وبين اصدقائكم، وانما نهدف الى مزيد من التفاهم والتعاون بينكم وبيننا ، والى مزيد من تصفية

الجو وتدعيم ما ربحنا جميعا في هذا الشان نتيجة لموقف امريكا من العدوان على مصر ، واتبعت هذا بان تكلمت عن استمرار الحكومة الامريكية في سياستها الخاصة بتجميد الارصدة المصرية وما لهذا من مظهر وآثار سيئين ، خصوصا اذا قورن بموقف الولايات المتحدة واستعدادها لبذل العون للانجليز والفرنسيين المعتدين ـ وكرر هوفر المعاذير التي قدمتها الولايات المتحدة منذ البداية لتبرير تصرفها هذا ـ ولكنه لم يظهر اي رد فعل ايجابي في اتجاه الافراج عن تلك الارصدة ٠

٦ ـ تناول الحديث المنطقة في مجموعها والعلاقات بينها وبين الولايات المتحدة ، فذكرت انه من التناقض العمل على تقوية غرب اوروبا مع اضعاف العلاقات بالشرق الاوسط ، اذ ان هذا يضيع الغرض الاول من تقوية غرب اوروبا ، فقال هوفر اننا بطبيعة الحال نريد تحسين العلاقات مع جميع بلاد المنطقة ـ وقال من ناحية اخرى بان اعتماد غرب اوروبا على الشرق الاوسط اقل مما يبدو ان البعض يتصوره ـ وانه في الوقت الحاضر تقوم اكبر حملة عرفها التاريخ لاستنباط البترول في مناطق غير الشرق الاوسط ، كما ان شركات بناء السفن مضاعفة جهودها للاسراع ببناء ناقلات بترول ضخمة ـ واضاف الى هذا انه من الخير والتبصر ان نسارع جميعا الى العمل على تلافي ذلك الاتجاه في اقرب وقت ممكن وقبل فوات الاوان ٠ وذكر ان كل ما تهدف اليه الحكومة الامريكية في المنطقة هو الاستقرار والامن في ارجائها جميعا ـ ثم اتبع هذا بأن قال ان هنالك امرا يعده على اكبر جانب من الخطورة ، ويرى فيه هدفا لكل المحاولات التي تبذل لتحقيق الاستقرار والامن ولتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة وبينها ، وذلك بان لدى الحكومة الامريكية تقارير وافية من مراقبيها واجهزتها في المنطقة بنشاط « قد لا يكون معلوما لي ولا للسفير ، بل وقد لا يعلمه الرئيس » ، ولكنه نشاط توقن الحكومة الامريكية من قيامه ، وقد كان من احد مظاهره ما حدث في الكويت وفي اسرائيل ـ بل ان بعضه صار علنيا كالذي حصل اخيرا في لبنان ٠ وختم كلامه في الموضوع بان قال انه اذا لم يوقف هذا النشاط المخرب الذي يقوم به هؤلاء العملاء المتهوسون فان ذلك سوف يقضي على كل امل في الاستقرار والتفاهم ، ورجا ان انهي هذا اليكم ، فوعدته بذلك ٠

فوزي»

. . . . . .

. . . . . .

نيويــورك ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦

الى السيد الرئيـس

من محمود فــوزي

زارني همرشولد مساء اليوم ليذكر :

١ ـ ارتياحه الكبير لاتمام الانسحاب البريطاني الفرنسي ولظهور الضابط البريطاني الذي كان اختفى ٠

٢ ـ ان موقف اسرائيل من الانسحاب تحسن اليوم كنتيجة للضغط المستمر عليها ولو انها ستواجهنا من ناحية ثانية بمسألتي غزة وتيران ، وانه كما بين للجمعية امس منتظر مطالبة اسرائيل بتنفيذ كل القرارات تنفيذا كاملا ٠

٣ ـ انه ادخل بعض التعديل على النص الذي اطلعني عليه امس ببرقيتـه الى هويلر والذي بعثت به اليوم ـ وذلك بان طلب تفاصيل اكثر ٠ وانه ابرق اليوم الى سلوين لويد كتابا من ست صحف الح فيه على وجوب الخروج من موقـف التعنت والتعقيد البريطاني في شان السفن اللازمة للتطهير وعدم الاخذ في هـذا الشأن بمقاييس رجال البحرية والشكليات العقيمة التي يتمسكون بها ويتناسون فيها الاعتبارات السياسية الحيوية ٠

٤ ـ ان «نهرو» تحدث اليه امس عن شئون الشرق الاوسط حديثا عابرا لم يتناول فيه اي حل عملي لاي مسألة ٠ وان كريشنا سيزوره هذا المساء ، وانـه يأمل الا ياتي نشاط « كريشنا » المتصل بمسائل الشرق الاوسط بضرر وبلبلة اذا لم يات بمنفعة ٠ وبعد ان عاد الى مكتبه بعث الي بصورة رسالة شخصية قال انه تلقاها في الحال من « بينو » وانه يود لو تحدثنا بغير صفة رسمية في كيفيـة تناولها ٠ وموضوع الرسالة معاملة الفرنسيين في مصر ، وصورتها مرسلـة اليكم في برقية على حدة ٠

فوزي » ٠

الحديث العشرين:

رسائل جمال عبد الناصر من القاهرة الى محمود فوزي في نيويورك

كيف كان جمال عبد الناصر يقود صراعه ضد التواطؤ ــ والعدوان ــ الثلاثي ؟ كيف كان يفكر ؟ كيف كان يصدر قراراته ؟

لقد وجدت ان خير اجابة على هذه الاسئلة هي ان اضمن هذا الحديث ــ الاخير في هذه السلسلة ــ نماذج من رسائله الى الدكتور محمود فوزي في نيويورك ٠

لقد رأينا من قبل خلال هذه الاحاديث رسائل كثيرة من محمود فوزي الى جمال عبد الناصر ، فكيف كانت رسائل جمال عبد الناصر الى محمود فوزي ؟

سوف اعرض هنا بعضا منها كمجرد نماذج ، ولعلي اكتفي في التمهيد لها ان اقول انها جميعا تنطق بأسلوبه ، واصولها جميعا مكتوبة بخط يده ٠

. . . .

. . . .

القاهرة ٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارى انه من اللازم ، بعد ان اتضح ان اسرائيل قامت بتخريب طرق المواصلات والسكك الحديدية في سيناء ، وكذلك وضع الغام على هذه الطرق مما يسبب تعطيل طويل الامد لتقدم قوات الامم المتحدة لمتابعة الانسحاب الاسرائيلي والوصول باسرع ما يمكن الى منطقة العريش/رفح/غزة ٠ لذلك ارى تقديم مذكرة لهمرشولد توضح هذا الوضع ونقترح فيها ان تنقل قوات الامم المتحدة الى العريش رأسا ، وهي اول مدينة آهلة بالسكان ويهمنا امرها في سيناء ، على ان يكون النقل بالطائرات الى مطار العريش او بالبحر ، مع مراعاة انه لا يوجد ميناء بل يمكن انزال القوات بقوارب الانزال من ناقلات الجنود ، وبذلك يتم بسرعة انقاذ السكان المدنيين في العريش ورفح وقطاع غزة ، وحماية باقي خطوط المواصلات ، وحتى نضمن الا تستمر المذابح من جانب اسرائيل ضد الاهلين ، على ان يذكر في هذه المذكرة ان هذه المذابح

ما زالت مستمرة بطريقة منتظمة وان التخريب قائم على نطاق واسع في جميع المنشآت الموجودة في سيناء ·

جمال»

. . . . . .

. . . . . .

القاهرة ٨ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارى الاكتفاء بالثماني دول المتفق عليها لتكوين قوة الطوارىء ، ولا ارغب في زيادات تجنبا لاثارة مشاكل جديدة ، ولذلك ارجوكم العمل على اكمال العدد الباقي لتكوين القوة من الدول الثماني المتفق عليها فقط ·

اما بالنسبة للقوة الكندية ، فأرجوك تذكير همرشولد بما اتفق عليه في القاهرة من ان هذه القوة لا تصل الى مصر الا بعد اتمام عمليتي الانسحاب من بور سعيد وسيناء وغزة ، وما تعاوننا وتساهلنا احيانا الا على اساس عدم نقض همرشولد لما اتفق عليه · والاحظ انه رغم اتفاقي مع همرشولد في القاهرة على اشتراك قوات اندونيسية فانها لم تصل حتى الان ، ولذلك ارجو العمل من جانبكم على زيادة عدد هذه القوات قدر الامكان وسرعة وصولها ·

جمال»

. . . .

. . . .

القاهرة ١١ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

عقد الجنرال هويلر (ممثل همرشولد في عمليات تطهير القناة) مؤتمرا صحفيا ذكر فيه ان كوبري الفردان نسف ولم يصب بقنابل الانجليز ، وقد اعطى هذا التصريح دون معاينة الكوبري معاينة دقيقة ، بل انه رآه من بعد ·

انني اعتبر هذه التصريحات سياسية تساعد الدعاية المعادية لمصر ، اذ بدلا من قيام هويلر بعمله الفني المكلف به اخذ في عقد مؤتمرات صحفية والقيام بدعاية ، وهو ما يتنافى مع طبيعة عمله ، كما ان تصريحاته ذات طابع

سياسي تثير الشك باستمرار وتعوق التعاون المفروض ان يكون كاملا مع ممثلي همرشولد ٠

وبناء عليه فقد طلبت ايقاف العمل الآن لحين استجلاء هذه الامور مع السكرتير العام ٠

جمال»

. . . .

. . . .

القاهرة ١٣ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ ــ بلغني ان السلطات البريطانية ستقوم بنقل الاسرى المصريين الى قبرص ، وارى ان يتم الاتفاق العاجل على الا ينقل اي من الاسرى المصريين العسكريين الى قبرص ، وبصفة عامة جميع الاسرى المصريين ٠

٢ ــ علمت ان الجنرال ستكويل (قائد الغزو البريطاني) بعث برسالة الى بيرنز (قائد قوات الامم المتحدة) تتضمن انه لم تصله معلومات عن الضابط البريطاني المخطوف ، وانه لديه عدد من الاسرى المصريين وبعض الشخصيات الكبيرة المحجوزة لديه ، واقترح ستكويل ان يسافر احد المصريين المسؤولين الى بور سعيد ليعمل على اعادة الضابط المخطوف ، وان ستكويل لا يعتبر الضابط البريطاني كأسير حرب حيث انه اختطف في فترة ايقاف اطلاق النار ٠ وقد طلبت ابلاغ بيرنز ان منطقة بورسعيد مفصولة عن باقي انحاء الجمهورية ولا سيطرة للسلطات المصرية عليها في الوقت الحالي ، نظرا لوجود القوات المعتدية بها ٠ هذا ويفهم من كلام ستكويل انه اعتراف بمبدأ الرهائن ، كذا واعترافه بوجود شخصيات كبيرة بينهم ، وهو المبدأ الذي اثارته السلطات البريطانية ضدنا في السابق ، وقد افهم بيرنز بهذا ٠

٣ ــ مرفق برقيتان وردتا في وكالتي انباء رويتر واليونيتدبرس متضمنتان اعتراف رئيس وزراء اسرائيل امام الكنيست بقتل السلطات الاسرائيلية للاهالي العرب في قطاع غزة ، ويمكن استغلالهما اذا اثير موضوع طرد الرعايا وسوء معاملتهم ٠

جمال»

. . . .

. . . .

القاهرة ١٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ ـ ارجوك اصدار تصريح يبين ان مصر على استعداد لاستعمال جميع المعدات البحرية وسفن الانقاذ الخاصة باعمال تطهير قناة السويس بغض النظر عن جنسياتها ، على الا يستعمل هذه السفن احد من رعايا بريطانيا او فرنسا، وذلك حرصا وضمانا لحياتهم خصوصا وانهم سيعملون في منطقة القناة التي نالها نصيب كبير معروف للجميع من العدوان الوحشي من قتل للنساء والاطفال والسكان المدنيين ، ومن تدمير للممتلكات والمؤسسات ٠

٢ ـ ارجوك كذلك اصدار تصريح بخصوص تجميد الاموال المصرية في انجلترا وفرنسا والتي تبلغ مائة مليون جنيها في بريطانيا ، بالاضافة الى تجميد اموال الرعايا المصريين في هذين البلدين والتي تبلغ ٢٠ مليون من الجنيهات في بريطانيا ، على ان تقوم بابراز موضوع الاجراءات البوليسية العنيفة التي تتخذ ضد المصريين في كل من فرنسا وبريطانيا ، فقد طرد رعايا مصريون من المساكن والفنادق في باريس تحت ضغط البوليس الذي ضغط ايضا على اصحاب الفنادق والمساكن لعدم تمكين المصريين من الاقامة فيها ٠ ويمكنك ايضا تقديم مذكرة في نفس الموضوع للامم المتحدة ، على ان توزع ٠

جمال،

. . . .

. . . .

القاهرة ١٦ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

ارجوك لفت نظر السكرتير العام الى انه كان قد ابلغنا ان القوات المعتدية ستنسحب من الاراضي المصرية يوم ١٤ ديسمبر ، ثم عاد فذكر ان الانسحاب سيتم بعد يومين من هذا التاريخ ، ثم بدأت عمليات استفزازية واضحة من القوات المعتدية في بورسعيد ، تضمنت اجراءات تفتيش للاحياء الوطنية والمنازل ، ترتب عليها سلب ونهب لممتلكات المواطنين على نطاق واسع ٠ يضاف الى هذا استمرار قيام القوات المعادية بدوريات بالدبابات والمصفحات بطريقة استفزازية تخرج الوطنيين عن شعورهم ، ولا يمكننا ان نسيطر على المواطنين

مع استمرار هذه الاجراءات ، خاصة وانه لم يسمح لقوات البوليس المصري بدخول بورسعيد حتى الان رغم تكرار طلبنا هذا اكثر من مرة عن طريق الجنرال بيرنز ، وما زالت قوات البوليس المصري على استعداد لدخول المدينة متى سمح لها بذلك • وقد قامت القوات المعادية بالقبض علـى الف مواطن مصري ببور سعيد يوم ١٥ ديسمبر امعانا في اثارة شعور الوطنيين واستفزازهم ، وقد ترتب على هذا الاجراء قتل حوالي ٣٠ مصريا ، فضلا عن محاصرة الدبابات والمصفحات للاحياء الوطنية بالمدينة واطلاقها النيران على المواطنين العزل في هذه الاحياء •

جمال،

. . . .

. . . .

القاهرة ١٧ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

افادتني القيادة العامة اليوم بالآتي :

١ ــ لا زالت اعمال النسف والتدمير وبث الالغام مستمرة في سيناء رغم ما افادنا به بيرنز ــ بناء على طلبنا ــ من ان السكرتير العام ارسـل لحكومة اسرائيل يبلغها وقف هذه الاعمال •

٢ ــ وصل تقدم القوات اليوغوسلافية على الطريق الشمالي (القنطرة ــ العريش) حتى الكيلو ٦١ حيث قوبلت بدورية اسرائيلية اوضحت لها انه يجب عليها الا تتقدم اكثر من الكيلو ٥٠ شرق القناة ، على ان يشمل ذلك ايضا الطريق الاوسط (الاسماعيلية ــ ابو عجيلة) والطريق الجنوبي (السويس ــ صدر الحيطان ــ نخل) ، واذا اريد التقدم اكثر من ذلك فيكون بعد اتفاق بيرنز مع حكومة اسرائيل ، وبذلك يمكن اعتبار تقدم القوات اليوغوسلافية موقوفا على خط يوازي قناة السويس ويبعد عنها شرقا بمسافة ٥٠ كيلومترا • وبيرنز يؤيد ما سبق ذكره في هذه الفقرة •

٣ ــ لا زال جنوب سيناء في ايدي الاسرائيليين ، ولا سيما منطقة آبار البترول في سدر وبلاعيم ، حيث علمت انهم يسرقون البترول الخام من هناك في مراكب تتجه الى ميناء ايلات ، علما بان بيرنز كان قد وعد بارسال مراقبين دوليين الى منطقة آبار البترول وبلاعيم لايقاف اعمال الاسرائيليين هناك ، ولكنه لم يفعل ذلك للان •

٤ ـ بعث قائد القوة اليوغوسلافية التي تعمل في سيناء قوة صغيرة من الشط اتجهت جنوبا في طريقها الى مدينة الطور ، ولكن بيرنز امر بعودة هذه القوة ولام القائد اليوغوسلافي على هذا التصرف ، فرد على بيرنز بانه انما فعل ذلك بقصد تامين جناحه الايمن اثناء تقدمه في شمال سيناء ٠

٥ ـ لم يبت بيرنز للان في مسالة انزال قوات يوغوسلافية مباشرة في العريش ، سواء بالمطار الموجود هناك او بطريق البحر، بقصد تلافي الصعوبات المتعددة التي اقامها الاسرائيليون لاعاقة تقدم القوات اليوغوسلافية كالالغام وتدمير الطرق ، علما بأن بيرنز سبق ان اخبر القيادة العامة بأنه طلب موافقة السكرتير العام على انزال قوات الامم المتحدة مباشرة بالعريش ٠

٦ ـ المرجو ابلاغ همرشولد ما سبق ومطالبته بتنفيذ طلباتنا ، وتوضيح ان السبب في تعطيل تطهير القناة لا يرجع الى السلطات المصرية بل الى تلكؤ القوات المعتدية في الانسحاب من الاراضي المصرية بوجه عام ، وان السلطات المصرية قد عاونت حتى الان معاونة صادقة في المراحل الاستطلاعية الجارية الان قبل البدء في تطهير القناة ، وارجو ان تعملوا مع السكرتير العام على سرعة انجاز الانسحاب وان يتجه النشاط الان الى سيناء وغزة ٠

جمال»

. . . .

. . . .

القاهرة ١٧ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ ـ رجا السفير الامريكي «هير» بناء على تعليمات من حكومته بخصوص شكوى بريطانيا وفرنسا من طرد رعاياهما من مصر ، ان نخفف من وطأة هذا الاجراء ٠ وهذا لعلمكم ٠

٢ ـ ولو ان ابعاد الاجانب من صميم اعمال السيادة المصرية ، وليس لاحد ان يتدخل فيها ، فان مصر لا تقوم بطردهم وليس هذا من سياستها ، وكل ما حدث هو ان بعض هؤلاء اخرجوا لدواعي الامن ومحافظة على حياتهم ٠

٣ ـ لا يعدو الامر ان يكون حملة من الدعاية والتشهير بمصر تشنها بريطانيا وفرنسا بعد عدوانهما ودمغ الامم المتحدة والراي العالمي لهما بالعدوان ، اذ المعروف انه لم يحدث اي حادث فردي لأي من رعايا الدولتين

في مصر ، مع انهم يعيشون وسط الشعب المصري ، وازاء هذا المسلك الكريم من جانب الحكومة المصرية ، كان الواجب الا تقلب الاوضاع بغرض الدعاية ضدها ·

٤ ـ احبذ ان تكون لهجة بيانكم غير عنيفة ·

جمال»

· · · · · · · ·

· · · · · · · ·

القاهرة ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

١ ـ ارجو ابلاغ همرشولد ما يلي :

أ ـ وضح ان موقف هويلر الان لا يدعو الى الارتياح ، فقد بدأ يطالب ببقاء عدد اكثر من السفن ، كما يطالب ببقاء الافراد واطقم هذه السفن بالكامل ، وكذا يرغب في بقاء هؤلاء الافراد لمدة غير محددة ، وهذا مخالف لما اتفق عليه ، وكما نفهم نحن ان التعليمات التي يصدرها همرشولد الى هويلر تتمشى وتتفق تماما مع اتفاقنا مع همرشولد ، ومع ذلك فان هويلر يدعي دائما انه يعمل على اساس ان لديه تعليمات من همرشولد في تصرفاته ·

فهل حدث تغيير فيما تم بيننا من اتفاقات ، علما باننا لا يمكن ان نوافق على اي تغييرات فيما اتفق عليه من ان جميع السفن وجميع الافراد ترحل في حدود ١٠ يناير القادم على اساس ان يكون كل الاطقم والافراد من الامم المتحدة وليسوا من الفرنسيين او الانجليز ·

ب ـ ان هذا الموضوع يجب ان يسير وفق كل ما اتفق عليه حتى لا تشعر مصر ان هناك امور غير طبيعية تتداخل في العملية ، والا ستضطر مصر الى ارسال مذكرة رسمية تطلب فيها عدم بقاء هويلر حيث لا يمكن ان نتفق ونتعاون مع شخص يخرج عن الاتفاقات التي بيننا وبين السكرتير العام · كما يبلغ همرشولد ان الحكومة المصرية قلقة بالنسبة لموقف هويلر وما يبديه من تصرفات ·

٢ ـ يطلب بيرنز ان يبقى بعض افراد من القوة الفنلندية لحراسة السفن البريطانية الباقية في بورسعيد لاحتمال استخدامها في تطهير القناة ـ حسب قول بيرنز ـ وارى ان مصر لا توافق على مبدأ بقاء اي قوة اجنبية لغرض

اعمال الامن والحراسة في ارض مصرية ، حيث ان كل ما يتعلق بالامن داخل جمهورية مصر هو من اختصاص السلطات المصرية وحدها فقط ٠

٣ ـ ارجو تقديم مذكرة للسكرتير العام يطلب فيها النظر في فظاعة وسرقات الفرنسيين واعتداءاتهم على المدنيين وممتلكاتهم في بورسعيد ، وذلك كرد على المذكرة الفرنسية ٠ وارجوك العمل على ان يقوم السكرتير العام بابلاغ الفرنسيين انه تسلم هذه المذكرة من الحكومة المصرية ، وكذا استعداد مصر لمناقشة الموضوع بالكامل في الامم المتحدة ٠

جمال»

. . . .

. . . .

القاهرة ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦

من الرئيس

الى الدكتور محمود فوزي

الان وقد تم جلاء قوات العدوان البريطاني الفرنسي من بورسعيد ابعث اليك بكل التقدير والشكر على ما قمت به وكان له اكبر الاثر فيما تحقق ، ولكننا الان في منتصف الطريق ، وتفكيري في المرحلة القادمة من الطريق كما يلي :

١ ـ ستحاول اسرائيل الابطاء في الانسحاب من قطاع غزة لان مطامعها فيه معروفة ، وارى ان يعلم الجميع ، والسكرتير العام بصفة خاصة ، اننا على استعداد لاستئناف القتال اذا لزم الامر لتحرير قطاع غزة ٠

٢ ـ لعلمك الخاص فقط ، وحتى يجيء الوقت الملائم ، فانا لا احبذ اجراء اية مفاوضات مع اي طرف بشأن مستقبل قناة السويس ، لانني ارى ان العدوان اسقط حق هؤلاء الذين يدعون بحرصهم على القناة من اي نقاش حول مستقبلها ، ورايي ان اي شيء يتعلق بمستقبل قناة السويس لا بد ان يكون اعلانا من جانب مصر وحدها وبمقتضى سياستها دون اشتراك احد آخر فيه ٠

وارجوك ان تفكر في الطريقة والظروف والاسلوب الذي يمكن فيه اثارة ذلك ٠

٣ ـ لعلمك الخاص فقصدي من الالحاح في مسالة التعويضات المستحقة لنا عن الحرب هو انه من حقنا الان ان ناخذ جميع المصالح البريطانية والفرنسية

التي استولوا عليها من غير وجه حق وبالخداع والاغتصاب ، وانا لا اتصور كيف يمكن لنا ان نعيد الى الانجليز والفرنسيين ما كان لهم في البنوك وشركات التامين وشركات تجارة القطن وخلافه ٠

واتجاهي انني لن اعيد شيئا من ذلك باي حال من الاحوال ، وكله لا بد ان يعود لملكية مصر ٠

لذلك فان الحاحي عليك في موضوع التعويضات التي نطلبها هو ان نثبت لأنفسنا حق الخصم مما لهم تحت ايدينا من الممتلكات ٠

وتستطيع ان تطلب ما بين ٥٠٠ مليون جنيه و١٠٠٠ مليون جنيه من التعويضات ، وهم لن يدفعوا لنا قرشا واحدا مهما قلنا ، ولكننا نستطيع هنا ان نستوفي حقنا من ممتلكاتهم ٠

ارى تاجيل حضورك الى القاهرة الان ، فبقاؤك في نيويورك مهم حتى برغم اجازات الاعياد ٠

اتمنى لك التوفيق ، واقدر كل التقدير مجهودك ، ولك تحياتي ٠

جمال»

□

وتصل قصة السويس الى قرب نهايتها ، كاكمل واشمل انتصار حققه العرب في العصر الحديث ، بالمعنى الحقيقي للنصر في هذا العصر ٠٠٠

. . . .

. . . .

وسلام على السويس

كلمة ختام

كتبت هذه المجموعة من الاحاديث عن «قصة السويس» في صيف سنة ١٩٧٦ وفي مناسبة ذكرى مرور عشرين سنة بالضبط (١٩٥٦ ــ ١٩٧٦) على هذه المعركة التي كانت اخر المعارك في عصر العمالقة والتي كانت اشمل واكمل انتصار في تاريخ العرب الحديث وذلك بمفاهيم الحرب المحدودة ، وهي الحرب الوحيدة الممكنة في عصر التوازن النووي ٠

وفرغت من كتابة هذه المجموعة مع خريف ١٩٧٦ وسافرت بعد ذلك في رحلة الى «اوروبا» حملتني ــ ضمن عواصم اخرى ــ الى «لندن» و«باريس» واذا بي اجد ــ رغم شواغل اليوم الملحة ــ ان « السويس » هي موضوع الساعة في العاصمتين الكبيرتين وان المناسبة التي دعتهم الى الاهتمام هي المناسبة التي دعتني الى الاهتمام : ذكرى مرور عشرين سنة على القصة التي هزت العالم وغيرت الكثير من اوضاعه وموازينه !

في «لندن» مثلا كان التلفزيون البريطاني يقدم كل اسبوع برنامجا تاريخيا مصورا وموثقا عن السويس ، وقد رأيت بنفسي برنامجين من هذه البرامج : اولهما دبلوماسي وكان نجمه هو « سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا وقت السويس ، وثانيهما عسكري وكان نجمه الجنرال «ستكويل » قائد القوات البريطانية المشتركة في حرب السويس ٠

والى جانب ذلك فقد كان هناك كتاب «موشى ديان» رئيس اركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية وقت السويس وكان الجديد فيه هو اعترافه بأسرار التواطؤ البريطاني ــ الفرنسي اعترافا كاملا وكانت لذلك ضجة كبرى في بريطانيا ٠

وفي «باريس» مثلا كان هناك كتابان بأقلام نجوم شاركوا في عملية السويس اولهما كتاب «كرتسيان بينو» وزير خارجية فرنسا وقتها وكتاب «آبل

توماس» مدير وزارة الدفاع الفرنسية والذي لعب دورا كبيرا مع نظيره «شيمون بيريز» الاسرائيلي في ترتيب «التواطؤ» والاعداد لمؤامرته ٠

وشاءت المقادير ان تضيف الى اسباب الاهتمام الدائم بالقصة عنصرا جديدا وهو وفاة «انتوني ايدن» ـ لورد افون ـ في يوم توافق ـ بعد عشرين سنة ـ مع نفس اليوم الذي قدم فيه استقالته من رئاسة الوزارة البريطانية تحت ضغط الهزيمة المروعة والفضيحة المجلجلة في السويس ـ وهكذا فان ذكريات السويس ـ وحتى اشباحها ـ عادت الى الحياة فجأة تملأ برامج التلفزيون وتجري على اعمدة الصحف بمقالات مستفيضة بالتحليل والوقائع ، وصورا تستعيد مشاهد الماضي وكأنه بعث حيا من جديد ٠

وكان من المصادفات ان هيئة الاذاعة البريطانية اختارتني لاكون المتحدث العربي الذي يعلق بالرأي على وفاة «ايدن» وكان مؤدى ما قلته وقد اذيع ونشرته كبريات الصحف البريطانية ان ايدن «لم يفهم حركة التاريخ ولا روح العصر وبالتالي فقد وقع ضحية للاثنين قبل ان يقع ضحية لعبد الناصر في صراع الارادات الكبير بين الاثنين الثائر العربي والدبلوماسي السياسي البريطاني المخضرم» ٠

واعترف انه قد احزنني اننا في مصر تجاهلنا مناسبة ذكرى السويس في حين ان الدنيا كلها كانت تحتفل بها حتى اولئك الذين كانت السويس عليهم ولم تكن السويس لهم ، ولم اجد تفسيرا لهذا التجاهل مقنعاً او مفيداً فالتجربة في البداية والنهاية ملك الامة وليست ملكا لاي فرد ٠ ونحن حين نتجاهل التاريخ لا نلغيه ولكننا نخرج انفسنا من دائرة حركته ٠

ولا تستطيع مصر ـ ولا تستطيع امتها العربية ـ ان تخرج من دائرة التاريخ وحركته والا فاين هي حتى من المستقبل !!٠

محمد حسنين هيكل

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
ص.ب ٨٣٧٥
تلفون ٣٤٤٣٤٦
بيروت - لبنان